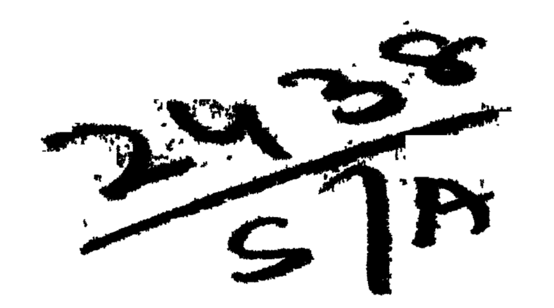




للشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر خادم القرآن العظيم

محمد بن أحمد بن جزي الكلبي

نفعنا الله برحمته وأسكنه فسيح جنته آمين !

الجزء الثاني

الطبعة الأولى : سنة ١٣٥٥ هـ

عنى بمقابلتها على عدة نسخ مخطوطة بالمكتبة الملكية
وصححها نخبة من العلماء

يطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها : مصطفى محمد

مطبعة مصطفى محمد
صاحب المكتبة التجارية الكبرى بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام

مكية إلا الآيات ٢٠ و٢٣ و٩١ و٩٣ و ١١٤ و١٤١ و ١٥١ و١٥٢ و١٥٣ فمدنية
وآياتها ١٦٥ نزلت بعد الحجر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَجَعَلَ الظُّلُمَاتِ وَالنُّورَ ثُمَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۞ هُوَ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ طِينٍ ثُمَّ قَضَىٰ أَجَلًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى عِنْدَهُ ثُمَّ أَنْتُمْ تَمْتَرُونَ ۞ وَهُوَ اللَّهُ فِي السَّمَاوَاتِ وَفِي الْأَرْضِ يَعْلَمُ سِرَّكُمْ وَجَهْرَكُمْ وَيَعْلَمُ مَا تَكْسِبُونَ ۞ وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ

﴿سورة الأنعام﴾

قال كعب : أول الأنعام هو أول التوراة (وجعل الظلمات والنور) جعل هنا بمعنى خلق ، والظلمات : الليل والنور النهار والضوء الذى فى الشمس والقمر وغيرهما ، وإنما أفرد النور لأنه أراد الجنس ، وفى الآية رد على المجوس فى عبادتهم للنار وغيرها من الأنوار ، وقولهم إن الخير من النور والشر من الظلمة ؛ فإن المخلوق لايكون إلها ولا فاعلا لشىء من الحوادث (ثم الذين كفروا بربهم يعدلون) أى يسوون ويمثلون من قولك عدلت فلانا بفلان إذا جعلته نظيره وقرينه ودخلت ثم لتدل على استبعاد أن يعدلوا بربهم بعد وضوح آياته فى خلق السموات والأرض ، والظلمات والنور وكذلك قوله ثم أنتم تمترون استبعاد لأن يمتروا فيه بعد ماثبت أنه أحياهم وأماتهم، وفى ضمن ذلك تعجيب من فعلهم وتوبيخ لهم، والذين كفروا هنا عام فى كل مشرك ، وقد يختص بالمجوس بدليل الظلمات والنور ، وبعبدة الأصنام ؛ لأنهم المجاورون للنبى صلى الله عليه وسلم وعليهم يقع الرد فى أكثر القرآن (خلقكم من طين) أى خلق أباكم آدم من طين (ثم قضى أجلا وأجل مسمى عنده) الأجل الأول الموت ، والثانى يوم القيامة وجعله عنده : لأنه استأثر بعلمه ، وقيل الأول النوم، والثانى الموت ، ودخلت ثم هنا لترتيب الأخبار، لا لترتيب الوقوع ، لأن القضاء متقدم على الخلق (وهو الله فى السموات وفى الأرض) يتعلق فى السموات بمعنى اسم الله ، فالمعنى كقوله : وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله ، كما يقال : أمير المؤمنين الخليفة فى المشرق والمغرب ، ويحتمل أن يكون المجرور فى موضع الخبر : فيتعلق باسم فاعل محذوف ، والمعنى على هذا قريب من الأول ، وقيل المعنى أنه فى السموات والأرض بعلمه كقوله : وهو معكم أينما كنتم ، والأول أرجح وأفصح ، لأن اسم الله جامع للصفات كلها من العلم والقدرة والحكمة ، وغير ذلك ، فقد جمعها مع الإيجاز ، ويترجح الثانى بأن سياق الكلام فى اطلاع الله تعالى وعلمه ، لقوله بعدها : يعلم سركم وجهركم ، وقيل يتعلق بمحذوف تقديره المعبود فى السموات وفى الأرض وهذا المحذوف صفة لله : واسم الله على هذا القول وعلى الأول هو خبر المبتدإ وأما إذا كان المجرور الخبر فاسم الله بدل من الضمير (وما تأتيهم من

رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ * فَقَدْ كَذَّبُوا بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُمْ فَسَوْفَ يَأْتِيهِمْ أَنْبَاؤُا مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ * وَلَوْ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ كِتَابًا فِي قِرْطَاسٍ فَلَمَسُوهُ بِأَيْدِيهِمْ لَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ * وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ * وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ * وَلَقَدِ اسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ فَحَاقَ بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ * قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ ثُمَّ انْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ * قُلْ لِمَنْ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ قُلْ لِلَّهِ كَتَبَ عَلَى

آية من آيات ربهم) من الأولى زائدة ، والثانية للتبعيض ، أو لبيان الجنس (بالحق) يعني ما جاء به محمد صلى الله عليه وآله وسلم (فسوف يأتيهم) الآية : وعيد بالعذاب والعقاب على استهزائهم (ألم يروا كم أهلكنا) حض للكفار على الاعتبار بغيرهم ، والقرن مائة سنة ، وقيل سبعون ، وقيل أربعون (مكناهم في الأرض) الضمير عائد على القرن ، لأنه في معنى الجماعة (مالم نمكن لكم) الخطاب لجميع أهل ذلك العصر من المؤمنين والكافرين (وأرسلنا السماء عليهم مدرارا) السماء هنا المطر والسحاب أو السماء حقيقة ، ومدراراً بناء مبالغة وتكثير من قولك درّ المطر إذا غزر (فأهلكناهم بذنوبهم) التقدير فكفروا وعصوا فأهلكناهم ، وهذا تهديد للكفار أن يصيبهم مثل ما أصاب هؤلاء على حال قوتهم وتمكينهم (ولو نزلنا عليك كتابا في قرطاس) الآية : إخبار أنهم لا يؤمنون ولو جاءتهم أوضح الآيات ، والمراد بقوله فلمسوه بأيديهم لو بالغوا في تمييزه وتقليبه ليرتفع الشك لعاندوا بذلك ، يشبه أن يكون سبب هذه الآية قول بعضهم للنبي صلى الله عليه وآله وسلم لا أومن بك حتى تأتي بكتاب من السماء يأمرني بتصديقك ، وما أراني مع هذا أصدقك (وقالوا لولا أنزل عليه ملك) حكاية عن طلب بعض العرب، وروى أن العاصي بن وائل، والنضر بن الحارث ، وزمعة بن الأسود والأسود بن عبد يغوث قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم يا محمد ، لو كان معك ملك (ولو أنزلنا ملكا لقضى الأمر) قال ابن عباس المعنى : لو أنزلنا ملكا فكفروا بعد ذلك لعجل لهم العذاب ، ففي الكلام على هذا حذف ، وقضى الأمر على هذا تعجيل أخذهم ، وقيل المعنى لو أنزلنا ملكا لماتوا من هول رؤيته فقضى الأمر على هذا موتهم (ولو جعلناه ملكا لجعلناه رجلا) أي لو جعلنا الرسول ملكا لكان في صورة رجل ، لأنهم لا طاقة لهم على رؤية الملك في صورته (وللبسنا عليهم ما يلبسون) أي لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم وعلى ضعفائهم ، فإنهم لو رأوا الملك في صورة إنسان قالوا هذا إنسان وليس بملك (ولقد استهزئ برسل من قبلك) الآية : إخبار قصد به تسلية النبي صلى الله عليه وسلم عما كان يلقى من قومه (فحاق) أي أحاط بهم ، وفي هذا الإخبار تهديد للكفار (قل سيروا في الأرض) الآية : حض على الاعتبار بغيرهم إذا رأوا منازل الكفار الذين هلكوا قبلهم (ثم انظروا) قال الزمخشري إن قلت : أي فرق بين قوله فانظروا ، وبين قوله ثم انظروا ؟ قلت : جعل النظر سببا عن السير في قوله : فانظروا ، كأنه قال : سيروا لأجل النظر ، وأما قوله فسيروا

نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ لَيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * وَلَهُ مَا سَكَنَ فِي اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَسْلَمَ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * مَنْ يُصْرَفْ عَنْهُ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمَهُ وَذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ * وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ أَئِنَّكُمْ لَتَشْهَدُونَ

فى الأرض ثم انظروا : فمعناه إباحة السير للتجارة وغيرها من المنافع ، وإيجاب النظر فى الهالكين رتبه على ذلك بثم ، لتباعد مابين الواجب والمباح (قل لمن مافى السموات والأرض قل لله) القصد بالآية إقامة البرهان على صحة التوحيد وإبطال الشرك ، وجاء ذلك بصفة الاستفهام لإقامة الحجة على الكفار فسأل أولا لمن مافى السموات والأرض ، ثم أجاب عن السؤال بقوله قل لله ، لأن الكفار يوافقون على ذلك بالضرورة فيثبت بذلك أن الإله الحق هو الله الذى له مافى السموات ومافى الأرض ، وإنما يحسن أن يكون السائل مجيبا عن سؤاله ، إذا علم أن خصمه لا يخالفه فى الجواب الذى به يقيم الحجة عليه (كتب على نفسه الرحمة) أى قضاها وتفسير ذلك بقول النبى صلى الله عليه وآله وسلم : إن الله كتب كتابا قبل أن يخلق السموات والأرض ، وفيه إن رحمتى سبقت غضبى ، وفى رواية تغلب غضبى (ليجمعنكم) مقطوع مما قبله ، وهو جواب لقسم محذوف ، وقيل هو تفسير الرحمة المذكورة تقديره أن يجمعكم ، وهذا ضعيف لدخول النون الثقيلة فى غير موضعها ، فإنها لا تدخل إلا فى القسم أو فى غير الواجب (إلى يوم القيامة) قيل هنا إلى بمعنى فى وهو ضعيف ، والصحيح أنها للغاية على بابها (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره لا يؤمنون ؛ ودخلت الفاء لما فى الكلام من معنى الشرط قاله الزجاج وهو حسن ، وقال الزمخشرى الذين نصب على الذم أو رفع بخبر ابتداء مضمر ، وقيل هو بدل من الضمير فى ليجمعنكم وهو ضعيف ، وقيل منادى وهو باطل (وله ماسكن فى الليل والنهار) عطف على قوله قل لله ، ومعنى سكن : حل ، فهو من السكنى ، وقيل هو من السكون وهو ضعيف لأن الأشياء منها ساكنة ومتحركة فلا يعم ، والمقصود عموم ملكه تعالى لكل شىء (قل أغير الله أتخذ وليا) إقامة حجة على الكفار ورد عليهم بصفات الله الكريم التى لا يشاركه غيره فيها (أول من أسلم) أى من هذه الأمة لأن النبى صلى الله عليه وسلم سابق أمته إلى الإسلام (ولا تكونن) فى الكلام حذف تقديره وقيل لى : ولا تكونن من المشركين ، أو يكون معطوفا على معنى أمرت فلا حذف وتقديره أمرت بالإسلام ، ونهيت عن الإشراك (من يصرف عنه يومئذ فقد رحمه) أى من يصرف عنه العذاب يوم القيامة فقد رحمه الله ، وقرئ يصرف بفتح الياء وفاعله الله (وذلك) إشارة إلى صرف العذاب أو إلى الرحمة (وإن يمسسك الله بضر) معنى يمسسك يصبك ، والضر المرض وغيره على العموم فى جميع المضرات ، والخير : العافية وغيرها على العموم أيضا ، والآية برهان على الوحدانية لانفراد الله تعالى

أَنَّ مَعَ اللَّهِ ءَالِهَةً أُخْرَىٰ قُل لَّآ أَشْهَدُ قُلْ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَإِنَّنِى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ • الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمُ الَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ • وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَيْنَ شُرَكَآؤُكُمُ الَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ • ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا وَاللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ • انظُرْ كَيْفَ كَذَبُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ • وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً

بالضر والخير ، وكذلك مابعدهذا من الأوصاف براهين ورد على المشركين (قل أى شىء أكبر شهادة) سؤال يقتضى جوابا ينبنى عليه المقصود، وفيه دليل على أن الله يقال فيه شىء لكن ليس كمثله شىء. (قل الله شهيد بينى وبينكم) يحتمل وجهين أحدهما أن يكون الله مبتدأ وشهيد خبره ، والآخر أن يكون تمام الجواب عند قوله: قل الله ، بمعنى أن الله أكبر شهادة، ثم يبتدئ على تقدير هو شهيد بينى وبينكم ، والأول أرجح لعدم الإضمار، والثانى أرجح لمطابقته للسؤال، لأن السؤال بمنزلة من يقول: من أكبر الناس ؟ فيقال فى الجواب، فلان وتقديره فلان أكبر، والمقصود بالكلام استشهاد بالله الذى هو أكبر شهادة على صدق رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وشهادة الله بهذا هى علمه بصحة نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، وإظهار معجزته الدالة على نبوته (ومن بلغ) عطف على ضمير المفعول فى لأنذركم والفاعل يبلغ ضمير القرآن والمفعول محذوف يعود على من تقديره ، ومن بلغه والمعنى أوحى إلىّ هذا القرآن لأنذر به المخاطبين ، وهم أهل مكة ، وأنذر كل من بلغه القرآن من العرب والعجم إلى يوم القيامة ، قال سعيد ابن جبير : من بلغه القرآن فكأنما رأى سيدنا محمدا صلى الله عليه وسلم، وقيل المعنى: ومن بلغ الحلم وهو بعيد (قل أئنكم لتشهدون) الآية : تقرير للمشركين على شركهم، ثم تبرأ من ذلك بقوله : لا أشهد، ثم شهد الله بالوحدانية، وروى أنها نزلت بسبب قوم من الكفار أتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالوا يا محمد ما تعلم مع الله إلها آخر (يعرفونه كما يعرفون أبناءهم) تقدم فى البقرة (الذين خسروا أنفسهم فهم لا يؤمنون) الذين مبتدأ وخبره فهم لا يؤمنون وقيل الذين نعت للذين آتيناهم الكتاب وهو فاسد لأن الذين أوتوا الكتاب ما استشهد بهم هنا إلا ليقيم الحجة على الكفار (ومن أظلم) لفظه استفهام ومعناه لا أحد أظلم (ممن افترى على الله) وذلك تنصل من الكذب على الله، وإظهار لبراءة رسول الله صلى الله عليه وسلم مما نسبوه إليه من الكذب ، ويحتمل أن يريد بالافتراء على الله مانسب إليه الكفار من الشركاء والأولاد (أو كذب بآياته) أى علاماته وبراهينه (أين شركاؤكم) يقال لهم ذلك على وجه التوبيخ (تزعمون) أى تزعمون أنهم آلهة فحذفه لدلالة المعنى عليه ، والعامل فى يوم نحشرهم محذوف (ثم لم تكن فتنتهم) الفتنة هنا تحتمل أن تكون بمعنى الكفر أى لم تكن عاقبة كفرهم إلا جحوده والتبرؤ منه ، وقيل فتنتهم معذرتهم، وقيل كلامهم ، وقرئ فتنتهم بالنصب على خبر كان واسمها أن قالوا، وقرئ بالرفع على اسم كان وخبرها أن قالوا (والله ربنا ما كنا مشركين) جحود لشركهم، فإن قيل : كيف يجحدونه وقد قال الله ولا يكتمون الله حديثا، فالجواب أن ذلك يختلف باختلاف طوائف الناس واختلاف المواطن ، فيكتم قوم ويقر آخرون ، ويكتمون فى موطن ويقرون فى موطن آخر ، لأن يوم القيامة طويل ، وقد قال ابن عباس لما سئل عن هذا السؤال إنهم جحدوا طمعا فى النجاة فختم الله على أفواههم ، وتكلمت جوارحهم فلا يكتمون الله حديثا (ومنهم من

أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوكَ يُجَٰدِلُونَكَ يَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَهُمْ يَنْهَوْنَ عَنْهُ وَيَنْـَٔوْنَ عَنْهُ وَإِن يُهْلِكُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ٥ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ٥ بَلْ بَدَا لَهُم مَّا كَانُوا يُخْفُونَ مِن قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ٥ وَقَالُوٓا إِنْ هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ * وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ٥ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِلِقَآءِ اللَّهِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً

يستمع إليك) الضمير عائد على الكفار ، وأفرد يستمع وهو فعل جماعة حملا على لفظ من (وجعلنا على قلوبهم أكنة أن يفقهوه) أكنة جمع كنان ، وهو الغطاء ، وأن يفقهوه فى موضع مفعول من أجله تقديره : كراهة أن يفقهوه ، ومعنى الآية أن الله حال بينهم وبين فهم القرآن إذا استمعوه ، وعبر بالأكنة والوقر مبالغة ، وهى استعارة (أساطير الأولين) أى قصصهم وأخبارهم ، وهو جمع أسطار وأسطورة قال السهيلى حيث ماورد فى القرآن أساطير الأولين ، فإن قائلها هو النضر بن الحارث وكان قد دخل بلد فارس وتعلم أخبار ملوكهم ، فكان يقول حديثى أحسن من حديث محمد (وهم ينهون عنه وينأون عنه) هم عائد على الكفار ، والضمير فى عنه عائد على القرآن ، والمعنى وهم ينهون الناس عن الإيمان ، وينأونهم عنه أى يبعدون ، والنأى هو البعد ، وقيل الضمير فى عنه يعود على النبى صلى الله عليه وسلم ، ومعنى ينهون عنه ينهون الناس عن إذايته ، وهم مع ذلك يبعدون عنه ، والمراد بالآية على هذا أبو طالب ومن كان معه : يحمى النبى صلى الله عليه وسلم ، ولا يسلم وفى قوله ينهون وينأون ضرب من ضروب التجنيس (ولو ترى إذ وقفوا على النار) جواب لو محذوف هنا ، وفى قوله ولو ترى إذ وقفوا على ربهم ، وإنما حذف ليكون أبلغ ما يقدره السامع : أى لو ترى لرأيت أمراً شنيعاً هائلا ، ومعنى وقفوا: حبسوا ، قاله ابن عطية ، ويحتمل أن يريد بذلك إذا دخلوا النار ، وإذا عاينوها وأشرفوا عليها ، ووضع إذ موضع إذا لتحقيق وقوع الفعل حتى ٥ ماض (ياليتنا نرد ولا نكذب) قرئ برفع نكذب ونكون على الاستئناف والقطع على التمنى ، ومثله سيبويه بقولك دعنى ولا أعود أى وأنا لا أعود ، ويحتمل أن يكون حالا تقديره نرد غير مكذبين ، أو عطف على نرد ، وقرئ بالنصب بإضمار أن بعد الواو فى جواب التمنى (بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل) المعنى ظهر لهم يوم القيامة فى صحائفهم ما كانوا يخفون فى الدنيا من عيوبهم وقبائحهم وقيل هى فى أهل الكتاب أى بدا لهم ما كانوا يخفون من أمر محمد صلى الله عليه وسلم ، وقيل هى فى المنافقين أى بدا لهم ما كانوا يخفون من الكفر ، وهذان القولان بعيدان ، فإن الكلام أوله ليس فى حق المنافقين ولا لأهل الكتاب ، وقيل إن الكفار كانوا إذا وعظهم النبى صلى الله عليه وسلم خافوا وأخفوا ذلك الخوف لئلا يشعر بها أتباعهم ، فظهر لهم ذلك يوم القيامة (ولو ردوا لعادوا) إخبار بأمر لا يكون لو كان كيف كان يكون وذلك مما انفرد الله بعلمه (وإنهم لكاذبون) يعنى فى قولهم ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين ، ولا يصح أن يرجع إلى قولهم ياليتنا نرد ، لأن التمنى لا يحتمل الصدق ولا الكذب (وقالوا إن هى إلا حياتنا الدنيا) حكاية عن قولهم فى إنكار البعث الأخروى (قال أليس

قَالُوا يَٰحَسْرَتَنَا عَلَىٰ مَا فَرَّطْنَا فِيهَا وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَىٰ ظُهُورِهِمْ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝ وَمَا الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَآ إِلَّا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَلَلدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُ لَيَحْزُنُكَ الَّذِى يَقُولُونَ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ الظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ ۝ وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَىٰ مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّىٰٓ أَتَىٰهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَآءَكَ مِن نَّبَإِى الْمُرْسَلِينَ ۝ وَإِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكَ إِعْرَاضُهُمْ فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَن تَبْتَغِىَ نَفَقًا فِى الْأَرْضِ أَوْ سُلَّمًا فِى السَّمَآءِ فَتَأْتِيَهُم بِـَٔايَةٍ وَلَوْ شَآءَ اللَّهُ لَجَمَعَهُمْ

هذا بالحق) تقرير لهم و توبيخ (قالوا ياحسرتنا على مافرطنا فيها) الضمير فيها للحياة الدنيا لأن المعنى يقتضى ذلك وإن لم يجر لها ذكر ، وقيل الساعة أى فرطنا فى شأنها ، والاستعداد لها ، والأول أظهر (وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم) كناية عن تحمل الذنوب ، وقال على ظهورهم ، لأن العادة حمل الأثقال على الظهور ، وقيل إنهم يحملونها على ظهورهم حقيقة ، وروى فى ذلك أن الكافر يركبه عمله بعد أن يتمثل له فى أقبح صورة ، وأن المؤمن يركب عمله بعد أن يتصور له فى أحسن صورة (ألا ساء ما يزرون) إخبار عن سوء ما يفعلون من الأوزار (قد نعلم إنه ليحزنك الذى يقولون) قرأ نافع يحزن حيث وقع بضم الياء من أحزن ، إلى قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر ، وقرأ الباقون بفتح الياء من حزن الثلاثى وهو أشهر فى اللغة ، والذى يقولون : قولهم إنه ساحر ، شاعر ، كاهن (فإنهم لا يكذبونك) من قرأ بالتشديد فالمعنى لا يكذبونك معتقدين لكذبك ، وإنما هم يجحدون بالحق مع علمهم به ، ومن قرأ بالتخفيف ، فقيل معناه لا يجدونك كاذبا ، يقال أكذبت فلانا إذا وجدته كاذبا ، كما يقال أحمدته إذا وجدته محموداً ، وقيل هو بمعنى التشديد ، يقال كذب فلان فلانا وأكذبه بمعنى واحد ، وهو الأظهر لقوله بعد هذا يجحدون ، ويؤيد هذا ماروى أنها نزلت فى أبى جهل فإنه قال لرسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : إنا لا نكفر بك ولكن نكذب ماجئت به ، وأنه قال للأخنس بن شريق ، والله إن محمداً الصادق ، ولكنى أحسده على الشرف (ولكن الظالمين) أى ولكنهم ووضع الظاهر موضع المضمر للدلالة على أنهم ظلموا فى جحودهم (ولقد كذبت رسل من قبلك) الآية : تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم ، وحض له على الصبر ، ووعد له بالنصر (ولا مبدل لكلمات الله) أى لمواعيده لرسله : كقوله ، ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون ، وفى هذا تقوية للوعد (ولقد جاءك من نبإ المرسلين) أى من أخبارهم ويعنى بذلك صبرهم ثم نصرهم ، وهذا أيضا تقوية للوعد والحض على الصبر ، وفاعل جاءك محذوف تقديره نبأ أو خلاف ، وقيل هو المجرور (وإن كان كبر عليك إعراضهم) الآية : مقصودها حمل النبى صلى الله عليه وسلم على الصبر والتسليم لما أراد الله بعباده من إيمان أو كفر ، فإنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان شديد الحرص على إيمانهم ، فقيل له إن استطعت أن تدخل فى الأرض أو تصعد إلى السماء فتأتيهم بآية يؤمنون بسببها ، فافعل وأنت لا تقدر على ذلك ، فاستسلم لأمر الله ، والنفق فى الأرض . معناه منفذ تنفذ منه إلى ماتحت الأرض ، وحذف جواب إن لفهم المعنى (ولو شاء الله لجمعهم على الهدى) حجة لأهل السنة على القدرية فلا تكونن من الجاهلين) أى من الذين يجهلون أن الله

عَلَى الْهُدَىٰ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْجَاهِلِينَ * إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَىٰ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ * وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَنْ يُنَزِّلَ آيَةً وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا طَائِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّا أُمَمٌ أَمْثَالُكُمْ مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ * وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ مَنْ يَشَإِ اللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَنْ يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ * قُلْ أَرَأَيْتَكُمْ إِنْ أَتَاكُمْ عَذَابُ اللَّهِ أَوْ أَتَتْكُمُ السَّاعَةُ أَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * بَلْ إِيَّاهُ

لو شاء لجمعهم على الهدى (إنما يستجيب الذين يسمعون) المعنى إنما يستجيب لك الذين يسمعون فيفهمون ويعقلون (والموتى يبعثهم الله) فيها ثلاث تأويلات: أحدهما أن الموتى عبارة عن الكفار بموت قلوبهم، والبعث يراد به الحشر يوم القيامة، فالمعنى أن الكفار فى الدنيا كالموت فى قلة سمعهم وعدم فهمهم، فيبعثهم الله فى الآخرة، وحينئذ يسمعون، والآخر أن الموتى عبارة عن الكفار، والبعث عبارة عن هدايتهم للفهم والسمع والثالث أن الموتى على حقيقته، والبعث على حقيقته فهو إخبار عن بعث الموتى يوم القيامة (وقالوا لولا أنزل عليه آية من ربه) الضمير فى قالوا للكفار، ولولا عرض، والمعنى أنهم طلبوا أن يأتى النبى صلى الله عليه وسلم بآية على نبوته، فإن قيل: فقد أتى بآية ومعجزاته كثيرة فلم طلبوا آية؟ فالجواب من وجهين: أحدهما أنهم لم يعتدوا بما أتى به: وكأنه لم يأت بشىء عندهم لعنادهم وجحدهم، والآخر أنهم إنما طلبوا آية تضطرهم إلى الإيمان من غير نظر ولا تفكر (قل إن الله قادر على أن ينزل آية) جواب على قولهم، وقد حكى هذا القول عنهم فى مواضع من القرآن وأجيب عليه بأجوبة مختلفة، منها ما يقتضى الرد عليهم فى طلبهم الآيات فإنه قد أتاهم بآيات وتحصيل الحاصل لا ينبغى كقوله: قد بينا الآيات، وكقوله: أو لم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم، ومنها ما يقتضى الإعراض عنهم، لأن الخصم إذا تبين عناده سقطت مكالمته، ويحتمل أن يكون من هذا قوله: إن الله قادر على أن ينزل آية، ويحتمل أيضا أن يكون معناه قادر على أن ينزل آية تضطرهم إلى الإيمان (ولكن أكثرهم لا يعلمون) حذف مفعول يعلمون، وهو يحتمل وجهين: أحدهما لا يعلمون أن الله قادر، والآخر لا يعلمون أن الله إنما منع الآيات التى تضطرهم إلى الإيمان لمصالح العباد، فإنهم لو رأوها ولم يؤمنوا لعوقبوا بالعذاب (بجناحيه) تأكيد وبيان وإزالة للاستعارة المتعاهدة فى هذه اللفظة، فقد يقال طائر للسعد والنحس (أمم أمثالكم) أى فى الخلق والرزق، والحياة والموت، وغير ذلك، ومناسبة ذكر هذا لما قبله من وجهين: أحدهما أنه تنبيه على مخلوقات الله تعالى، فكأنه يقول: تفكروا فى مخلوقاته، ولا تطلبوا غير ذلك من الآيات، والآخر: تنبيه على البعث، كأنه يقول جميع الدواب والطير يحشر يوم القيامة كما تحشرون أنتم، وهو أظهر لقوله بعده، ثم إلى ربهم يحشرون (ما فرطنا فى الكتاب من شىء) أى ما غفلنا والكتاب هنا هو اللوح المحفوظ، والكلام على هذا عام، وقيل هو القرآن والكلام على هذا خاص: أى ما فرطنا فيه من شىء فيه هدايتكم والبيان لكم (ثم إلى ربهم يحشرون) أى تبعث الدواب والطيور يوم القيامة للجزاء والفصل بينهما (والذين كذبوا الآية: لما ذكر قدرته على بعث الخلق كلهم أتبعه بأن وصف من كذب بذلك بالصمم والبكم، وقوله فى الظلمات

تدعون فيكشف ماتدعون إليه إن شاء وتنسون ماتشركون * ولقد أرسلنا إلى أمم من قبلك فأخذناهم بالبأساء والضراء لعلهم يتضرعون * فلولا إذ جاءهم بأسنا تضرعوا ولكن قست قلوبهم وزين لهم الشيطان ماكانوا يعملون * فلما نسوا ماذكروا به فتحنا عليهم أبواب كل شيء حتى إذا فرحوا بما أوتوا أخذناهم بغتة فإذاهم مبلسون * فقطع دابر القوم الذين ظلموا والحمد لله رب العالمين * قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به انظر كيف نصرف الآيات ثم هم يصدفون * قل أرأيتكم إن أتاكم عذاب الله بغتة أو جهرة هل يهلك إلا القوم الظالمون * وما نرسل المرسلين إلا مبشرين ومنذرين فمن آمن وأصلح فلا خوف عليهم ولاهم يحزنون * والذين كذبوا بآياتنا يمسهم العذاب بما كانوا يفسقون * قل لا أقول لكم عندي خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم إني ملك إن أتبع إلا مايوحى إلي قل هل يستوي الأعمى والبصير أفلا تتفكرون * وأنذر به الذين يخافون أن يحشروا إلى ربهم ليس لهم من دونه ولي ولا شفيع لعلهم يتقون * ولا تطرد الذين

يقوم مقام الوصف بالعمى (قل أرأيتكم) معناه أخبرونى، والضمير الثانى للخطاب، ولا محل له من الإعراب وجواب الشرط محذوف تقديره إن أتاكم عذاب الله أوأتتكم الساعة من تدعون؟ ثم وقفهم على أنهم لايدعون حينئذ إلا الله، ولا يدعون آلهتهم، والآية احتجاج عليهم، وإثبات للتوحيد، وإبطال للشرك (إن شاء) استثناء أى يكشف مانزل بكم إن أراد، ويصيبكم به إن أراد (وتنسون ماتشركون) يحتمل أن يكون من النسيان أوالترك (فأخذناهم بالبأساء والضراء) كان ذلك على وجه التخفيف والتأديب (فلولا) هنا عرض وتحضيض وفيه دليل على نفع التضرع حين الشدائد (فلما نسوا) الآية: أى لما تركوا الاتعاظ بما ذكروا به من الشدائد فتح عليهم أبواب الرزق والنعم ليشكروا عليها فلم يشكروا فأخذهم الله (مبلسون) آيسون من الخير (دابر القوم) آخرهم، وذلك عبارة عن استئصالهم بالكلية (والحمد لله) شكر على هلاك الكفار فإنه نعمة على المؤمنين وقيل إنه إخبار على ماتقدم من الملاطفة فى أخذه لهم بالشر ليزدجروا أو بالخير ليشكروا حتى وجب عليهم العذاب بعد الإنذار والإعذار (قل أرأيتم) الآية. احتجاج على الكفار أيضا (يأتيكم به) الضمير عائد على المأخوذ (يصدفون) أى يعرضون (قل أرأيتكم) الآية: وعيد وتهديد، والبغتة مالم يتقدم لهم شعور به، والجهرة مابدت لهم مخايله، وقيل بغتة بالليل، وجهرة بالنهار (قل لاأقول لكم عندى خزائن الله) الآية: أى لاأدعى شيئا منكرا ولا يستبعد، إنما أنا نبى رسول كما كان غيرى من الرسل (الأعمى والبصير) مثال للضال والمهتدى (وأنذر به الذين يخافون) الضمير فى به يعود على مايوحى والإنذار عام لجميع الناس وإنما خصص هنا بالذين يخافون، لأنه قد تقدم فى الكلام مايقتضى اليأس من إيمان غيرهم فكأنه يقول أنذر الخائفين لأنه ينفعهم الإنذار، وأعرض عمن تقدم ذكره من الذين لا يسمعون ولا يعقلون

يدعون ربهم بالغدوة والعشي يريدون وجهه ما عليك من حسابهم من شيء وما من حسابك عليهم من شيء فتطردهم فتكون من الظالمين ۝ وكذلك فتنا بعضهم ببعض ليقولوا أهؤلاء من الله عليهم من بيننا أليس الله بأعلم بالشاكرين ۝ وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربكم على نفسه الرحمة أنه من عمل منكم سوءا بجهالة ثم تاب من بعده وأصلح فأنه غفور رحيم ۝ وكذلك نفصل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين ۝ قل إني نهيت أن أعبد الذين تدعون من دون الله قل لا أتبع أهواءكم قد ضللت

(ليس لهم من دونه ولىّ ولا شفيع) فى موضع الحال من الضمير فى يحشروا، واستئناف إخبار (لعلهم يتقون) يتعلق بأنذر (ولا تطرد الذين يدعون ربهم) الآية: نزلت فى ضعفاء المؤمنين. كبلال، وعمار ابن ياسر، وعبد الله بن مسعود، وخباب وصهيب، وأمثالهم، وكان بعض المشركين من قريش قد قالوا للنبى صلى الله عليه وآله وسلم: لا يمكننا أن نختلط مع هؤلاء لشرفنا فلو طردتهم لاتبعناك، فنزلت هذه الآية (بالغداة والعشى) قيل هى الصلاة بمكة قبل فرض الخمس وكانت غدوة وعشية، وقيل هى عبارة عن دوام الفعل، ويدعون هنا من الدعاء وذكر الله أو بمعنى العبادة (يريدون وجهه) إخبار عن إخلاصهم لله وفيه تزكية لهم (ماعليك من حسابهم من شيء) الآية: قيل الضمير فى حسابهم للذين يدعون، وقيل للمشركين، والمعنى على هذا لاتحاسب عنهم، ولا يحاسبون عنك، فلا تهتم بأمرهم حتى تطرد هؤلاء من أجلهم، والأول أرجح، لقوله وما أنا بطارد الذين آمنوا، وقوله إن حسابهم إلا على ربى، والمعنى على هذا أنّ الله هو الذى يحاسبهم فلأى شيء تطردهم (فتطردهم) هذا جواب النفى فى قوله ماعليك (فتكون من الظالمين) هذا جواب النهى فى قوله ولا تطرد أو عطف على فتطردهم (وكذلك فتنا بعضهم ببعض) أى ابتلينا الكفار بالمؤمنين، وذلك أن الكفار كانوا يقولون أهؤلاء العبيد والفقراء منّ الله عليهم بالتوفيق للحق والسعادة دوننا، ونحن أشراف أغنياء وكان هذا الكلام منهم على وجه الاستبعاد بذلك (أليس الله بأعلم بالشاكرين) ردّ على الكفار فى قولهم المتقدم (وإذا جاءك الذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم) هم الذين نهى النبى صلى الله عليه وسلم عن طردهم أمر بأن يسلم عليهم إكراما لهم وأن يؤنسهم بما بعد هذا (كتب ربكم على نفسه الرحمة) أى حتمها وفى الصحيح: إن الله كتب كتابا فهو عنده فوق العرش إن رحمتى سبقت غضبى (أنه من عمل منكم سوءا) الآية، وعد بالمغفرة والرحمة لمن تاب وأصلح. وهو خطاب للقوم المذكورين قبل، وحكمها عام فيهم وفى غيرهم والجهالة قد ذكرت فى النساء، وقيل نزلت بسبب أن عمر بن الخطاب أشار على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يطرد الضعفاء عسى أن يسلم الكفار، فلما نزلت لا تطرد ندم عمر على قوله وتاب منه فنزلت الآية، وقرئ أنه بالفتح على البدل من الرحمة وبالكسر على الاستئناف، وكذلك فإنه غفور رحيم بالكسر على الاستئناف وبالفتح خبر ابتداء مضمر تقديره فأمره أنه غفور رحيم، وقيل تكرار للأولى لطول الكلام (وكذلك نفصل) الإشارة إلى ما تقدم من النهى عن الطرد وغير ذلك، وتفصيل الآيات شرحها وبيانها (ولتستبين سبيل المجرمين) بتاء الخطاب ونصب السبيل على أنه مفعول به، وقرئ بتاء التأنيث ورفع السبيل على أنه فاعل مؤنث وبالياء والرفع على تذكير

إِذًا وَمَآ أَنَا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ قُلْ إِنِّى عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَكَذَّبْتُم بِهِ مَا عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ يَقُصُّ الْحَقَّ وَهُوَ خَيْرُ الْفَاصِلِينَ ۞ قُل لَّوْ أَنَّ عِندِى مَا تَسْتَعْجِلُونَ بِهِ لَقُضِىَ الْأَمْرُ بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِالظَّالِمِينَ ۞ وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِى الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَاتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَابٍ مُّبِينٍ ۞ وَهُوَ الَّذِى يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ ۞ ثُمَّ رُدُّوٓا إِلَى اللَّهِ مَوْلَاهُمُ الْحَقِّ أَلَا لَهُ الْحُكْمُ وَهُوَ أَسْرَعُ الْحَاسِبِينَ ۞ قُلْ مَن يُنَجِّيكُم مِّن ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ تَدْعُونَهُ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً لَّئِنْ أَنجَانَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ قُلِ اللَّهُ يُنَجِّيكُم مِّنْهَا وَمِن كُلِّ كَرْبٍ ثُمَّ أَنتُمْ تُشْرِكُونَ ۞ قُلْ هُوَ الْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ انظُرْ كَيْفَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لَعَلَّهُمْ يَفْقَهُونَ ۞ وَكَذَّبَ بِهِ قَوْمُكَ وَهُوَ الْحَقُّ

السبيل ، لأنه يجوز فيه التذكير والتأنيث (الذين تدعون) أى تعبدون (قد ضللت إذاً) أى إن اتبعت أهواءكم ضللت (على بينة) أى على أمر بين من معرفة ربى والهاء فى بينة للمبالغة أو للتأنيث (وكذبتم به) الضمير عائد على الرب أو على البينة (ماعندى ماتستعجلون به) أى العذاب الذى طلبوه فى قولهم : فأمطر علينا حجارة من السماء ، وقيل الآيات التى اقترحوها والأول أظهر (يقص الحق) من القصص وقرئ يقضى بالضاد المعجمة من القضاء وهو أرجح لقوله (وهو خير الفاصلين) أى الحاكمين (قل لو أن عندى ماتستعجلون به لقضى الأمر) أى لو كان عندى العذاب على التأويل الأول ، والآيات المقترحة على التأويل الآخر ، لوقع الانفصال وزال النزاع لنزول العذاب أو لظهور الآيات (مفاتح الغيب) استعارة وعبارة عن التوصل إلى الغيب كما يتوصل بالمفاتح إلى مافى الخزائن ، وهو جمع مفتح بكسر الميم بمعنى مفتاح ، ويحتمل أن يكون جمع مفتح بالفتح وهو المخزن (ولا حبة فى ظلمات الأرض) تنبيه بها على غيرها لأنها أشد تغيبا من كل شىء (فى كتاب مبين) اللوح المحفوظ ، وقيل علم الله (يتوفاكم بالليل) أى إذا نمتم ، وفى ذلك اعتبار واستدلال على البعث الأخروى (ماجرحتم) أى ما كسبتم من الأعمال (يبعثكم فيه) أى يوقظكم من النوم ، والضمير عائد على النهار لأن غالب اليقظة فيه ، وغالب النوم بالليل (أجل مسمى) أجل الموت (حفظة) جمع حافظ وهم الملائكة الكاتبون (توفته رسلنا) أى الملائكة الذين مع ملك الموت (ثم ردوا) خروج من الخطاب إلى الغيبة والضمير لجميع الخلق (قل من ينجيكم) الآية : إقامة حجة ، وظلمات البر والبحر : عبارة عن شدائدهما وأهوالهما كما يقال لليوم الشديد مظلم (عذابا من فوقكم أو من تحت أرجلكم) قيل الذى من فوق إمطار الحجارة ، ومن تحت الخسف ، وقيل من فوقكم : تسليط أكابركم ، ومن تحت أرجلكم : تسليط سفلاتكم ، وهذا بعيد (أو يلبسكم شيعا)

قُل لَّسْتُ عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ ۝ لِّكُلِّ نَبَإٍ مُّسْتَقَرٌّ وَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝ وَإِذَا رَأَيْتَ الَّذِينَ يَخُوضُونَ فِي ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ الشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرَىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّٰلِمِينَ ۝ وَمَا عَلَى الَّذِينَ يَتَّقُونَ مِنْ حِسَابِهِم مِّن شَيْءٍ وَلَٰكِن ذِكْرَىٰ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۝ وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَوٰةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ أُبْسِلُوا بِمَا كَسَبُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ

أى يخلطكم فرقا مختلفين (ويذيق بعضكم بأس بعض) بالقتال ، واختلف هل الخطاب بهذه الآية للكفار أو المؤمنين ؟ وروى أنه لما نزلت أن يبعث عليكم عذابا من فوقكم ، قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أعوذ بوجهه ، فلما نزلت من تحت أرجلكم قال أعوذ بوجهك ، فلما نزلت أو يلبسكم شيعا ، قال النبى صلى الله عليه وسلم : هذا أهون ، فقضى الله على هذه الأمة بالفتن والقتال إلى يوم القيامة (وكذب به قومك) الضمير عائد على القرآن ، أو على الوعيد المتقدم ، وقومك هم قريش (لست عليهم بوكيل) أى بحفيظ ومتسلط ، وفى ذلك متاركة نسختها آية القتال (لكل نبأ مستقر) أى فى غاية يعرف عندها صدق من كذبه (يخوضون فى آياتنا) فى الاستهزاء بها والطعن فيها (فأعرض عنهم) أى قم ولا تجالسهم (وإما ينسينك الشيطان) إما مركبة من إن الشرطية وما الزائدة ، والمعنى إن أنساك الشيطان النهى عن مجالستهم ، فلا تقعد بعد أن تذكر النهى (وما على الذين يتقون من حسابهم من شىء) الذين يتقون هم المؤمنون والضمير فى حسابهم للكفار والمستهزئين والمعنى ليس على المؤمنين شىء من حساب الكفار على استهزائهم وإضلالهم ، وقيل إن ذلك يقتضى إباحة جلوس المؤمنين مع الكافرين ، لأنهم شق عليهم النهى عن ذلك إذ كانوا لا بد لهم من مخالطتهم فى طلب المعاش وفى الطواف بالبيت وغير ذلك ، ثم نسخت بآية النساء ، وهى : وقد نزل عليكم فى الكتاب أن إذا سمعتم آيات الله ، الآية ، وقيل إنها لا تقتضى إباحة القعود (ولكن ذكرى لعلهم يتقون) فيه وجهان أحدهما أن المعنى ليس على المؤمنين حساب الكفار ، ولكن عليهم تذكيراً لهم ، ووعظ ، وإعراب ذكرى على هذا نصب على المصدر وتقديره يذكرونهم ذكرى ، أورفع على المبتدإ تقديره عليهم ذكرى ، والضمير فى لعلهم عائد على الكفار : أى يذكرونهم رجاء أن يتقوا أو عائد على المؤمنين أى يذكرونهم ليكون تذكيرهم ووعظهم تقوى الله . الوجه الثانى أن المعنى ليس نهى المؤمنين عن القعود مع الكافرين بسبب أن عليهم من حسابهم شىء وإنما هو ذكرى للمؤمنين، وإعراب ذكرى على هذا خبر ابتداء مضمر تقديره : ولكن نهيهم ذكرى أو مفعول من أجله تقديره إنما نهوا ذكرى، والضمير فى لعلهم على هذا للمؤمنين لا غير (وذر الذين) قيل إنها متاركة منسوخة بالسيف ، وقيل بل هى تهديد فلا متاركة ولا نسخ فيها (اتخذوا دينهم لعبا ولهوا) أى اتخذوا الدين الذى كان ينبغى لهم لعبا ولهوا لأنهم سخروا منا واتخذوا الدين الذى يعتقدونه لعبا ولهواً لأنهم لا يؤمنون بالبعث فهم يلعبون ويلهون (وذكر به) الضمير عائد على الدين أو على القرآن (أن تبسل) قيل معناه أن تحبس، وقيل تفضح ، وقيل تهلك وهو فى موضع مفعول من أجله أى ذكر به كراهة أن تبسل نفس (وإن تعدل كل عدل) أى وإن تعط كل فدية

بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ * قُلْ أَنَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَىٰٓ أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰنَا اللَّهُ كَالَّذِى اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَٰطِينُ فِى الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُۥٓ أَصْحَٰبٌ يَدْعُونَهُۥٓ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَىٰ وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَٰلَمِينَ * وَأَنْ أَقِيمُوا الصَّلَوٰةَ وَاتَّقُوهُ وَهُوَ الَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَهُوَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَيَوْمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُ قَوْلُهُ الْحَقُّ وَلَهُ الْمُلْكُ يَوْمَ يُنفَخُ فِى الصُّورِ عَٰلِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ * وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ ءَازَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا ءَالِهَةً إِنِّىٓ أَرَىٰكَ وَقَوْمَكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ * وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبْرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ * فَلَمَّا جَنَّ عَلَيْهِ الَّيْلُ رَءَا كَوْكَبًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ الْءَافِلِينَ * فَلَمَّا رَءَا الْقَمَرَ بَازِغًا قَالَ هَٰذَا رَبِّى

لا يؤخذ منها (قل أندعوا من دون الله) الآية : إقامة حجة وتوبيخ للكفار (ونرد على أعقابنا) أى نرجع من الهدى إلى الضلال وأصل الرجوع على العقب فى المشى، ثم استعير فى المعانى، وهذه جملة معطوفة على أندعوا، والهمزة فيه للإنكار والتوبيخ (كالذى استهوته الشياطين) الكاف فى موضع نصب على الحال من الضمير فى نرد : أى كيف نرجع مشبهين من استهوته الشياطين أو نعت لمصدر محذوف تقديره رداً كرد الذى، ومعنى استهوته الشياطين ذهبت به فى مهامه الأرض، وأخرجته عن الطريق فهو استفعال من هوى يهوى فى الأرض إذا ذهب فيها، وقال الفارسى: استهوى بمعنى أهوى ومثل أستذل بمعنى أذل (حيران) أى ضال عن الطريق ، وهو نصب على الحال من المفعول فى استهوته (له أصحاب يدعونه إلى الهدى ائتنا) أى لهذا المستهوى أصحاب وهم رفقة يدعونه إلى الهدى أى إلى أن يهدوه إلى الطريق ، يقولون له ائتنا ، وهو قد تاه وبعد عنهم فلا يجيبهم : وهذا كله تمثيل لمن ضل فى الدين عن الهدى، وهو يدعى إلى الإسلام فلا يجيب ، وقيل نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر الصديق حين كان أبوه يدعوه إلى الإسلام ، ويبطل هذا قول عائشة ما نزل فى آل أبى بكر شىء من القرآن إلا براءتى (وأن أقيموا) عطف على لنسلم ، أو على مفعول أمرنا (قوله الحق) مرفوع بالابتداء وخبره يوم يقول ، وهو مقدم عليه والعامل فيه معنى الاستقرار كقولك يوم الجمعة القتال ، واليوم بمعنى الحين وفاعل يكون مضمر ، وهو فاعل كن أى حين يقول لشىء كن فيكون ذلك الشىء (يوم ينفخ فى الصور) ظرف لقوله له الملك كقوله لمن الملك اليوم ، وقيل فى إعراب الآية غير هذا مما هو ضعيف أو تخليط (عالم الغيب والشهادة) خبر ابتداء مضمر (لأبيه آزر) هو اسم أبى إبراهيم ، فإعرابه عطف بيان أو بدل ، ومنع من الصرف للعجمة والعلمية ، لا للوزن لأن وزنه فاعل نحو عابر وشالخ ، وقرئ بالرفع على النداء ، وقيل إنه اسم صنم لأنه ثبت أن اسم أبى إبراهيم تارخ ، فعلى هذا يحتمل أن يكون لقباً لملازمته له ، أو أريد عابد آزر ، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه ، وذلك بعيد ، ولا يبعد أن يكون له اثنان (نرى إبراهيم ملكوت السموات والأرض) قيل إنه فرج الله السموات والأرض حتى رأى ببصره الملك الأعلى والأسفل ، وهذا يحتاج إلى صحة نقل ، وقيل رأى ما يراه الناس من الملكوت، ولكنه وقع له بها من الاعتبار والاستدلال ما لم يقع لأحد من أهل زمانه (وليكون) متعلق بمحذوف تقديره وليكون من الموقنين فعلنا به ذلك (فلما جن عليه الليل) أى ستره يقال جن عليه الليل وأجنه

فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمْ يَهْدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلضَّآلِّينَ * فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمْسَ بَازِغَةً قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكْبَرُ فَلَمَّآ أَفَلَتْ قَالَ يَٰقَوْمِ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * إِنِّى وَجَّهْتُ وَجْهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ حَنِيفًا وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ * وَحَآجَّهُۥ قَوْمُهُۥ قَالَ أَتُحَٰٓجُّوٓنِّى فِى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنِ وَلَآ أَخَافُ مَا تُشْرِكُونَ بِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَشَآءَ رَبِّى شَيْـًٔا وَسِعَ رَبِّى كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ ۝ وَكَيْفَ أَخَافُ مَآ أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ عَلَيْكُمْ سُلْطَٰنًا فَأَىُّ ٱلْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِٱلْأَمْنِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ۝ وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ نَرْفَعُ

(رأى كوكبا قال هذا ربى) يحتمل أن يكون هذا الذى جرى لإبراهيم فى الكوكب والقمر والشمس أن يكون قبل البلوغ والتكليف. وقد روى أن أمه ولدته فى غار خوفا من نمروذ إذكان يقتل الأطفال لأن المنجمين أخبروه أن هلاكه على يد صبى، ويحتمل أن يكون جرى له ذلك بعد بلوغه وتكليفه، وأنه قال ذلك لقومه على وجه الرد عليهم والتوبيخ لهم، وهذا أرجح لقوله بعد ذلك (إنى برىء مما تشركون) ولا يتصور أن يقول ذلك وهو منفرد فى الغار لأن ذلك يقتضى محاجة وردا على قومه، وذلك أنهم كانوا يعبدون الأصنام والشمس والقمر والكواكب، فأراد أن يبين لهم الخطأ فى دينهم وأن يرشدهم إلى أن هذه الأشياء لا يصح أن يكون واحدا منها إلها لقيام الدليل على حدوثها وأن الذى أحدثها ودبر طلوعها وغروبها وأفولها هو الإله الحق وحده، وقوله: هذا ربى قول من ينصف خصمه مع علمه أنه مبطل لأن ذلك أدعى إلى الحق وأقرب إلى رجوع الخصم، ثم أقام عليهم الحجة بقوله. لا أحب الآفلين: أى لا أحب عبادة المتغيرين لأن التغير دليل على الحدوث، والحدوث ليس من صفة الإله ثم استمر على ذلك المنهاج فى القمر وفى الشمس، فلما أوضح البرهان، وأقام عليهم الحجة، جاهرهم بالبراءة من باطلهم، فقال إنى برىء مما تشركون، ثم أعلن لعبادته لله وتوحيده له فقال: إنى وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض، ووصف الله تعالى بوصف يقتضى توحيده وانفراده بالملك، فإن قيل: لم احتج بالأفول دون الطلوع، وكلاهما دليل على الحدوث لأنهما انتقال من حال إلى حال؟ فالجواب أنه أظهر فى الدلالة، لأنه انتقال مع اختفاء واحتجاب (أتحاجونى فى الله) أى فى الإيمان بالله وفى توحيده والأصل أتحاجوننى بنونين وقرئ بالتشديد على إدغام أحدهما فى الآخر، وبالتخفيف على حذف أحدهما واختلف هل حذفت الأولى أو الثانية (ولا أخاف ما تشركون به) ما هنا بمعنى الذى ويريد بها الأصنام، وكانوا قد خوفوه أن تصيبه أصنامهم بضر، فقال لا أخاف منهم لأنهم لا يقدرون على شىء (إلا أن يشاء ربى شيئا) استثناء منقطع بمعنى لكن: أى إنما أخاف من ربى إن أراد بى شيئا (وكيف أخاف ما أشركتم) أى كيف أخاف شركاءكم الذين لا يقدرون على شىء وأنتم لا تخافون ما فيه كل خوف، وهو إشراككم بالله وأنتم تنكرون على الأمن فى موضع الأمن، ولا تنكرون على أنفسكم الأمن فى موضع الخوف، ثم أوقفهم على ذلك بقوله فأى الفريقين أحق بالأمن يعنى فريق المؤمنين، وفريق الكافرين، ثم أجاب عن السؤال بقوله (الذين آمنوا) الآية: وقيل إن الذين

دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ * وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ * وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ * وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ * وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ * ذَٰلِكَ هُدَى ٱللَّهِ يَهْدِى بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَلَوْ أَشْرَكُوا۟ لَحَبِطَ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا۟ بِهَا بِكَٰفِرِينَ * أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرَىٰ لِلْعَٰلَمِينَ * وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ إِذْ قَالُوا۟ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٍ مِّن شَىْءٍ قُلْ مَنْ أَنزَلَ ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِى جَآءَ بِهِۦ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُۥ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنتُمْ وَلَآ ءَابَآؤُكُمْ قُلِ ٱللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِى خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ * وَهَٰذَا كِتَٰبٌ

آمنوا : استئناف ، وليس من كلام إبراهيم (ولم يلبسوا إيمانهم بظلم) لما نزلت هذه الآية أشفق منها أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، فقالوا وأينا لم يظلم نفسه ، فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنما ذلك كما قال لقمان لابنه : يابنى لا تشرك بالله إن الشرك لظلم عظيم (وتلك حجتنا) إشارة إلى ما تقدم من استدلاله واحتجاجه (ومن ذريته) الضمير لإبراهيم أو لنوح عليهما السلام ، والأول هو الصحيح لذكر لوط وليس من ذرية إبراهيم (داود) عطف على نوحا أى وهدينا داود (وعيسى) فيه دليل على أن أولاد البنات يقال فيهم ذرية ، لأن عيسى ليس له أب فهو ابن ابنة نوح (ومن آبائهم) فى موضع نصب عطف على كلا أى وهدينا بعض آبائهم (فإن يكفر بها هؤلاء) أى أهل مكة (وكلنا بها قوما) هم الأنبياء المذكورون ، وقيل الصحابة ، وقيل كل مؤمن والأول أرجح لدلالة ما بعده على ذلك ، ومعنى توكيلهم بها توفيقهم للإيمان بها والقيام بحقوقها (أولئك الذين هدى الله) إشارة إلى الأنبياء المذكورين (فبهداهم اقتده) استدل به من قال إن شرع من قبلنا شرع لنا فأما أصول الدين من التوحيد والإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، فاتفقت فيه جميع الأمم والشرائع ، وأما الفروع ففيها وقع الاختلاف بين الشرائع والخلاف هل يقتدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم فيها بمن قبله أم لا ؟ والهاء فى اقتده للوقف فينبغى أن تسقط فى الوصل ، ولكن من أثبتها فيه راعى ثبوتها فى خط المصحف (وما قدروا الله حق قدره) أى ما عرفوه حق معرفته فى اللطف بعباده والرحمة لهم إذ أنكروا بعثه للرسل وإنزاله للكتب ، والقائلون هم اليهود بدليل ما بعده ، وإنما قالوا ذلك مبالغة فى إنكار نبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، وروى أن الذى قالها منهم مالك بن الضيف ، فرد الله عليهم بأن ألزمهم ما لابد لهم من الإقرار به وهو إنزال التوراة على موسى ، وقيل القائلون قريش ، ولزموا ذلك لأنهم كانوا مقرين بالتوراة (وعلمتم مالم تعلموا) الخطاب لليهود أو لقريش على وجه إقامة الحجة والرد عليهم فى

أَنزَلْنَـٰهُ مُبَارَكٌ مُّصَدِّقُ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَهُمْ عَلَىٰ صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ * وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِىَ إِلَىَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَىْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلظَّـٰلِمُونَ فِى غَمَرَٰتِ ٱلْمَوْتِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ بَاسِطُوٓا۟ أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوٓا۟ أَنفُسَكُمُ ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ ٱلْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَكُنتُمْ عَنْ ءَايَـٰتِهِۦ تَسْتَكْبِرُونَ * وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَٰدَىٰ كَمَا خَلَقْنَـٰكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَـٰكُمْ وَرَآءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَـٰٓؤُا۟ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ * إِنَّ ٱللَّهَ فَالِقُ ٱلْحَبِّ وَٱلنَّوَىٰ يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ * فَالِقُ ٱلْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ ٱلَّيْلَ سَكَنًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ * وَهُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلنُّجُومَ لِتَهْتَدُوا۟

قولهم ماأنزل الله على بشر من شيء ، فإن كان لليهود ، فالذى علموه التوراة ، وإن كان لقريش فالذى علموه ماجاءبه محمد صلى الله عليه وسلم (قل الله) جواب من أنزل واسم الله مرفوع بفعل مضمر تقديره أنزله الله أو مرفوع بالابتداء (ولتنذر) عطف على صفة الكتاب (أم القرى) مكة ، وسميت أم القرى ، لأنها مكان أول بيت وضع للناس ، ولأنه جاء أن الأرض دحيت منها ولأنها يحج إليها أهل القرى من كل فج عميق (أو قال أوحى إلىّ) هو مسيلمة وغيره من الكذابين الذين ادعوا النبوة (ومن قال سأنزل مثل ماأنزل الله) هو النضر بن الحرث لأنه عارض القرآن واللفظ عام فيه وفى غيره من المستهزئين (ولو ترى) جوابه محذوف تقديره : لرأيت أمراً عظيما ، والظالمون : من تقدم ذكره من اليهود والكذابين والمستهزئين ، فتكون اللام للعهد ، وأعم من ذلك فتكون للجنس (باسطوا أيديهم) أى تبسط الملائكة أيديهم إلى الكفار يقولون لهم أخرجوا أنفسكم ، وهذه عبارة عن التعنيف فى السياق والشدة فى قبض الأرواح (اليوم تجزون) يحتمل أن يريد ذلك الوقت بعينه أو الوقت الممتد من حينئذ إلى الأبد (الهون) الذلة (فرادى) منفردين عن أموالكم وأولادكم أو عن شركائهم ، والأول يترجح لقوله تركتم ماخولناكم : أى ماأعطيناكم من الأموال والأولاد ، ويترجح الثانى بقوله : ومانرى معكم شفعاءكم (تقطع بينكم) تفرق شملكم ومن قرأه بالرفع أسند الفعل إلى الظرف واستعمله استعمال الأسماء ، ويكون البين بمعنى الفرقة ، أو بمعنى الوصل ، ومن قرأه بالنصب : فالفاعل مصدر الفعل ، أو محذوف تقديره تقطع الاتصال بينكم (فالق الحب والنوى) أى يفلق الحب تحت الأرض لخروج النبات منها ، ويفلق النوى لخروج الشجر منها وقيل أراد الشقين الذين فى النواة والحنطة ، والأول أرجح لعمومه فى أصناف الحبوب (يخرج الحىّ) تقدم فى آل عمران (ومخرج الميت من الحىّ) معطوف على فالق (فالق الإصباح) أى الصبح فهو مصدر سمى به الصبح ، ومعنى فلقه أخرجه من الظلمات ، وقيل إن الظلمة هى التى تنفلق عن الصبح ، فالتقدير فالق ظلمة الإصباح (سكنا) أى يسكن فيه عن الحركات ويستراح (حسبانا) أى يعلم بهما حساب الأزمان والليل والنهار (ذلك تقدير العزيز العليم) ماأحسن ذكر هذين الإسمين هنا لأن العزيز يغلب كل شيء

بِهَا فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنشَأَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ فَمُسْتَقَرٌّ وَمُسْتَوْدَعٌ قَدْ فَصَّلْنَا ٱلْآيَٰتِ لِقَوْمٍ يَفْقَهُونَ ۝ وَهُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ نَبَاتَ كُلِّ شَىْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُّخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُّتَرَاكِبًا وَمِنَ ٱلنَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّٰتٍ مِّنْ أَعْنَابٍ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ ٱنظُرُوٓا۟ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَيَنْعِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكُمْ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَجَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ ٱلْجِنَّ وَخَلَقَهُمْ وَخَرَقُوا۟ لَهُۥ بَنِينَ وَبَنَٰتٍۭ بِغَيْرِ عِلْمٍ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يَصِفُونَ ۝ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ۝ ذَٰلِكُمُ

ويقهره ، وهو قد قهر الشمس والقمر وسخرهما كيف شاء ، والعليم لما فى تقدير الشمس والقمر والليل والنهار من العلوم والحكمة العظيمة وإتقان الصنعة (فى ظلمات البر والبحر) أى فى ظلمات الليل فى البر والبحر ، وأضاف الظلمة إليها لملابستها لها ، أو شبه الطرق المشتبهة بالظلمات (فمستقر ومستودع) من كسر القاف من مستقر فهو اسم فاعل ، ومستودع اسم مفعول ، والتقدير فنكم مستقر ومستودع ، ومن فتحها ؛ فهو اسم مكان أو مصدر ، ومستودع مثله ، والتقدير على هذا لكم مستقر ومستودع ، والاستقرار فى الرحم والاستيداع فى الصلب ، وقيل الاستقرار فوق الأرض والاستيداع تحتها (فأخرجنا به) الضمير عائد على الماء (فأخرجنا منه) الضمير عائد على النبات (خضرا) أى أخضر غضا ، وهو يتولد من أصل النبات من الفراخ (نخرج منه) الضمير عائد على الخضر (حبا متراكبا) يعنى السنبل لأن حبه بعضه على بعض ، وكذلك الرمان وشبهه (قنوان) جمع قنو ، وهو العنقود من التمر ، وهو مرفوع بالابتداء وخبره من النخل ، ومن طلعها بدل ، والطلع أول مايخرج من التمر فى أكمامه (دانية) أى قريبة سهلة التناول ، وقيل قريبة بعضها من بعض (وجنات من أعناب) بالنصب عطف على نبات كل شىء وقرئ فى غير السبع بالرفع عطف على قنوان (مشتبها وغير متشابه) نصب على الحال من الزيتون والرمان ، أو من كل ما تقدم من النبات ، والمشتبه والمتشابه بمعنى واحد أى من النبات ما يشبه بعضه بعضا فى اللون والطعم والصورة ، ومنه ما لا يشبه بعضه بعضا ، وفى ذلك دليل قاطع على الصانع المختار القدير العليم المريد (انظروا إلى ثمره إذا أثمر وينعه) أى انظروا إلى ثمره أول ما يخرج ضعيفا لامنفعة فيه ، ثم ينتقل من حال إلى حال حتى ينيع أى ينضج ويطيب (شركاء الجن) نصب الجن على أنه مفعول أول لجعلوا وشركاء مفعول ثان ، وقدم لاستعظام الإشراك ، أو شركاء مفعول أول ، والله فى موضع المفعول الثانى والجن بدل من شركاء والمراد بهم هنا الملائكة ، وذلك ردا على من عبدهم ؛ وقيل المراد الجن ، والإشراك بهم طاعتهم (وخلقهم) الواو للحال ، والمعنى الرد عليهم : أى جعلوا لله شركاء ، وهو خلقهم ، والضمير عائد على الجن ، أو على الجاعلين ، والحجة قائمة على الوجهين (وخرقوا له بنين وبنات) أى اختلقوا وزوروا ، والبنين قول النصارى فى المسيح ، واليهود فى عزير ، والبنات قول العرب فى الملائكة (بغير علم) أى قالوا ذلك بغير دليل ولا حجة بل بمجرد افتراء (بديع) ذكر معناه فى البقرة ، ورفعه على أنه خبر ابتداء مضمر أو مبتدأ وخبره : أنى يكون ، وفاعل تعالى ، والقصد به الرد على من نسب لله البنين والبنات ، وذلك من وجهين : أحدهما أن

اللهُ رَبُّكُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ فَٱعْبُدُوهُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۞ لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ ۞ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ ۞ وَكَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ ٱلْءَايَٰتِ وَلِيَقُولُوا۟ دَرَسْتَ وَلِنُبَيِّنَهُۥ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ ٱتَّبِعْ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْمُشْرِكِينَ ۞ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكُوا۟ وَمَا جَعَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ۞ وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِم مَّرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ۞ وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ لَّيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَمَا يُشْعِرُكُمْ أَنَّهَآ إِذَا جَآءَتْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَٰرَهُمْ

الولد لا يكون إلا من جنس والده ، والله تعالى متعال عن الأجناس ، لأنه مبدعها ، فلا يصح أن يكون له ولد والآخر أن الله خلق السموات والأرض ومن كان هكذا فهو غني عن الولد وعن كل شيء (فاعبدوه) مسبب عن مضمون الجملة أي من كان هكذا فهو المستحق للعبادة وحده (لا تدركه الأبصار) يعني في الدنيا وأما في الآخرة ، فالحق أن المؤمنين يرون ربهم بدليل قوله : إلى ربها ناظرة ، وقد جاءت في ذلك أحاديث صحيحة صريحة ، لا تحتمل التأويل ، وقالت الأشعرية إن رؤية الله تعالى في الدنيا جائزة عقلا ، لأن موسى سألها من الله ، ولا يسأل موسى ما هو محال ، وقد اختلف الناس هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربه ليلة الإسراء أم لا (وهو يدرك الأبصار) قال بعضهم الفرق بين الرؤية والإدراك أن الإدراك يتضمن الإحاطة بالشيء والوصول إلى غايته ، فلذلك نفى أن تدرك أبصار الخلق ربهم ، ولا يقتضي ذلك نفي الرؤية وحسن على هذا قوله وهو يدرك الأبصار لإحاطة علمه تعالى بالخفيات (اللطيف الخبير) أي لطيف عن أن تدركه الأبصار وهو الخبير بكل شيء ، وهو يدرك الأبصار (قد جاءكم بصائر) جمع بصيرة ، وهو نور القلب ، والبصر نور العين ، وهذا الكلام على لسان النبي صلى الله عليه وسلم وما أنا عليكم بحفيظ (وليقولوا) متعلق بمحذوف تقديره ليقولوا صرفنا الآيات (درست) بإسكان السين وفتح التاء درست العلم وقرأته ، ودارست بالألف أي دارست العلم وتعلمت منه ، ودرست بفتح السين وإسكان التاء بمعنى قدمت هذه الآيات ودرت (ولنبينه) الضمير للآيات وجاء مذكرا لأن المراد بها القرآن (وأعرض عن المشركين) إن كان معناه أعرض عما يدعونك إليه ؛ أو عن مجادلتهم فهو محكم ، وإن كان عن قتالهم وعقابهم فهو منسوخ وكذلك ما أنا عليكم بحفيظ وبوكيل (ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله) أي لا تسبوا آلهتهم فيكون ذلك سببا لأن يسبوا الله ، واستدل المالكية بهذا على سد الذرائع (قل إنما الآيات عند الله) أي هي بيد الله لا بيدي (وما يشعركم) أي ما يدريكم ، وهو من الشعور بالشيء ، وما نافية أو استفهامية (أنها إذا جاءت لا يؤمنون) من قرأ بفتح أنها فهو معمول يشعركم : أي ما يدريكم أن الآيات إذا جاءتهم لا يؤمنون بها ، نحن نعلم ذلك وأنتم لا تعلمونه وقيل لا زائدة ، والمعنى ما يشعركم أنهم يؤمنون ، وقيل أن هنا بمعنى لعل فمن قرأ بالكسر فهي استئناف إخبار وتم الكلام في قوله وما يشعركم أي ما يشعركم ما يكون منهم فعلى القراءة بالكسر يوقف على ما يشعركم وأما على القراءة

كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَآ إِلَيْهِمُ الْمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَىٰ
وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَىْءٍ قُبُلًا مَّا كَانُوا لِيُؤْمِنُوٓا إِلَّآ أَن يَشَآءَ اللَّهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ ۞ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا
لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ مَا فَعَلُوهُ
فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۞ وَلِتَصْغَىٰٓ إِلَيْهِ أَفْـِٔدَةُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَلِيَرْضَوْهُ وَلِيَقْتَرِفُوا مَا هُم مُّقْتَرِفُونَ ۞
أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِى حَكَمًا وَهُوَ الَّذِىٓ أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَٰبَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ
مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ ۞ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَّا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَهُوَ السَّمِيعُ
الْعَلِيمُ ۞ وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِى الْأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞
إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ مَن يَضِلُّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ إِن كُنتُم بِـَٔايَٰتِهِۦ
مُؤْمِنِينَ ۞ وَمَا لَكُمْ أَلَّا تَأْكُلُوا مِمَّا ذُكِرَ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَقَدْ فَصَّلَ لَكُم مَّا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ

بالفتح فإن كانت مصدرية لم يوقف عليه لأنه عامل فيها وإن كانت بمعنى لعل فأجاز بعض الناس الوقف ومنعه شيخنا أبو جعفر بن الزبير ، لما في لعل من معنى التعليل (ونقلب أفئدتهم وأبصارهم) أي نطبع عليها ونصدها عن الفهم فلا يفهمون (كما لم يؤمنوا) الكاف للتعليل أي نطبع على أفئدتهم وأبصارهم عقوبة لهم على أنهم لا يؤمنون به أول مرة ، ويحتمل أن تكون للتشبيه أي نطبع عليها إذا رأوا الآيات مثل طبعنا عليها أول مرة (ولو أننا نزلنا إليهم الملائكة) الآية : رد عليهم في قسمهم أنهم لو جاءتهم آية ليؤمنون بها أي لو أعطيناهم هذه الآيات التي اقترحوها وكل آية لم يؤمنوا إلا أن يشاء الله (قبلا) بكسر القاف وفتح الباء أي معاينة فنصبه على الحال ، وقرئ بضمتين ، ومعناه مواجهة : كقوله : قدمن قبل ، وقيل هو جمع قبيل بمعنى كفيل ، أي كفلا بتصديق رسول الله صلى الله عليه وسلم (وكذلك جعلنا لكل نبي عدوا) الآية : تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم بالتأسي لغيره (شياطين الإنس والجن) أي المتمردين من الصنفين ، ونصب شياطين على البدل من عدوا ، إذ هو بمعنى الجمع أو مفعول أول ، وعدوا مفعول ثان (يوحي بعضهم إلى بعض) أي يوسوس ويلقي الشر (زخرف القول غرورا) ما يزينه من القول (ولو شاء ربك ما فعلوه) الضمير عائد على وحيهم ، أو على عداوة الكفار (فذرهم) وعيد (وما يفترون) ما في موضع نصب على أنها مفعول معه أو عطف على الضمير (ولتصغى) أي تميل وهو متعلق بمحذوف واللام لام الصيرورة (إليه) الضمير لوحيهم (وليقترفوا) يكتسبوا (أفغير الله) معمول لقول محذوف أي قل لهم (وتمت كلمت ربك) أي صحت والكلمات ما نزل على عباده من كتبه (صدقا وعدلا) أي صدقا فيما أخبر وعدلا فيما حكم (فكلوا مما ذكر اسم الله عليه) القصد بهذا الأمر إباحة ما ذكر اسم الله عليه ، والنهي عما ذبح للنصب وغيرها ، وعن الميتة وهذا النهي يقتضيه دليل الخطاب من الأمر ، ثم صرح به في قوله ولا تأكلوا مما لم يذكر اسم الله عليه ؛ وقد استدل بذلك من أوجب التسمية على الذبيحة وإنما جاء الكلام في سياق تحريم الميتة وغيرها ،

كَثِيرًا لَّيُضِلُّونَ بِأَهْوَآئِهِم بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِالْمُعْتَدِينَ * وَذَرُوا ظَٰهِرَ الْإِثْمِ وَبَاطِنَهُ إِنَّ الَّذِينَ يَكْسِبُونَ الْإِثْمَ سَيُجْزَوْنَ بِمَا كَانُوا يَقْتَرِفُونَ * وَلَا تَأْكُلُوا مِمَّا لَمْ يُذْكَرِ اسْمُ اللَّهِ عَلَيْهِ وَإِنَّهُ لَفِسْقٌ وَإِنَّ الشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ * أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَٰهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَٰتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْكَٰفِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ أَكَٰبِرَ مُجْرِمِيهَا لِيَمْكُرُوا فِيهَا وَمَا يَمْكُرُونَ إِلَّا بِأَنفُسِهِمْ وَمَا يَشْعُرُونَ * وَإِذَا جَآءَتْهُمْ ءَايَةٌ قَالُوا لَن نُّؤْمِنَ حَتَّىٰ نُؤْتَىٰ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ رُسُلُ اللَّهِ اللَّهُ أَعْلَمُ حَيْثُ يَجْعَلُ رِسَالَتَهُ سَيُصِيبُ الَّذِينَ أَجْرَمُوا صَغَارٌ عِندَ اللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا كَانُوا يَمْكُرُونَ * فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَٰمِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَآءِ كَذَٰلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ

فإن حملناه على ذلك لم يكن فيه دليل على وجوب التسمية فى ذبائح المسلمين ، وإن حملناه على عمومه كان فيه دليل على ذلك ، وقال عطاء : وهذه الآية أمر بذكر الله على الذبح والأكل والشرب (ومالكم ألا تأكلوا) المعنى أى غرض لكم فى ترك الأكل ، مما ذكر اسم الله عليه ، وقد بين لكم الحلال من الحرام (إلا ما اضطررتم اليه) استثناء بما حرم (وذروا ظاهر الإثم وباطنه) لفظ يعم أنواع المعاصى ؛ لأن جميعها إما باطن وإما ظاهر ؛ وقيل الظاهر الأعمال والباطن الاعتقاد (وإنه لفسق) الضمير لمصدر لا تأكلوا (وإن الشياطين ليوحون إلى أوليائهم ليجادلوكم) سببها أن قوما من الكفار قالوا إنا نأكل ما قتلناه ، ولا نأكل ما قتل الله يعنون الميتة (أومن كان ميتا فأحييناه) الموت هنا عبارة عن الكفر ، والاحياء عبارة عن الايمان ، والنور : نور الايمان ، والظلمات الكفر ؛ فهى استعارات وفى قوله ميتا فأحييناه مطابقة وهى من أدوات البيان ، ونزلت الآية فى عمار بن ياسر ، وقيل فى عمر بن الخطاب والذى فى الظلمات أبو جهل ، ولفظها أعم من ذلك (كمن مثله) مثل هنا بمعنى صفة ، وقيل زائدة ، والمعنى كمن هو (وكذلك جعلنا فى كل قرية أكابر) أى كما جعلنا فى مكة أكابرها ليمكروا فيها جعلنا فى كل قرية ، وإنما ذكر الأكابر ، لأن غيرهم تبع لهم ؛ والمقصود تسلية النبى صلى الله عليه وسلم (مجرميها) إعرابه مضاف اليه عند الفارسى وغيره ؛ وقال ابن عطية وغيره : إنه مفعول أول بجعلنا وأكابر مفعول ثان مقدم ؛ وهذا جيد فى المعنى ضعيف فى العربية ، لأن أكابر جمع أكبر وهو من أفعل فلا يستعمل إلا بمن أو بالاضافة (وقالوا لن نؤمن) الآية : قائل هذه المقالة أبو جهل ، وقيل الوليد بن المغيرة ، لأنه قال أنا أولى بالنبوة من محمد (الله أعلم حيث يجعل رسالته) رد عليهم فيما طلبوه ، والمعنى أن الله علم أن محمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم أهل للرسالة ، فخصه بها وعلم أنهم لبسوا بأهل لها فحرمهم إياها ، وفى الآية من أدوات البيان الترديد لكونه ختم كلامهم باسم الله ثم رده فى أول كلامه (صغار) أى ذلة (يشرح صدره للإسلام) شرح الصدر وضيقه وحرجه : ألفاظ مستعارة ومن قرأ حرجا بفتح الراء فهو مصدر وصف به (كأنما يصعد فى السماء) أى كأنما يحاول الصعود إلى السماء ، وذلك غير ممكن ، فكذلك يصعب عليه الإيمان وأصل يصعد المشدد يتصعد ، وقرئ بالتخفيف

عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا صِرَاطُ رَبِّكَ مُسْتَقِيمًا قَدْ فَصَّلْنَا الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَذَّكَّرُونَ * لَهُمْ دَارُ السَّلَامِ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَهُوَ وَلِيُّهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ قَدِ اسْتَكْثَرْتُمْ مِنَ الْإِنْسِ وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنَ الْإِنْسِ رَبَّنَا اسْتَمْتَعَ بَعْضُنَا بِبَعْضٍ وَبَلَغْنَا أَجَلَنَا الَّذِي أَجَّلْتَ لَنَا قَالَ النَّارُ مَثْوَاكُمْ خَالِدِينَ فِيهَا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ آيَاتِي وَيُنْذِرُونَكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا قَالُوا شَهِدْنَا عَلَىٰ أَنْفُسِنَا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَشَهِدُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَافِرِينَ * ذَٰلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ * وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِمَّا عَمِلُوا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ * وَرَبُّكَ الْغَنِيُّ

(دار السلام) الجنة ، والسلام هنا يحتمل أن يكون اسم الله ، فأضافها إليه ؛ لأنها ملكه وخلقه ، أو بمعنى السلامة والتحية (ويوم نحشرهم) العامل فى يوم محذوف تقديره اذكر ، وتقديره قلنا ، ويكون على هذا عاملا فى يوم وفى (يامعشر الجن قد استكثرتم من الإنس) أى أضللتم منهم كثيرا ، وجعلتموهم أتباعكم كما تقول استكثر الأمير من الجيش (استمتع بعضنا ببعض) استمتاع الجن بالإنس : طاعتهم لهم واستمتاع الإنس بالجن كقوله . وأنه كان رجال من الإنس يعوذون برجال من الجن ، فإن الرجل كان إذا نزل واديا قال أعوذ بصاحب هذا الوادى يعنى كبير الجن (وبلغنا أجلنا) هو الموت وقيل الحشر (إلا ماشاء الله) قيل الاستثناء من الكاف والميم فى مثواكم فما بمعنى من ، لأنها وقعت على صنف من الجن والإنس والمستثنى على هذا من آمن منهم ، وقيل الاستثناء من مدة الخلود وهو الزمان الذى بين حشرهم إلى دخول النار ، وقيل الاستثناء من النار ، وهو دخولهم الزمهرير ، وقيل ليس المراد هنا بالاستثناء الإخراج ، وإنما هو على وجه الأدب مع الله ، وإسناد الأمور إليه (نولى بعض الظالمين بعضا) أى نجعل بعضهم وليا لبعض ، وقيل يتبع بعضهم بعضا فى دخول النار ، وقيل نساط بعضهم على بعض (ألم يأتكم رسل) تقرير للجن والإنس ، فقيل إن الجن بعث فيهم رسل منهم لظاهر الآية ، وقيل إنما الرسل من الإنس خاصة ، وإنما قال رسل منكم لأنه جمع الثقلين فى الخطاب (وشهدوا على أنفسهم) لا تنافى بينه وبين قولهم ما كنا مشركين ، لما تقدم هناك فإن قيل : لم كرر شهادتهم على أنفسهم ؟ فالجواب أن قولهم شهدنا على أنفسنا قول قالوه هم ، وقوله شهدوا على أنفسهم ذم لهم وتقبيح لحالهم (ذلك) خبر ابتداء مضمر تقديره الأمر ذلك أو مفعول لفعل مضمر تقديره فعلنا ذلك ، والإشارة إلى بعث الرسل (أن لم يكن) تعليل لبعث الرسل ، وهو فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من ذلك (بظلم) فيه وجهان : أحدهما أن الله لم يكن ليهلك القرى دون بعث الرسل إليهم ، فيكون إهلاكهم ظلما إذ لم ينذرهم ، فهو كقوله : وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، والآخر أن الله لايهلك القرى بظلمهم إذا ظلموا ، دون أن ينذرهم ، ففاعل الظلم على هذا أهل القرى وغفلتهم عدم إنذارهم ، حكى الوجهين ابن عطية والزمخشرى والوجه الأول صحيح على مذهب المعتزلة ، ولا يصح على مذهب أهل السنة ، لأن الله لو أهلك عباده بغير

ذُو الرَّحْمَةِ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَسْتَخْلِفْ مِن بَعْدِكُم مَّا يَشَاءُ كَمَا أَنشَأَكُم مِّن ذُرِّيَّةِ قَوْمٍ آخَرِينَ ۝ إِنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۝ قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ ۝ وَجَعَلُوا لِلَّهِ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْعَامِ نَصِيبًا فَقَالُوا هَٰذَا لِلَّهِ بِزَعْمِهِمْ وَهَٰذَا لِشُرَكَائِنَا فَمَا كَانَ لِشُرَكَائِهِمْ فَلَا يَصِلُ إِلَى اللَّهِ وَمَا كَانَ لِلَّهِ فَهُوَ يَصِلُ إِلَىٰ شُرَكَائِهِمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَادِهِمْ شُرَكَاؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُوا عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا فَعَلُوهُ فَذَرْهُمْ وَمَا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا هَٰذِهِ أَنْعَامٌ وَحَرْثٌ حِجْرٌ لَّا يَطْعَمُهَا إِلَّا مَن نَّشَاءُ بِزَعْمِهِمْ وَأَنْعَامٌ حُرِّمَتْ ظُهُورُهَا وَأَنْعَامٌ لَّا يَذْكُرُونَ اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا افْتِرَاءً عَلَيْهِ سَيَجْزِيهِم بِمَا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۝ وَقَالُوا مَا فِي

ذنب : لم يكن ظالما عندهم (ولكل درجات) منازل فى الجزاء على أعمالهم من الثواب والعقاب (من ذرية قوم) أى من ذرية أهل سفينة نوح أو من كان قبلهم إلى آدم (اعملوا على مكانتكم) الأمر هنا للتهديد، والمكانة التمكن (فسوف تعلمون) تهديد (من تكون له) يحتمل أن تكون من موصولة فى موضع نصب على المفعولية أو استفهامية فى موضع رفع بالابتداء (عاقبة الدار) أى الآخرة أو الدنيا، والأول أرجح لقوله: عقبى الدار جنات عدن (وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام نصيبا) الضمير فى جعلوا لكفار العرب قال السهيلى هم حى من خولان، يقال لهم الأديم كانوا يجعلون من زروعهم وثمارهم ومن أنعامهم نصيبا لله ونصيبا لأصنامهم ومعنى ذرأ خلق وأنشأ، ففى ذلك رد عليهم، لأن الله الذى خلقها وذرأها: هو مالكها لا رب غيره (بزعمهم) أى بدعواهم وقولهم من غير دليل ولا شرع وأكثر ما يقال الزعم فى الكذب، وقرئ بفتح الزاى وضمها وهما لغتان (فما كان لشركائهم فلا يصل إلى الله) الآية كانوا إذا هبت الريح فحملت شيئا من الذى لله إلى الذى للأصنام أقروه، وإن حملت شيئا من الذى للأصنام إلى الذى لله ردوه وإذا أصابتهم سنة أكلوا نصيب الله وتحاموا نصيب شركائهم (وكذلك زين لكثير من المشركين قتل أولادهم شركاؤهم) كانوا يقتلون أولادهم بالوأد ويذبحونهم قربانا إلى الأصنام وشركاؤهم هنا هم الشياطين، أو القائمون على الأصنام وقرأ الجمهور بفتح الزاى من زين على البناء للفاعل، ونصب قتل على أنه مفعول وخفض أولادهم بالإضافة ورفع شركاؤهم على أنه فاعل بزين، والشركاء على هذه القراءة هم الذين زينوا القتل، وقرأ ابن عباس بضم الزاى على البناء للمفعول، ورفع قتل على أنه مفعول لم يسم فاعله، ونصب أولادهم على أنه مفعول بقتل، وخفض شركائهم على الإضافة إلى قتل إضافة المصدر إلى فاعله، وفصل بين المضاف والمضاف إليه بقوله: أولادهم، وذلك ضعيف فى العربية وقد سمع فى الشعر، والشركاء على هذه القراءة هم القاتلون الأولاد (ليردوهم) أى ليهلكوهم وهو من الردى بمعنى الهلاك (وقالوا هذه أنعام وحرث حجر) أى حرام، وهو فعل بمعنى مفعول، نحو ذبح، فيستوى فيه المذكر والمؤنث والواحد والجمع (لا يطعمها إلا من نشاء) أى لا يأكلها إلا من شاءوا وهم القائمون على الأصنام، والرجال دون النساء (وأنعام حرمت ظهورها) أى لا تركب، وهى السائبة وأخواتها (وأنعام

بُطُونِ هَٰذِهِ الْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ * قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ قَتَلُوٓا أَوْلَٰدَهُمْ سَفَهًا بِغَيْرِ عِلْمٍ وَحَرَّمُوا مَا رَزَقَهُمُ اللَّهُ افْتِرَآءً عَلَى اللَّهِ قَدْ ضَلُّوا وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ * وَهُوَ الَّذِىٓ أَنشَأَ جَنَّٰتٍ مَّعْرُوشَٰتٍ وَغَيْرَ مَعْرُوشَٰتٍ وَالنَّخْلَ وَالزَّرْعَ مُخْتَلِفًا أُكُلُهُ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُتَشَٰبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَٰبِهٍ كُلُوا مِن ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثْمَرَ وَءَاتُوا حَقَّهُ يَوْمَ حَصَادِهِ وَلَا تُسْرِفُوٓا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ ۝ وَمِنَ الْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا كُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعُوا خُطُوَٰتِ الشَّيْطَٰنِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ الضَّأْنِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْزِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ نَبِّـُٔونِى بِعِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَمِنَ الْإِبِلِ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْبَقَرِ اثْنَيْنِ قُلْ ءَآلذَّكَرَيْنِ حَرَّمَ أَمِ الْأُنثَيَيْنِ أَمَّا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ أَرْحَامُ الْأُنثَيَيْنِ أَمْ كُنتُمْ شُهَدَآءَ إِذْ وَصَّىٰكُمُ اللَّهُ بِهَٰذَا فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا لِّيُضِلَّ النَّاسَ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الظَّٰلِمِينَ ۝ قُل لَّآ أَجِدُ فِى

لا يذكرون اسم الله عليها) قيل معناه لا يحج عليها فلا يذكر اسم الله بالتلبية ، وقيل لا يذكر اسم الله عليها إذا ذبحت (افتراء عليه) كانوا قد قسموا أنعامهم على هذه الأقسام ونسبوا ذلك إلى الله افتراء وكذبا ونصب على الحال أو مفعول من أجله ، أو مصدر مؤكد (وقالوا ما في بطون هذه الأنعام خالصة) الآية : كانوا يقولون في أجنة البحيرة والسائبة، او لدمنها حيا فهو للرجال خاصة ولا يأكل منها النساء ، وما ولدمنها ميتا اشترك فيه الرجال والنساء وأنث خالصة للحمل على المعنى وهي الأجنة ، وذكر محرم حملا على لفظ ما ويجوز أن تكون التاء للمبالغة (وحرموا ما رزقهم الله) أي البحيرة والسائبة وشبهها (جنات معروشات) مرفوعات على دعائم وشبهها (وغير معروشات) متروكات على وجه الأرض ، وقيل المعروشات ما غرسه الناس في العمران وغير معروشات : ما أنبته الله في الجبال والبراري (مختلفا أكله) في اللون والطعم والرائحة والحجم ، وذلك دليل على أن الخالق مختار مريد (وآتوا حقه يوم حصاده) قيل حقه هنا الزكاة وهو ضعيف لوجهين : أحدهما أن الآية مكية ، وإنما فرضت الزكاة بالمدينة ، والآخر أن الزكاة لا تعطى يوم الحصاد ، وإنما تعطى يوم ضم الحبوب والثمار ، وقيل حقه ما يصدق به على المساكين يوم الحصاد ، وكان ذلك واجبا ثم نسخ بالعشر ، وقيل هو ما يسقط من السنبل ، والأمر على هذا للندب (حمولة وفرشا) عطف على جنات ، والحمولة الكبار ، والفرش الصغار : كالعجاجيل والفصلان وقيل الحمولة الإبل لأنها يحمل عليها ، والفرش الغنم لأنها تفرش للذبح ويفرش ما ينسج من صوفها (ثمانية أزواج) بدل من حمولة وفرشا ، وسماها أزواجا ، لأن الذكر زوج للأنثى والأنثى زوج للذكر (من الضأن اثنين) يريد الذكر والأنثى ، وكذلك فيما بعده (قل آلذكرين) يعني الذكر من الضأن والذكر من المعز ، ويعني بالأنثيين الأنثى من الضأن ، والأنثى من المعز ، وكذلك فيما بعده من الإبل والبقر والهمزة للإنكار (نبئوني بعلم) تعجيز وتوبيخ (افترى على الله كذبا) يعني في تحريم ما لم يحرم الله ، وذلك إشارة إلى العرب في

مَآ أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُۥٓ إِلَّآ أَن يَكُونَ مَيْتَةً أَوْ دَمًا مَّسْفُوحًا أَوْ لَحْمَ خِنزِيرٍ فَإِنَّهُۥ رِجْسٌ أَوْ فِسْقًا أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ رَبَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل رَّبُّكُمْ ذُو رَحْمَةٍ وَٰسِعَةٍ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُهُۥ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَىْءٍ ۚ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ

تحريمهم أشياء كالبحيرة وغيرها (قل لاأجد) الآية تقتضى حصر المحرمات فيما ذكر ، وقد جاء فى السنة تحريم أشياء لم تذكرهنا كلحوم الحمر فذهب قوم إلى أن السنة نسخت هذا الحصر ، وذهب آخرون إلى أن الآية وردت على سبب فلا تقتضى الحصر ، وذهب آخرون إلى أن ماعدا ماذكر إنما نهى عنه على وجه الكراهة لا على وجه التحريم (أوفسقا) معطوف على المنصوبات قبله ، وهو ماأهل به لغير الله سماه فسقا لتوغله فى الفسق ، وقد تقدم الكلام على هذه المحرمات فى البقرة (كل ذى ظفر) هو ماله أصبع من دابة وطائر قاله الزمخشرى وقال ابن عطية : يراد به الإبل والأوز والنعام ونحوه من الحيوان الذى هو غير منفرج الأصابع أوله ظفر وقال الماوردى مثله ، وحكى النقاش عن ثعلب أن كل مالا يصيد فهو ذو ظفر وما يصيد فهو ذو مخلب ، وهذا غير مطرد ، لأن الأسد ذو ظفر (إلا ماحملت ظهورهما) يعنى مافى الظهور والجنوب من الشحم (أوالحوايا) هى المباعر ، وقيل المصارين والحشوة ونحوهما مما يتحوى فى البطن وواحد حوايا حوية على وزن فعلية فوزن حوايا على هذا فعائل كصحيفة وصحائف ، وقيل واحدها حاوية على وزن فاعلة فحوايا على هذا فواعل : كضاربة وضوارب ، وهو معطوف على مافى قوله : إلا ماحملت ظهورهما ، فهو من المستثنى من التحريم ، وقيل عطف على الظهور ، فالمعنى إلا ماحملت الظهور ، أو حملت الحوايا ، وقيل عطف على الشحوم ، فهو من المحرم (أوما اختلط بعظم) يريد مافى جميع الجسد (وإنا لصادقون) أى فيما أخبرنا به من التحريم ، وفى ذلك تعريض بكذب من حرم مالم يحرم الله (فإن كذبوك فقل ربكم ذو رحمة واسعة) أى إن كذبوك فيما أخبرت به من التحريم فقل لهم ربكم ذو رحمة واسعة إذ لا يعاجلكم بالعقوبة على شدة جرمكم ، وهذا كما تقول عند رؤية معصية ماأحلم الله : تريد لإمهاله عن مثل ذلك ثم أعقب وصفه بالرحمة الواسعة بقوله (ولا يرد بأسه عن القوم المجرمين) أى لا تغتروا بسعة رحمته ، فإنه لا يرد بأسه عن مثلكم إما فى الدنيا أو فى الآخرة (سيقول الذين أشركوا لو شاء الله ماأشركنا) الآية : معناها أنهم يقولون إن شركهم وتحريمهم لما حرموا كان بمشيئة الله ولو شاء الله أن لا يفعلوا ذلك ما فعلوه ، فاحتجوا على ذلك بإرادة الله له ، وتلك نزغة جبرية ، ولا حجة لهم فى ذلك ، لأنهم مكلفون مأمورون ألا يشركوا بالله ، ولا يحللوا ماحرم الله ولا يحرموا ماحلل الله ، والارادة خلاف التكليف ، ويحتمل عندى أن يكون قولهم «لو شاء الله» قولا يقولونه فى الآخرة على وجه التمنى أن ذلك لم يكن كقولك إذا ندمت على شىء لو شاء الله ما كان هذا أى يتمنى أن ذلك لم يكن ، ويؤيد هذا أنه حكى قولهم بأداة الاستقبال ، وهى السين ، فذلك دليل على أنهم يقولونه فى المستقبل وهى الآخرة (قل هل

الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ * قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ * قُلْ هَلُمَّ شُهَدَاءَكُمُ الَّذِينَ يَشْهَدُونَ أَنَّ اللَّهَ حَرَّمَ هَٰذَا فَإِن شَهِدُوا فَلَا تَشْهَدْ مَعَهُمْ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَهُم بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ * قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا

عندكم من علم) توقيف لهم وتعجيز (قل فلله الحجة البالغة) لما أبطل حجتهم أثبت حجة الله ليظهر الحق ويبطل الباطل (هلم) قيل هي بمعنى هات فهي متعدية ، وقيل بمعنى أقبل فهي غير متعدية ، وهي عند بعض العرب فعل يتصل به ضمير الاثنين والجماعة والمؤنث وعند بعضهم اسم فعل فيخاطب بها الواحد والاثنان والجماعة والمؤنث على حد سواء ، ومقصود الآية تعجيزهم عن إقامة الشهداء (فإن شهدوا فلا تشهد معهم) أي إن كذبوا في شهادتهم وزوروا فلا تشهد بمثل شهادتهم (قل تعالوا أتل ماحرم ربكم عليكم) أمر الله نبيه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنه يدعو جميع الخلق إلى سماع تلاوة ماحرم الله عليهم وذكر في هذه الآيات المحرمات التي أجمعت عليها جميع الشرائع ولم تنسخ قط في ملة ، وقال ابن عباس : هي الكلمات العشر التي أنزل الله على موسى (ألا تشركوا به شيئا) قيل أن هنا حرف عبارة وتفسير فلا موضع لها من الإعراب ولا ناهية جزمت الفعل ، وقيل أن مصدرية في موضع رفع تقديره : الأمر ألا تشركوا ، فلا على هذا نافية ، وقيل أن في موضع نصب بدلا من قوله ماحرم ، ولا يصح ذلك إلا إن كانت لا زائدة وإن لم تكن زائدة فسد المعنى لأن الذي حرم على ذلك يكون ترك الإشراك ، والأحسن عندي أن تكون أن مصدرية في موضع نصب على البدل ولا نافية ولا يلزم ماذكر من فساد المعنى ، لأن قوله ماحرم ربكم : معناه ماوصاكم به ربكم بدليل قوله في آخر الآية : ذلكم وصاكم به فضمن التحريم معنى الوصية ، والوصية في المعنى أعم من التحريم لأن الوصية تكون بتحريم وبتحليل ، وبوجوب وندب ، ولا ينكر أن يريد بالتحريم الوصية لأن العرب قد تذكر اللفظ الخاص وتريد به العموم ، كما تذكر اللفظ العام وتريد به الخصوص ، إذ تقرر هذا ، فتقدير الكلام : قل تعالوا أتل ماوصاكم به ربكم ، ثم أبدل منه على وجه التفسير له والبيان ، فقال أن لا تشركوا به شيئا أي وصاكم ألا تشركوا به شيئا ووصاكم بالإحسان بالوالدين ووصاكم أن لا تقتلوا أولادكم فجمعت الوصية ترك الإشراك وفعل الإحسان بالوالدين ومابعد ذلك ويؤيد هذا التأويل الذي تأولنا : أن الآيات اشتملت على أوامر : كالإحسان بالوالدين وقول العدل والوفاء في الوزن ، وعلى نواهي : كالإشراك وقتل النفس ، وأكل مال اليتيم ، فلابد أن يكون اللفظ المقدم في أولها لفظا يجمع الأوامر والنواهي ، لأنها أجملت فيه ، ثم فسرت بعد ذلك ، ويصلح لذلك لفظ الوصية لأنه جامع للأمر والنهي ، فلذلك جعلنا التحريم بمعنى الوصية ويدل على ذلك ذكر لفظ الوصية بعد ذلك ، وإن لم يتأول على ماذكرناه : لزم في الآية إشكال ، وهو عطف الأوامر على النواهي ، وعطف النواهي على الأوامر ، فان الأوامر طلب فعلها ، والنواهي طلب تركها ، وواو العطف تقتضي الجمع بين المعطوف والمعطوف عليه ، ولا يصح ذلك إلا على الوجه الذي تأولناه من عموم الوصية للفعل والترك ، وتحتمل الآية عندي تأويلا آخر ، وهو أن يكون لفظ التحريم على ظاهره ، ويعم فعل المحرمات وترك

أَوْلَٰدَكُم مِّنْ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * ثُمَّ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ تَمَامًا عَلَى الَّذِي أَحْسَنَ وَتَفْصِيلًا

الواجبات لأن ترك الواجبات حرام (ولا تقتلوا أولادكم من إملاق) الإملاق الفاقة ، ومن هنا للتعليل تقديره من أجل إملاق ، وإنما نهى عن قتل الأولاد لأجل الفاقة ، لأن العرب كانوا يفعلون ذلك تخرج مخرج الغالب فلا يفهم منه إباحة قتلهم بغير ذلك الوجه (ماظهر منها ومابطن) قيل ماظهر : الزنا ، ومابطن : اتخاذ الأخدان والصحيح أن ذلك عموم فى جميع الفواحش (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) فسره قول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : لايحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : زنى بعد إحصان ، أو كفر بعد إيمان ، أو قتل نفس بغير نفس (ولا تقربوا مال اليتيم إلا بالتى هى أحسن) النهى عن القرب يعم وجوه التصرف ، وفيه سد الذريعة ، لأنه إذا نهى عن أن يقرب المال ، فالنهى عن أكله أولى وأحرى ، والتى هى أحسن منفعة اليتيم وتثمير ماله (حتى يبلغ أشده) هو البلوغ مع الرشد ، وليس المقصود هنا السن وحده ، وإنما المقصود معرفته بمصالحه (لانكلف نفسا إلا وسعها) لما أمر بالقسط فى الكيل والوزن ، وقد علم أن القسط الذى لازيادة فيه ولا نقصان مما يجرى فيه الحرج ولايتحقق الوصول إليه أمر بما فى الوسع من ذلك وعفا عما سواه (ولو كان ذا قربى) أى ولو كان المقول له أو عليه فى شهادة أو غيرها من أهل قرابة القائل ، فلا ينبغى أن يزيد ولا ينقص بل يعدل (وأن هذا صراطى مستقيما) الاشارة بهذا إلى ماتقدم من الوصايا أو إلى جميع الشريعة ، وأن بفتح الهمزة والتشديد عطف على ماتقدم أو مفعول من أجله : أى فاتبعوه لأن هذا صراطى مستقيما ، وقرئ بالكسر على الاستئناف ، وبالفتح والتخفيف على العطف ، وهى على هذا مخففة من الثقيلة (ولا تتبعوا السبل) الطرق المختلفة فى الدين من اليهودية والنصرانية وغيرها من الأديان الباطلة ، ويدخل فيه أيضا البدع والأهواء المضلة ، وفى الحديث أن النبى صلى الله عليه وسلم خط خطا ، ثم قال هذا سبيل الله ، ثم خط خطوطا عن يمينه وعن شماله ، ثم قال هذه كلها سبل على كل سبيل منها شيطان يدعو إليه (فتفرق بكم عن سبيله) أى تفرقكم عن سبيل الله والفعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ولذلك شدده البزى (ثم آتينا) معطوف على وصاكم به ، فإن قيل : فإن إيتاء موسى الكتاب متقدم على هذه الوصية فكيف عطفه عليها بثم ، فالجواب أن هذه الوصية قديمة لكل أمة على لسان نبيها ، فصح الترتيب ، وقيل إنها هنا لترتيب الاخبار والقول ، لا لترتيب الزمان (تماما على الذى أحسن) فيه ثلاث تأويلات : أحدها أن المعنى تماما للنعمة على الذى أحسن من قوم موسى فقاعل أحسن ضمير يعود على الذى ، والذى أحسن يراد به جنس المحسنين ، والآخر : أن المعنى تماما أى تفضلا ، أو جزاء على ما أحسن موسى عليه السلام من طاعة ربه

لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُم بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ يُؤْمِنُونَ * وَهَٰذَا كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * أَن تَقُولُوٓا إِنَّمَآ أُنزِلَ الْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا الْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ اللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا سَنَجْزِي الَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يَصْدِفُونَ * هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَٰنِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُوٓا إِنَّا مُنتَظِرُونَ * إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَّسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ إِنَّمَآ أَمْرُهُمْ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ * مَن جَآءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَمَن جَآءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ * قُلْ إِنَّنِي هَدَىٰنِي رَبِّيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي

وتبليغ رسالته ، فالفاعل على هذا ضمير موسى عليه السلام والذى صفة لعمل موسى ، والثالث تماما أى إكمالا على ما أحسن الله به إلى عباده ، فالعامل على هذا ضمير الله تعالى (أن تقولوا) فى موضع مفعول من أجله تقديره كراهة أن تقولوا (على طائفتين) أهل التوراة والإنجيل (وإن كنا عن دراستهم لغافلين) أى لم ندرس مثل دراستهم ولم نعرف مادرسوا من الكتب فلا حجة علينا ، وأن هنا مخففة من الثقيلة (فقد جاءتكم بينة) إقامة حجة عليهم (صدف) أى أعرض (هل ينظرون) الآية : تقدمت نظيرتها فى البقرة (بعض آيات ربك) أشراط الساعة كطلوع الشمس من مغربها ، فحينئذ لايقبل إيمان كافر ولاتوبة عاص ، فقوله لاينفع نفسا إيمانها يعنى أن إيمان الكافر لاينفعه حينئذ وقوله (أو كسبت فى إيمانها خيرا) يعنى أن من كان مؤمنا ولم يكسب حسنات قبل ظهور تلك الآيات ، ثم تاب إذا ظهرت : لم ينفعه لأن باب التوبة يغلق حينئذ (قل انتظروا) وعيد (إن الذين فرقوا دينهم) هم اليهود والنصارى ، وقيل أهل الأهواء والبدع ، وفى الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال : افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة ، وافترقت النصارى على اثنتين وسبعين فرقة ، وستفترق أمتى على ثلاث وسبعين فرقة كلها فى النار إلا واحدة قيل يارسول الله ومن تلك الواحدة ؟ قال من كان على ما أنا وأصحابى عليه ، وقرئ فارقوا أى تركوا (وكانوا شيعا) جمع شيعة أى متفرقين كل فرقة تتشيع لمذهبها (لست منهم فى شيء) أى أنت برىء منهم (عشر أمثالها) فضل عظيم على العموم فى الحسنات ، وفى العاملين ، وهو أقل التضعيف للحسنات فقد تنتهى إلى سبعمائة وأزيد (دينا قيما) بدل من موضع إلى صراط مستقيم ، لأن أصله هدانى صراطا بدليل اهدنا الصراط ، والقيم فيعل من القيام وهو أبلغ من قائم وقرئ قيما بكسر القاف وتخفيف الياء وفتحها ، وهو على هذا مصدر وصف به (ملة إبراهيم) بدل من دينا ، أو عطف بيان (ونسكى) أى عبادتى ، وقيل ذبحى للبهائم ، وقيل حجى ، والأول أعم وأرجح

لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ * لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ * قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًّا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَٰٓئِفَ الْأَرْضِ وَرَفَعَ بَعْضَكُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ ءَاتَىٰكُمْ إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ *

سورة الأعراف

مكية إلا من آية ١٦٣ إلى غاية آية ١٧٠ فمدنية : وآياتها ٢٠٦ نزلت بعد ص

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الٓمٓصٓ * كِتَٰبٌ أُنزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * اتَّبِعُوا مَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِن دُونِهِ أَوْلِيَآءَ قَلِيلًا مَّا تَذَكَّرُونَ *

(ومحياى ومماتى) أى أعمالى فى حين حياتى وعند موتى (لله) أى خالصا لوجهه وطلب رضاه ، ثم أكد ذلك بقوله لاشريك له : أى لاأريد بأعمالى غيرالله فيكون نفيا للشرك الأصغروهو الرياء ويحتمل أن يريد لاأعبد غيرالله فيكون نفيا للشرك الأكبر (وبذلك أمرت) إشارة إلى الإخلاص الذى تقتضيه الآية قبل ذلك (وأنا أول المسلمين) لأنه صلى الله عليه وسلم سابق أمته (قل أغيرالله أبغى ربا) تقرير وتوبيخ للكفار، وسببها أنهم دعوه إلى عبادة آلهتهم (وهو رب كل شىء) برهان على التوحيد ونفى الربوبية عن غيرالله (ولا تكسب كل نفس إلا عليها) رد على الكفار لأنهم قالوا له اعبد آلهتنا ونحن نتكفل لك بكل تباعة تتوقعها فى دنياك وأخراك ، فنزلت هذه الآية : أى ليس كما قلتم، وإنما كسب كل نفس عليها خاصة (ولا تزر وازرة وزر أخرى) أى لايحمل أحد ذنوب أحد ، وأصل الوزر الثقل ، ثم استعمل فى الذنوب (خلائف) جمع خليفة : أى يخلف بعضكم بعضا فى السكنى فى الأرض أوخلائف عن الله فى أرضه ، والخطاب على هذا لجميع الناس ، وقيل لأمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم لأنهم خلفوا الأمم المتقدمة (ورفع بعضكم) عموم فى المال والجاه والقوة والعلوم وغيرذلك مما وقع فيه التفضيل بين العباد (ليبلوكم فيما آتاكم) ليختبرشكركم على ماأعطاكم ، وأعمالكم فيما مكنكم فيه (إن ربك سريع العقاب وإنه لغفور رحيم) جمع بين التخويف والترجية ، وسرعة عقابه تعالى : إما فى الدنيا بمن عجل أخذه ، أو فى الآخرة لأن كل آت قريب ، ونسأل الله أن يغفر لنا ويرحمنا بفضله ورحمته

﴿ســورة الاعراف﴾

(المص) تكلمنا على حروف الهجاء فى البقرة (حرج منه) أى ضيق من تبليغه مع تكذيب قومك ، وقيل الحرج هنا الشك ، فتأويله كقوله فلا تكن من الممترين (لتنذر) متعلق بأنزل (وذكرى) منصوب على المصدرية بفعل مضمر تقديره لتنذروتذكر ذكرى ، لأن الذكر بمعنى التذكير، أومرفوع على أنه خبرابتداء مضمر ، أومخفوض عطفا على موضع لتنذر أى للإنذار والذكرى (قليلا ماتذكرون) انتصب قليلا بتذكرون أى تذكرون تذكرا

وَكَم مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ قَائِلُونَ ۝ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُم بَأْسُنَا إِلَّا أَن قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ ۝ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ۝ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ وَمَا كُنَّا غَائِبِينَ ۝ وَالْوَزْنُ يَوْمَئِذٍ الْحَقُّ فَمَن ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ۝ وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ فَأُولَٰئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُم بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ ۝ وَلَقَدْ مَكَّنَّاكُمْ فِي الْأَرْضِ وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَايِشَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ۝ وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ ۝ قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُ مِن طِينٍ ۝ قَالَ فَاهْبِطْ مِنْهَا فَمَا يَكُونُ لَكَ أَن تَتَكَبَّرَ فِيهَا فَاخْرُجْ إِنَّكَ مِنَ الصَّاغِرِينَ ۝ قَالَ أَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ قَالَ فَبِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَاطَكَ الْمُسْتَقِيمَ ۝ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ

قليلا وما زائدة للتوكيد (أهلكناها فجاءها بأسنا) قيل إنه من المقلوب تقديره: جاءها بأسنا فأهلكناها ، وقيل المعنى: أردنا إهلاكها فجاءها بأسنا لأن مجيء البأس قبل الإهلاك فلا يصح عطفه عليه بالفاء ويحتمل أن جاءها بأسنا استئنافا على وجه التفسير للإهلاك ، فلا يحتاج إلى تكلف ، والمراد أهلكنا أهلها فجاءهم ، ثم حذف المضاف بدليل أو هم قائلون (بياتا أو هم قائلون) بياتا مصدر فى موضع الحال بمعنى بائتين أى بالليل ، وقائلون من القائلة: أى بالنهار ، وقد أصاب العذاب بعض الكفار المتقدمين بالليل ، وبعضهم بالنهار ، وأو هنا للتنويع (دعواهم) أى ماكان دعاؤهم واستغاثتهم إلا للاعتراف بأنهم ظالمون ، وقيل المعنى أن دعواهم هنا ماكانوا يدعونه من دينهم ، فاعترفوا لما جاءهم العذاب أنهم كانوا ظالمين فى ذلك (أرسل إليهم) أسند الفعل إلى الجار والمجرور ، ومعنى الآية: أن الله يسأل الأمم عما أجابوا به رسلهم ، ويسأل الرسل عما أجيبوا به (فلنقصنّ عليهم) أى على الرسل والأمم (والوزن) يعنى وزن الأعمال (يومئذ) أى يوم يسئل الرسل وأممهم وهو يوم القيامة (بآياتنا يظلمون) أى يكذبون بها ظلما (خلقناكم ثم صورناكم) قيل المعنى أردنا خلقكم وتصويركم (ثم قلنا للملائكة اسجدوا لآدم) وقيل خلقنا أباكم آدم ثم صورناه ، وإنما احتيج إلى التأويل ليصح العطف (ألا تسجد) لا زائدة للتوكيد (إذ أمرتك) استدل به بعض الأصوليين على أن الأمر يقتضى الوجوب والفور ، ولذلك وقع العقاب على ترك المبادرة بالسجود (قال أنا خير منه) تعليل علل به إبليس امتناعه من السجود ، وهو يقتضى الاعتراض على الله تعالى فى أمره بسجود الفاضل للمفضول على زعمه ، وبهذا الاعتراض كفر إبليس إذ ليس كفره كفر جحود (فاهبط منها) أى من السماء (قال فبما أغويتنى) الفاء للتعليل وهى تتعلق بفعل قسم محذوف تقديره أقسم بالله بسبب إغوائك لى لأغوين بنى آدم ، وما مصدرية ، وقيل استفهامية ويبطله ثبوت الألف فى مامع حرف الجر (صراطك) يريد طريق الهدى والخير وهو منصوب على الظرفية (ثم لآتينهم من بين أيديهم) الآية: أى من الجهات الأربع ، وذلك عبارة عن تسليطه على بنى آدم كيفما أمكنه ، وقال ابن عباس من بين أيديهم الدنيا ، ومن خلفهم الآخرة ، وعن أيمانهم

وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَـٰنِهِمْ وَعَن شَمَآئِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَـٰكِرِينَ * قَالَ ٱخْرُجْ مِنْهَا مَذْءُومًا مَّدْحُورًا لَّمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكُمْ أَجْمَعِينَ * وَيَـٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ فَكُلَا مِنْ حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّـٰلِمِينَ * فَوَسْوَسَ لَهُمَا ٱلشَّيْطَـٰنُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُۥرِىَ عَنْهُمَا مِن سَوْءَٰتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَىٰكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَـٰذِهِ ٱلشَّجَرَةِ إِلَّآ أَن تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ ٱلْخَـٰلِدِينَ * وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّى لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّـٰصِحِينَ * فَدَلَّىٰهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا ٱلشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ وَنَادَىٰهُمَا رَبُّهُمَآ أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَن تِلْكُمَا ٱلشَّجَرَةِ وَأَقُل لَّكُمَآ إِنَّ ٱلشَّيْطَـٰنَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُّبِينٌ * قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * قَالَ ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ * قَالَ فِيهَا تَحْيَوْنَ وَفِيهَا تَمُوتُونَ وَمِنْهَا تُخْرَجُونَ * يَـٰبَنِىٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِى سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ ٱلتَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَـٰتِ ٱللَّهِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ *

الحسنات ، وعن شمائلهم السيئات (مذءوما) من ذأمه بالهمز إذا ذمه (مدحورا) أى مطرودا حيث وقع (فوسوس) إذا تكلم كلاما خفيا يكرره ، فمعنى وسوس لهما : ألقى لهما هذا الكلام (ليبدى لهما ماووری عنهما من سوآتهما) أى ليظهر ماستر من عوراتهما واللام فى قوله ليبدى للتعليل إن كان فى انكشافهما غرض لإبليس ، أو للصيرورة إن وقع ذلك بغير قصد منه اليه (الشجرة) ذكرت فى البقرة (إلا أن تكونا ملكين) أى كراهة أن تكونا ملكين ، واستدل به من قال إن الملائكة أفضل من الأنبياء ، وقرىء ملكين بكسر اللام ، ويقوى هذه القراءة قوله وملك لايبلى (وقاسمهما) أى حلف لهما إنه لمن الناصحين وذكر قسم إبليس بصيغة المفاعلة التى تكون بين الاثنين لانه اجتهد فيه أو لأنه أقسم لهما وأقسما له أن يقبلا نصيحته (فدلاهما) أى أنزلهما إلى الأكل من الشجرة (بغرور) أى غرهما بحلفه لهما لأنهما ظنا أنه لايحلف كاذبا (بدت لهما سوآتهما) أى زال عنهما اللباس وظهرت عوراتهما ، وكان لايريانها من أنفسهما ، ولا أحدهما من الآخر ، وقيل كان لباسهما نور يحول بينهما وبين النظر (يخصفان عليهما من ورق الجنة) أى يصلان بعضه ببعض ليستترا به (وناداهما ربهما) يحتمل أن يكون هذا النداء بواسطة ملك ، أو بغير واسطة (ربنا ظلمنا أنفسنا) اعتراف وطلب للمغفرة والرحمة ، وتلك هى الكلمات التى تاب الله عليه بها (اهبطوا) ومابعده مذكور فى البقرة (فيها تحيون) أى فى الأرض (لباسا) أى الثياب التى تستر ، ومعنى أنزلنا خلقنا ، وقيل المراد أنزلنا ما يكون عنه اللباس وهو المطر ، واستدل بعض الفقهاء بهذه الآية على وجوب ستر العورة (ريشا) أى لباس الزينة وهو مستعار من ريش الطائر (ولباس التقوى) استعار للتقوى لباسا كقولهم ألبسك الله قميص تقواه ، وقيل لباس التقوى ما يتقى به فى الحرب من الدروع وشبهها ، وقرىء بالرفع على الابتداء أو خبره الجملة ، وهى ذلك خير (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى ماأنزل من اللباس ، وهذه الآية واردة على

يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَٰتِهِمَآ إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ أَمَرَ رَبِّى بِٱلْقِسْطِ وَأَقِيمُوا۟ وُجُوهَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ كَمَا بَدَأَكُمْ تَعُودُونَ ۞ فَرِيقًا هَدَىٰ وَفَرِيقًا حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلضَّلَٰلَةُ إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ خُذُوا۟ زِينَتَكُمْ عِندَ كُلِّ مَسْجِدٍ وَكُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ وَلَا تُسْرِفُوٓا۟ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُسْرِفِينَ ۞ قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِىٓ أَخْرَجَ لِعِبَادِهِۦ وَٱلطَّيِّبَٰتِ مِنَ ٱلرِّزْقِ قُلْ هِىَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا خَالِصَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّىَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَٱلْإِثْمَ وَٱلْبَغْىَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَأَن تُشْرِكُوا۟ بِٱللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِۦ سُلْطَٰنًا وَأَن تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ وَلِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ فَإِذَا جَآءَ

وجه الاستطراد عقيب ماذكر من ظهور السوآت وخصف الورق عليها ليبين إنعامه على ماخلق من اللباس (ينزع عنهما لباسهما) أى كان سببا فى نزع لباسهما عنهما (من حيث لاترونهم) يعنى فى غالب الأمر، وقد استدل به من قال إن الجن لا يرون وقد جاءت فى رؤيتهم أحاديث صحيحة، فتحمل الآية على الأكثر جمعا بينها وبين الأحاديث (وإذا فعلوا فاحشة) قيل هى ما كانت العرب تفعله من الطواف بالبيت عراة الرجال والنساء، ويحتمل العموم فى الفواحش (قالوا وجدنا عليها آباءنا والله أمرنا بها) اعتذروا بعذرين باطلين أحدهما: تقليد آبائهم، والآخر: افتراؤهم على الله (وأقيموا وجوهكم) قيل المراد إحضار النية، والإخلاص لله، وقيل فعل الصلاة والتوجه فيها (عند كل مسجد) أى فى كل مكان سجود أوفى وقت كل سجود والأول أظهر، والمعنى إباحة الصلاة فى كل موضع كقوله صلى الله عليه وسلم: جعلت لى الأرض مسجدا (كما بدأكم تعودون) احتجاج على البعث الأخروى بالبدأة الأولى (فريقا) الأول منصوب بهدى، والثانى منصوب بفعل مضمر يفسره ما بعده (خذوا زينتكم) قيل المراد به الثياب الساترة، واحتج به من أوجب ستر العورة فى الصلاة، وقيل المراد به الزينة زيادة على الستر كالتجمل للجمعة بأحسن الثياب وبالسواك والطيب (وكلوا واشربوا) الأمر فيهما للإباحة، لأن بعض العرب كانوا يحرمون أشياء من المآكل (ولا تسرفوا) أى لا تكثروا من الأكل فوق الحاجة، وقال الأطباء: إن الطب كله مجموع فى هذه الآية، وقيل لا تسرفوا بأكل الحرام (قل من حرم زينة الله) إنكار لتحريمها وهو ما شرعه الله لعباده من الملابس والمآكل، وكان بعض العرب إذا حجوا يجردون الثياب ويطوفون عراة، ويحرمون الشحم واللبن، فنزل ذلك ردا عليهم (خالصة يوم القيامة) أى الزينة والطيب فى الدنيا للذين آمنوا ولغيرهم، وفى الآخرة خالصة لهم دون غيرهم، وقرئ خالصة بالنصب على الحال، والرفع على أنه خبر بعد خبر، أوخبر ابتداء مضمر (والإثم) عام فى كل ذنب (وأن تقولوا على الله)

أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۞ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِى فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِهِۦٓ أُولَٰٓئِكَ يَنَالُهُمْ نَصِيبُهُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَتْهُمْ رُسُلُنَا يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ قَالُوا ضَلُّوا عَنَّا وَشَهِدُوا عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰفِرِينَ ۞ قَالَ ٱدْخُلُوا فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ فِى ٱلنَّارِ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا فِيهَا جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ۞ وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ فَذُوقُوا ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ

أى تفتروا عليه فى التحريم وغيره (فإما يأتينكم) هى إن الشرطية دخلت عليها ما الزائدة للتأكيد، ولزمتها النون الشديدة المؤكدة، وجواب الشرط فمن اتقى الآية (فمن أظلم) ذكر فى الانعام (ينالهم نصيبهم من الكتاب) أى يصل اليهم ما كتب لهم من الارزاق وغيرها (ضلوا عنا) أى غابوا (ادخلوا فى أمم) أى ادخلوا النار فى جملة أمم أو مع أمم (اداركوا) تلاحقوا واجتمعوا (قالت أخراهم لأولاهم) المراد بأولاهم الرؤساء والقادة، وأخراهم الاتباع والسفلة، والمعنى أن أخراهم طلبوا من الله أن يضاعف العذاب لأولاهم لأنهم أضلوهم، وليس المعنى أنهم قالوا لهم ذلك خطابا لهم، إنما هو كقولك قال فلان لفلان كذا: أى قاله عنه وإن لم يخاطبه به (وقالت أولاهم لأخراهم فما كان لكم علينا من فضل) أى لم يكن لكم علينا فضل فى الإيمان والتقوى يوجب أن يكون عذابنا أشد من عذابكم بل نحن وأنتم سواء (فذوقوا العذاب) من قول أولاهم لأخراهم أو من قول الله تعالى لجميعهم (لا تفتح لهم أبواب السماء) فيه ثلاثة أقوال: أحدها: لا يصعد عملهم إلى السماء، والثانى لا يدخلون الجنة، فإن الجنة فى السماء، والثالث لا تفتح أبواب السماء لأرواحهم إذا ماتوا كما تفتح لأرواح المؤمنين (حتى يلج الجمل فى سم الخياط) أى حتى يدخل الجمل فى ثقب الإبرة، والمعنى لا يدخلون الجنة حتى يكون ما لا يكون أبداً، فلا يدخلونها أبدا (مهاد) فراش (غواش) أغطية (لا نكلف نفسا إلا وسعها) جملة اعتراض بين المبتدأ والخبر ليبين أن ما يطلب من الأعمال الصالحة ما فى الوسع والطاقة (ونزعنا ما فى صدورهم من غل) أى من كان فى صدره غل لأخيه فى الدنيا ننزعه منه

وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ لَقَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ وَنُودُوا أَنْ تِلْكُمُ الْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ ۝ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُمْ بِالْآخِرَةِ كَافِرُونَ ۝ وَبَيْنَهُمَا حِجَابٌ وَعَلَى الْأَعْرَافِ رِجَالٌ يَعْرِفُونَ كُلًّا بِسِيمَاهُمْ وَنَادَوْا أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَنْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَمْ يَدْخُلُوهَا وَهُمْ يَطْمَعُونَ ۝ وَإِذَا صُرِفَتْ أَبْصَارُهُمْ تِلْقَاءَ أَصْحَابِ النَّارِ قَالُوا رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ ۝ وَنَادَىٰ أَصْحَابُ الْأَعْرَافِ رِجَالًا يَعْرِفُونَهُمْ بِسِيمَاهُمْ قَالُوا مَا أَغْنَىٰ عَنْكُمْ جَمْعُكُمْ وَمَا كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ ۝ أَهَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَقْسَمْتُمْ لَا يَنَالُهُمُ اللَّهُ بِرَحْمَةٍ ادْخُلُوا

فى الجنة وصاروا إخوانا أحبابا ، وإنما قال نزعنا بلفظ الماضى وهو مستقبل لتحقق وقوعه فى المستقبل حتى عبر عنه بما يعبر عن الواقع ، وكذلك كل ماجاء بعد هذا من الأفعال الماضية فى اللفظ وهى تقع فى الآخرة كقوله : نادى أصحاب الجنة ، ونادى أصحاب الأعراف ، ونادى أصحاب النار ، وغيرذلك (هدانا لهذا) إشارة إلى الجنة أو إلى ماأوجب من الإيمان والتقوى (أن تلكم الجنة) وأن قد وجدنا ، وأن لعنة ، وأن سلام : يحتمل أن يكون أن فى كل واحدة منها مخففة من الثقيلة ، فيكون فيها ضمير أوحرف عبارة وتفسير المعنى القول (ماوعدنا ربنا حقا) حذف مفعول وعد استغناء عنه بمفعول وعدنا أو لإطلاق الوعد فيتناول الثواب والعقاب (أذن مؤذن) أى أعلم معلم وهو ملك (وبينهما حجاب) أى بين الجنة والنار أو بين أصحابهما وهو أرجح لقوله : فضرب بينهم بسور (الأعراف) قال ابن عباس هو تل بين الجنة والنار ، وقيل سور الجنة (رجال) هم أصحاب الأعراف ورد فى الحديث أنهم قوم من بنى آدم استوت حسناتهم وسيئاتهم ، فلم يدخلوا الجنة ولا النار ، وقيل هم قوم خرجوا إلى الجهاد بغير إذن آبائهم ، فاستشهدوا ، فمنعوا من الجنة لعصيان آبائهم ، ونجوا من النار للشهادة (يعرفون كلا بسيماهم) أى يعرفون أهل الجنة بعلامتهم من بياض وجوههم ، ويعرفون أهل النار بعلامتهم من سواد وجوههم ، أو غير ذلك من العلامات (ونادوا أصحاب الجنة أن سلام عليكم) أى سلام أصحاب الأعراف على أهل الجنة (لم يدخلوها وهم يطمعون) أى أن أصحاب الأعراف لم يدخلوا الجنة وهم يطمعون فى دخولها من بعد (وإذا صرفت أبصارهم) الضمير لأصحاب الأعراف أى إذا رأوا أصحاب النار دعوا الله أن لايجعلهم معهم (ونادى أصحاب الأعراف رجالا) يعنى من الكفار الذين فى النار ، قالوا لهم ذلك على وجه التوبيخ (جمعكم) يحتمل أن يكون أراد جمعهم للمال أو كثرتهم (وما كنتم تستكبرون) أى استكباركم على النار أو استكباركم على الرجوع إلى الحق ، فما هاهنا مصدرية وما فى قوله ، ماأغنى ، استفهامية أو نافية (أهؤلاء الذين أقسمتم) من كلام أصحاب الأعراف خطابا لأهل النار والإشارة بهؤلاء إلى أهل الجنة ، وذلك أن الكفار كانوا فى الدنيا يقسمون أن الله لايرحم المؤمنين ولا يعبأ بهم فظهر خلاف ماقالوا ، وقيل هى من كلام الملائكة خطابا لأهل النار ، والإشارة بهؤلاء إلى أصحاب

ٱلْجَنَّةَ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ وَلَا أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ۞ وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ أَنْ أَفِيضُوا عَلَيْنَا مِنَ ٱلْمَآءِ أَوْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ قَالُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ حَرَّمَهُمَا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَهْوًا وَلَعِبًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ نَنسَىٰهُمْ كَمَا نَسُوا لِقَآءَ يَوْمِهِمْ هَٰذَا وَمَا كَانُوا بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ۞ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِى تَأْوِيلُهُ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومَ مُسَخَّرَٰتٍۭ بِأَمْرِهِۦٓ أَلَا لَهُ ٱلْخَلْقُ وَٱلْأَمْرُ تَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ ٱدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ۞ وَلَا تُفْسِدُوا

الأعراف (ادخلوا الجنة) خطابا لأهل الجنة إن كان من كلام أصحاب الأعراف تقديره قد قيل لهم ادخلوا الجنة ، أو خطابا لأهل الأعراف إن كان من كلام الملائكة (أن أفيضوا علينا من الماء) دليل على أن الجنة فوق النار (أو مما رزقكم الله) من سائر الأطعمة والأشربة (فاليوم ننساهم) أى نتركهم (كما نسوا) الكاف للتعليل (وما كانوا) عطف على كما نسوا : أى لنسيانهم وجحودهم (جئناهم بكتاب) يعنى القرآن (فصلناه على علم) أى علمنا كيف نفصله (إلا تأويله) أى هل ينتظرون إلا عاقبة أمره ، ومايؤول إليه أمره بظهور ما نطق به من الوعد والوعيد (قد جاءت رسل ربنا بالحق) أى قد تبين وظهر الآن أن الرسل جاؤا بالحق (استوى على العرش) حيث وقع حمله قوم على ظاهره منهم ابن أبى زيد وغيره ، وتأوله قوم بمعنى قصد كقوله : ثم استوى إلى السماء ، ولو كان كذلك لقال ثم استوى إلى العرش ، وتأولها الأشعرية أن معنى استوى استولى بالملك والقدرة ، والحق الإيمان به من غير تكييف ، فإن السلامة فى التسليم ، ولله در مالك بن أنس فى قوله للذى سأله عن ذلك : الاستواء معلوم والكيفية مجهولة والسؤال عن هذا بدعة ، وقد روى مثل قول مالك عن أبى حنيفة ، وجعفر الصادق ، والحسن البصرى ، ولم يتكلم الصحابة ولا التابعون فى معنى الاستواء ، بل أمسكوا عنه ، ولذلك قال مالك السؤال عنه بدعة (يغشى الليل النهار) أى يلحق الليل بالنهار ، ويحتمل الوجهين ، هكذا قال الزمخشرى ، وأصل اللفظة من الغشاء أى يجعل أحدهم غشاء للآخر يغطيه فتغطى ظلمة الليل ضوء النهار (يطلبه حثيثا) أى سريعا ، والجملة فى موضع الحال من الليل أى يطاب الليل النهار فيدركه (ألا له الخلق والأمر) قيل الخلق المخلوقات والأمر مصدر أمر يأمر ، وقيل الخلق مصدر خلق ، والأمر واحد الأمور : كقوله إلى الله تصير الأمور ، والكل صحيح (تبارك) من البركة ، وهو فعل غير منصرف لم تنطق له العرب بمضارع (تضرعا وخفية) مصدر فى موضع الحال وكذلك خوفا وطمعا ، وخفية من الإخفاء ، وقرئ خيفة من الخوف (المعتدين) المجاوزين للحد ، وقيل هنا هو رفع الصوت بالدعاء والتشطط

فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّىٰ إِذَا أَقَلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَّيِّتٍ فَأَنزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَٰلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَىٰ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ۞ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرُجُ نَبَاتُهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَالَّذِي خَبُثَ

فيه (وادعوه خوفا وطمعا) جمع الله الخوف والطمع ليكون العبد خائفا راجيا ، كما قال الله تعالى يرجون رحمته ويخافون عذابه فإن موجب الخوف معرفة سطوة الله وشدة عقابه ، وموجب الرجاء معرفة رحمة الله وعظيم ثوابه ، قال تعالى نبئ عبادى أنى أنا الغفور الرحيم ، وأن عذابى هو العذاب الأليم ومن عرف فضل الله رجاه ومن عرف عذابه خافه ولذلك جاء فى الحديث «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه» لاعتدلا إلا أنه يستحب أن يكون العبد طول عمره يغلب عليه الخوف ليقوده إلى فعل الطاعات وترك السيئات وأن يغلب عليه الرجاء عند حضور الموت لقوله صلى الله عليه وسلم «لا يموتن أحدكم إلا وهو يحسن الظن بالله تعالى» ، واعلم أن الخوف على ثلاث درجات : الأولى أن يكون ضعيفا يخطر على القلب ولا يؤثر فى الباطن ولا فى الظاهر ، فوجود هذا كالعدم والثانية أن يكون قويا فيوقظ العبد من الغفلة ويحمله على الاستقامة ، والثالثة أن يشتد حتى يبلغ إلى القنوط واليأس وهذا لا يجوز ، وخير الأمور أوسطها ، والناس فى الخوف على ثلاث مقامات : فخوف العامة من الذنوب ، وخوف الخاصة من الخاتمة ، وخوف خاصة الخاصة من السابقة ، فإن الخاتمة مبنية عليها ، والرجاء على ثلاث درجات : الأولى رجاء رحمة الله مع التسبب فيها بفعل طاعة وترك معصية فهذا هو الرجاء المحمود والثانية الرجاء مع التفريط والعصيان فهذا غرور ، والثالثة أن يقوى الرجاء حتى يبلغ الأمن ، فهذا حرام ، والناس فى الرجاء على ثلاث مقامات : فمقام العامة رجاء ثواب الله ، ومقام الخاصة رجاء رضوان الله ، ومقام خاصة الخاصة رجاء لقاء الله حبا فيه وشوقا إليه (إن رحمت الله قريب من المحسنين) حذفت تاء التأنيث من قريب وهو خبر عن الرحمة على تأويل الرحمة بالرحم أو الترحم أو العفو أو لأن تأنيث الرحمة غير حقيقى أو لأنه صفة موصوف محذوف وتقديره شىء قريب أو على تقدير النسب أى ذات قرب ، وقيل قريب هنا ليس خبر عن الرحمة وإنما هو ظرف لها (الرياح بشرا) قرئ الرياح بالجمع لأنها رياح المطر ، وقد اضطرد فى القرآن جمعها إذا كانت الرحمة ، وإفرادها إذا كانت للعذاب ، ومنه ورد فى الحديث «اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا» وقرئ بالإفراد ، والمراد الجنس وقرئ نشرا بفتح النون وإسكان الشين ، وهو على هذا مصدر فى موضع الحال ، وقرئ بضمها وهو جمع نشر ، وقيل جمع منشور ، وقرئ بضم النون وإسكان الشين وهو تخفيف من الضم : كرسل ورسل ، وقرئ بالباء فى موضع النون وهو من البشارة (بين يدى رحمته) أى قبل المطر (أقلت) حملت (سحابا ثقالا) لأنها تحمل الماء فتثقل به (سقناه) الضمير للسحاب (لبلد ميت) يعنى لا نبات فيه من شدة القحط ، وكذلك معناه حيث وقع (فأنزلنا به الماء) الضمير للسحاب أو البلد ، على أن تكون الباء ظرفية (كذلك نخرج الموتى) تمثيل لإخراج الموتى من القبور وبإخراج الزرع من الأرض ، وقد وقع ذلك فى القرآن فى مواضع منها : كذلك النشور ، وكذلك الخروج (والبلد الطيب) هو الكريم من الأرض الجيد التراب (والذى خبث) بخلاف ذلك كالسبخة ونحوها (بإذن ربه) عبارة عن السهولة والطيب . والنكد

لَايَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا كَذَٰلِكَ نُصَرِّفُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَشْكُرُونَ * لَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي ضَلَالَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَلِتَتَّقُوا وَلَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ * فَكَذَّبُوهُ فَأَنجَيْنَاهُ وَالَّذِينَ مَعَهُ فِي الْفُلْكِ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا عَمِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ إِنَّا لَنَرَاكَ فِي سَفَاهَةٍ وَإِنَّا لَنَظُنُّكَ مِنَ الْكَاذِبِينَ * قَالَ يَا قَوْمِ لَيْسَ بِي سَفَاهَةٌ وَلَٰكِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * أُبَلِّغُكُمْ رِسَالَاتِ رَبِّي وَأَنَا لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ * أَوَعَجِبْتُمْ أَن جَاءَكُمْ ذِكْرٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنكُمْ لِيُنذِرَكُمْ وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَاءَ مِن بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ وَزَادَكُمْ فِي الْخَلْقِ بَسْطَةً فَاذْكُرُوا آلَاءَ اللَّهِ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * قَالُوا أَجِئْتَنَا لِنَعْبُدَ اللَّهَ وَحْدَهُ وَنَذَرَ مَا كَانَ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن

بخلاف ذلك ، فيحتمل أن يكون المراد مايقتضيه ظاهر اللفظ فتكون متممة للمعنى الذى قبلها فى المطر ، أو تكون تمثيلا للقلوب ، فقيل علىهذا الطيب . قلبالمؤمن ، والخبيث : قلب الكافر وقيل هما الفهيم والبليد (من إله غيره) قرأ الكسائى بالخفض حيث وقع على اللفظ ، وقرأ غيره بالرفع على الموضع (عذاب يوم عظيم) يعنى يوم القيامة أويوم هلا كهم (الملأ) أشراف الناس (ليس بى ضلالة) إنما قال ضلالة ولم يقل ضلال ، لأن الضلالة أخص من الضلال ، كما إذا قيل لك عندك تمر ، فتقول ماعندى تمرة فتعم بالنفى (أبلغكم) قرئ بالتشديد والتخفيف ، والمعنى واحد ، وهو فى موضع رفع صفة لرسول أو استئناف (أعلم من الله مالا تعلمون) أى من صفاته ورحمته وعذابه (أو عجبتم) الهمزة للإنكار ، والواو للعطف ، والمعطوف عليه محذوف ، كأنه قال أكذبتم وعجبتم من أن جاءكم ذكر من ربكم على رجل منكم : أى على لسان رجل منكم (فى الفلك) متعلق بمعه والتقدير استقروا معه فى الفلك ويحتمل أن يتعلق بأنجيناه (عمين) جمع أعمى وهو من عمى القلب (أخاهم) أى واحد من قبيلتهم ، وهو عطف على نوحا ، وهودا بدل منه أوعطف بيان ، وكذلك أخاهم صالحا ومابعده ، وماهو مثله حيث وقع (الملأ الذين كفروا) قيدهنا بالكفر لأن فى الملأ من قوم هود من آمن وهو مرثد بن سعيد ، بخلاف قوم نوح ، فإنهم لم يكن فيهم مؤمن ، فأطلق لفظ الملأ (أمين) يحتمل أن يريد أمانته على الوحى أوأنهم قد كانوا عرفوه بالأمانة والصدق (خلفاء من بعدقوم نوح) أى خلفتموهم فى الأرض أوجعلكم ملوكا (وزادكم فى الخلق بسطة) كانوا عظام الأجسام فكان أقصرهم ستون ذراعا ، وأطولهم مائةذراع (آلاء الله) نعمه حيث وقع (قالوا أجئتنا لنعبدالله وحده) استبعدوا توحيد

كُنتَ مِنَ الصَّٰدِقِينَ ۞ قَالَ قَدْ وَقَعَ عَلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ رِجْسٌ وَغَضَبٌ أَتُجَٰدِلُونَنِي فِي أَسْمَآءٍ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّا نَزَّلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّي مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ۞ فَأَنجَيْنَٰهُ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا وَمَا كَانُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ وَٱذْكُرُوٓا۟ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ عَادٍ وَبَوَّأَكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ تَتَّخِذُونَ مِن سُهُولِهَا قُصُورًا وَتَنْحِتُونَ ٱلْجِبَالَ بُيُوتًا فَٱذْكُرُوٓا۟ ءَالَآءَ ٱللَّهِ وَلَا تَعْثَوْا۟ فِي ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ۞ قَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ لِلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِمَنْ ءَامَنَ مِنْهُمْ أَتَعْلَمُونَ أَنَّ صَٰلِحًا مُّرْسَلٌ مِّن رَّبِّهِۦ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلَ بِهِۦ مُؤْمِنُونَ ۞ قَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوٓا۟ إِنَّا بِٱلَّذِيٓ ءَامَنتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۞ فَعَقَرُوا۟ ٱلنَّاقَةَ وَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ وَقَالُوا۟ يَٰصَٰلِحُ ٱئْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا۟ فِي دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞

الله مع اعترافهم بربوبيته ، ولذلك قال لهم هود (قد وقع عليكم) أي حق عليكم ووجب عذاب من ربكم وغضب (أتجادلونني في أسماء سميتموها) يعني الأصنام : أي تجادلونني في عبادة مسميات أسماء ، ففي الكلام حذف ، وأراد بقوله سميتموها أنتم وآباؤكم جعلتم لها أسماء ، فدل ذلك على أنها محدثة ، فلا يصح أن تكون آلهة أو سميتموها آلهة من غير دليل على أنها آلهة فقولكم باطل : فالجدال على القول الأول في عبادتها ، وعلى القول الثاني في تسميتها آلهة ، والمراد بالأسماء على القول الأول : المسمى ، وعلى القول الثاني : التسمية (دابر) ذكر في الأنعام (بينة من ربكم) أي آية ظاهرة وهي الناقة ، وأضيفت إلى الله تشريفا لها ، أو لأنه خلقها من غير فحل ، وكانوا قد اقترحوا على صالح عليه السلام أن يخرجها لهم من صخرة ، وعاهدوه أن يؤمنوا به إن فعل ذلك ، فانشقت الصخرة وخرجت منها الناقة وهم ينظرون ، ثم نتجت ولدا فآمن به قوم منهم وكفر به آخرون (لكم آية) أي معجزة تدل على صحة نبوة صالح ، والمجرور في موضع الحال من آية ، لأنه لو تأخر لكان صفة (ولا تمسوها بسوء) أي لا تضربوها ولا تطردوها (وبوأكم في الأرض) كانت أرضهم بين الشام والحجاز ، وقد دخلها رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه ، فقال لهم عليه الصلاة والسلام : لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا وأنتم باكون ، مخافة أن يصيبكم مثل الذي أصابهم (تتخذون من سهولها قصورا) أي تبنون قصورا في الأرض البسيطة (وتنحتون الجبال بيوتا) أي تتخذون بيوتا في الجبال ، وكانوا يسكنون القصور في الصيف ، والجبال في الشتاء ، وانتصب بيوتا على الحال وهو كقولك : خطت هذا الثوب قميصا (لمن آمن منهم) بدل من الذين استضعفوا (إنا بالذي آمنتم به كافرون) إنما لم يقولوا إنا بما أرسل به كما قال الآخرون لئلا يكون اعترافا برسالته (فعقروا الناقة) نسب العقر إلى جميعهم لأنهم رضوا به ، وإن لم يفعله إلا واحد منهم وهو الأحيمر (الرجفة) الصيحة حيث وقعت ، وذلك أن الله أمر جبريل فصاح صيحة بين السماء والأرض

فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ النَّٰصِحِينَ * وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ الْعَٰلَمِينَ * إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَآءِ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ * وَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَن قَالُوٓا أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ * فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَٰبِرِينَ * وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُجْرِمِينَ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَآءَهُمْ وَلَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلَٰحِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ * وَلَا تَقْعُدُوا بِكُلِّ صِرَٰطٍ تُوعِدُونَ وَتَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِهِ وَتَبْغُونَهَا عِوَجًا وَاذْكُرُوٓا إِذْ كُنتُمْ قَلِيلًا فَكَثَّرَكُمْ وَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَإِن كَانَ طَآئِفَةٌ مِّنكُمْ ءَامَنُوا بِالَّذِيٓ أُرْسِلْتُ بِهِ وَطَآئِفَةٌ لَّمْ يُؤْمِنُوا فَاصْبِرُوا حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ بَيْنَنَا وَهُوَ خَيْرُ الْحَٰكِمِينَ * قَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَٰشُعَيْبُ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ

فاتوا منها (جاثمين) حيث وقع أى قاعدين لا يتحركون (فتولى عنهم) الآية: يحتمل أن يكون توليه عنهم وقوله لهم حين عقروا الناقة قبل نزول العذاب بهم، لأنه روى أنه خرج حينئذ من بين أظهرهم، أو أن يكون ذلك بعد أن هلكوا، وهو ظاهر الآية، وعلى هذا خاطبهم بعد موتهم على وجه التفجع عليهم، وقوله: لا تحبون الناصحين: حكاية حال ماضية (إذ قال لقومه) العامل فى إذ أرسلنا المضمر، أو يكون بدلا من لوط (ما سبقكم بها من أحد من العالمين) أى لم يفعلها أحد من العالمين قبلكم، ومن الأولى زائدة، والثانية للتبعيض أو للجنس (فما كان جواب قومه) الآية: أى أنهم عدلوا عن جوابه على كلامه إلى الأمر بإخراجه وإخراج أهله (أناس يتطهرون) أى يتنزهون عن الفاحشة (من الغابرين) أى من الهالكين، وقيل من الذين غبروا فى ديارهم فهلكوا، أو من الباقين من أترابها يقال غبر بمعنى مضى، وبمعنى بقى، وإنما قال من الغابرين بجمع المذكر تغليبا للرجال الغابرين (وأمطرنا عليهم مطراً) يعنى الحجارة أصيب بها من كان منهم خارجا عن بلادهم، وقلبت البلاد بمن كان فيها (بينة من ربكم) أى آية ظاهرة، ولم تعين فى القرآن آية شعيب (فأوفوا الكيل والميزان) كانوا ينقصون فى الكيل والوزن، فبعث شعيب ينهاهم عن ذلك، والكيل هنا بمعنى المكيال الذى يكال به مناسبة للميزان كما جاء فى هود المكيال والميزان، ويجوز أن يكون الكيل والميزان مصدرين (ولا تقعدوا بكل صراط توعدون) قيل هى هو نهى عن السلب وقطع الطريق، وكان ذلك من فعلهم وكانوا يقعدون على الطريق يردون الناس عن اتباع شعيب ويوعدونهم إن اتبعوه (وتصدون) أى تمنعون الناس عن سبيل الله وهو الإيمان، والضمير فى به للصراط أو لله (تبغونها عوجا) ذكر فى آل عمران (أو لتعودن فى ملتنا) أى

كُنَّا كَـٰرِهِينَ * قَدِ ٱفْتَرَيْنَا عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّىٰنَا ٱللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّعُودَ فِيهَآ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ ٱلْفَـٰتِحِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِۦ لَئِنِ ٱتَّبَعْتُمْ شُعَيْبًا إِنَّكُمْ إِذًا لَّخَـٰسِرُونَ * فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دَارِهِمْ جَـٰثِمِينَ * ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا شُعَيْبًا كَانُوا هُمُ ٱلْخَـٰسِرِينَ * فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَـٰلَـٰتِ رَبِّى وَنَصَحْتُ لَكُمْ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَـٰفِرِينَ * وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّبِىٍّ إِلَّآ أَخَذْنَآ أَهْلَهَا بِٱلْبَأْسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ لَعَلَّهُمْ يَضَّرَّعُونَ * ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَوا وَّقَالُوا قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ فَأَخَذْنَـٰهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ ٱلْقُرَىٰٓ ءَامَنُوا وَٱتَّقَوْا لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَـٰتٍ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ وَلَـٰكِن كَذَّبُوا فَأَخَذْنَـٰهُم بِمَا

ليكونن أحد الأمرين : إما إخراجهم ، أو عودهم إلى ملة الكفر ، فإن قيل : إن العود إلى الشيء يقتضى أنه قد كان فعل قبل ذلك فيقتضى قولهم لتعودن فى ملتنا أن شعيبا ومن كان معه كانوا أولا على ملة قومهم ، ثم خرجوا منها فطلب قومهم أن يعودوا اليها وذلك محال ، فإن الأنبياء معصومون من الكفر قبل النبوة وبعدها فالجواب من وجهين : أحدهما قاله ابن عطية وهو أن عاد قد تكون بمعنى صار ، فلا يقتضى تقدم ذلك الحال الذى صار اليه ، والثانى قاله الزمخشرى وهو أن المراد بذلك الذين آمنوا بشعيب دون شعيب ، وإنما أدخلوه فى الخطاب معهم بذلك كما أدخلوه فى الخطاب معهم فى قولهم : لنخرجنك ياشعيب والذين آمنوا معك ، فغلبوا فى الخطاب بالعود الجماعة على الواحد ، وبمثل ذلك يجاب عن قوله إن عدنا فى ملتكم ، وما يكون لنا أن نعود فيها (قال أولو كنا كارهين) الهمزة للاستفهام والإنكار ، والواو للحال ، تقديره : أنعود فى ملتكم ويكون لنا أن نعود فيها ونحن كارهون (قد افترينا على الله كذبا إن عدنا فى ملتكم) أي إن عدنا فيها فقد وقعنا فى أمر عظيم من الافتراء على الله ، وذلك تبرأ من العود فيها (وما يكون لنا أن نعود فيها إلا أن يشاء الله ربنا) هذا استسلام لقضاء الله على وجه التأدب مع الله وإسناد الأمور اليه ، وذلك أنه لما تبرأ من ملتهم : أخبر أن الله يحكم عليهم بما يشاء من عود وتركه ، فإن القلوب بيده يقلبها كيف يشاء ، فإن قلت : إن ذلك يصح فى حق قومه وأما فى حق نفسه فلا فإنه معصوم من الكفر ، فالجواب : أنه قال ذلك تواضعا وتأدبا مع الله تعالى واستسلاما لأمره كقول نبينا صلى الله عليه وسلم يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك ، مع أنه قد علم أنه يثبته (ربنا افتح بيننا) أى احكم (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فى ديارهم (فكيف آسى على قوم كافرين) أى كيف أحزن عليهم وقد استحقوا ما أصابهم من العذاب بكفرهم (بالبأساء والضراء) قد تقدم (بدلنا مكان السيئة الحسنة) أى أبدلنا البأساء والضراء بالنعيم اختبارا لهم فى الحالتين (حتى عفوا) أى كثروا ونموا فى أنفسهم وأموالهم (قالوا قد مس آباءنا الضراء والسراء) أى قد جرى ذلك لآبائنا ولم يضرهم فهو بالاتفاق لا بقصد الاختبار (بركات من السماء والأرض) أى بالمطر والزرع (أو أمن) من

كَانُوا يَكْسِبُونَ * أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَىٰ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ * أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ أَهْلِهَا أَن لَّوْ نَشَاءُ أَصَبْنَاهُم بِذُنُوبِهِمْ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * تِلْكَ الْقُرَىٰ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَائِهَا وَلَقَدْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ * وَمَا وَجَدْنَا لِأَكْثَرِهِم مِّنْ عَهْدٍ وَإِن وَجَدْنَا أَكْثَرَهُمْ لَفَاسِقِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَا فِرْعَوْنُ إِنِّي رَسُولٌ مِّن رَّبِّ الْعَالَمِينَ * حَقِيقٌ عَلَىٰ أَن لَّا أَقُولَ عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ قَدْ جِئْتُكُم بِبَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَرْسِلْ مَعِيَ بَنِي إِسْرَائِيلَ * قَالَ إِن كُنتَ جِئْتَ بِآيَةٍ فَأْتِ بِهَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ * فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ * وَنَزَعَ يَدَهُ فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ لِلنَّاظِرِينَ * قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ إِنَّ هَٰذَا

قرأ بإسكان الواو فهى أو العاطفة ، ومن قرأ بفتحها فهى واو العطف دخلت عليها همزة التوبيخ كما دخلت على الفاء فى قوله أفأمنوا مكر الله : أى استدراجه وأخذه للعبد من حيث لا يشعر (أولم يهد) أى أولم يتبين (للذين يرثون الأرض) أى يسكنونها (أن لو نشاء) هو فاعل أولم يهد ، ومقصود الآية الوعيد (ونطبع على قلوبهم) عطف على أصبناهم لأنه فى معنى المستقبل ، أو منقطع على معنى الوعيد وأجاز الزمخشرى أن يكون عطفا على يرثون الأرض أو على مادل عليه معنى أولم يهد كأنه قال يغفلون عن الهداية ونطبع على قلوبهم (وما وجدنا لأكثرهم من عهد) الضمير لأهل القرى والمعنى وجدناهم ناقضين للعهود (حقيق على ألا أقول على الله إلا الحق) من قرأ علىّ بالتشديد على أنها ياء المتكلم فالمعنى ظاهر ، وهو أن موسى قال حقيق عليه أن لا يقول على الله إلا الحق ، وموضع أن لا أقول على هذا رفع ، على أنه خبر حقيق ، وحقيق مبتدأ أو بالعكس ومن قرأ على بالتخفيف فموضع أن لا أقول خفض بحرف الجر ، وحقيق صفة لرسول ، وفى المعنى على هذا وجهان ، أحدهما أن على بمعنى الباء فمعنى الكلام رسول حقيق بأن لا أقول على الله إلا الحق ، والثانى أن معنى حقيق حريص ولذلك تعدى بعلى (قد جئتكم ببينة من ربكم) أى بمعجزة تدل على صدقى وهى العصا أو جنس المعجزات (فأرسل معى بنى إسرائيل) أى خلهم يذهبوا معى إلى الأرض المقدسة موطن آبائهم ، وذلك أنه لما توفى يوسف عليه السلام غلب فرعون على بنى إسرائيل واستعبدهم حتى أنقذهم الله على يد موسى ، وكان بين اليوم الذى دخل فيه يوسف مصر واليوم الذى دخله موسى أربعمائة عاما (ونزع يده فإذا هى بيضاء) وكان موسى عليه السلام شديد الأدمة فأظهر يده لفرعون ثم أدخلها فى جيبه ، ثم أخرجها وهى بيضاء شديدة البياض كاللبن أو أشد بياضا وقيل إنها كانت منيرة شفافة كالشمس ، وكانت ترجع بعد ذلك إلى لون بدنه (للناظرين) مبالغة فى وصف يده بالبياض وكان الناس يجتمعون للنظر إليها ، والتعجب منها (قال الملأ من قوم فرعون إن هذا لساحر

لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ۞ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُمْ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ۞ قَالُوٓا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِى ٱلْمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ ۞ يَأْتُوكَ بِكُلِّ سَٰحِرٍ عَلِيمٍ ۞ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ۞ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ لَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ۞ قَالُوا يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلْقِىَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ نَحْنُ ٱلْمُلْقِينَ ۞ قَالَ أَلْقُوا فَلَمَّآ أَلْقَوْا سَحَرُوٓا أَعْيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسْتَرْهَبُوهُمْ وَجَآءُو بِسِحْرٍ عَظِيمٍ ۞ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِىَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ ۞ فَوَقَعَ ٱلْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ فَغُلِبُوا هُنَالِكَ وَٱنقَلَبُوا صَٰغِرِينَ ۞ وَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سَٰجِدِينَ ۞ قَالُوٓا ءَامَنَّا بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۞ قَالَ فِرْعَوْنُ ءَامَنتُم بِهِۦ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ إِنَّ هَٰذَا لَمَكْرٌ مَّكَرْتُمُوهُ فِى ٱلْمَدِينَةِ لِتُخْرِجُوا مِنْهَآ أَهْلَهَا فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ۞ لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ

عليم) حكى هذا الكلام هنا عن الملأ وفى الشعراء عن فرعون ، كأنه قاله هووهم ، أو قاله هو ووافقوه عليه كعادة جلساء الملوك فى اتباعهم لما يقول الملك (يريد أن يخرجكم من أرضكم) أى يخرجكم منها بالقتال أو بالحيل ، وقيل المراد إخراج بنى إسرائيل وكانوا خداما لهم فتخرب الأرض بخروج الخدام والعمار منها (فماذا تأمرون) من قول الملأ أو من قول فرعون وهو من معنى المؤامرة أى المشاورة أو من الأمر وهو ضد النهى (أرجه) من قرأه بالهمزة فهو من أرجأت الرجل إذا أخرته فمعناه أخرهما حتى تنظر فى أمرهما ، وقيل المراد بالإرجاء هنا السجن ، ومن قرأ بغير همز فتحتمل أن تكون بمعنى المهموز وسهلت الهمزة ، أويكون بمعنى الرجاء أى أطمعه ، وأما ضم الهاء وكسرها فلغتان ، وأما إسكانها فلعله أجرى فيها الوصل مجرى الوقف (حاشرين) يعنى الشرطة أى جامعين للسحرة (وجاء السحرة فرعون) قيل هنا محذوف يدل عليه سياق الكلام وهو أنه بعث إلى السحرة (إن لنا لأجرا) من قرأه بهمزتين فهو استفهام ومن قرأه بهمزة واحدة فيحتمل أن يكون خبراً أواستفهاما حذفت منه الهمزة ، والأجر هنا : الأجرة ، طلبوها من فرعون إن غلبوا موسى ، فأنعم لهم فرعون بها وزادهم التقريب منه والجاه عنده (وإنكم لمن المقربين) عطف على معنى نعم كأنه قال نعطيكم أجراً ونقربكم ، واختلف فى عدد السحرة إختلافا متباينا من سبعين رجلا إلى سبعين ألفا وكل ذلك لاأصل له فى صحة النقل (إما أن تلق وإما أن نكون نحن الملقين) خيروا موسى بين أن يبدأ بالإلقاء أو يبدؤاهم بإلقاء سحرهم فأمرهم أن يلقوا ، وانظر كيف عبروا عن إلقاء موسى بالفعل ، وعن إلقاء أنفسهم بالجملة الإسمية ، إشارة إلى أنهم أهل الإلقاء المتمكنون فيه (واسترهبوهم) أى خوفوهم بما أظهروا لهم من أعمال السحر (أن ألق عصاك) لما ألقاها صارت ثعبانا عظيما على قدر الحبل وقيل إنه طال حتى جاوز الفيل (تلقف) أى تبتلع (ما يأفكون) أى ماصوروا من إفكهم وكذبهم وروى أن الثعبان أكل ملء الوادى من حبالهم وعصيهم ومدموسى يده إليه فصار عصا كما كان ، فعلم السحرة أن ذلك ليس من السحر ، وليس فى قدرة البشر، فآمنوا بالله وبموسى عليه السلام (لأقطعن أيديكم) الآية :

وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ * قَالُوٓا۟ إِنَّآ إِلَىٰ رَبِّنَا مُنقَلِبُونَ * وَمَا تَنقِمُ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا لَمَّا جَآءَتْنَا رَبَّنَآ أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَتَوَفَّنَا مُسْلِمِينَ * وَقَالَ ٱلْمَلَأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُۥ لِيُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَءَالِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَآءَهُمْ وَنَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَٰهِرُونَ * قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱسْتَعِينُوا۟ بِٱللَّهِ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱلْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ * قَالُوٓا۟ أُوذِينَا مِن قَبْلِ أَن تَأْتِيَنَا وَمِنۢ بَعْدِ مَا جِئْتَنَا قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُهْلِكَ عَدُوَّكُمْ وَيَسْتَخْلِفَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ * وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ * فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ أَلَآ إِنَّمَا طَٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَقَالُوا۟ مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِۦ مِنْ ءَايَةٍ لِّتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * فَأَرْسَلْنَا

وعيد من فرعون للسحرة وليس فى القرآن أنه أنفذ ذلك لكن روى أنه أنفذه عن ابن عباس وغيره ، وقد ذكر معنى من خلاف فى العقود (قالوا إنا إلى ربنا منقلبون) أى لا نبالى بالموت لانقلابنا إلى ربنا (وما تنقم منا إلا أن آمنا) أى ما تعيب منا إلا إيماننا (ليفسدوا فى الأرض) أى يخربوا ملك فرعون وقومه ويخالفوا دينه (ويذرك) معطوف على ليفسدوا ، أو منصوب بإضمار أن بعد الواو (وآلهتك) قيل إن فرعون كان قد جعل للناس أصناما يعبدونها وجعل نفسه الإله الأكبر فلذلك قال أنا ربكم الأعلى ، فآلهتك على هذا هى تلك الأصنام ، وقرأ علىّ بن أبى طالب وابن مسعود وابن عباس وإلهتك : أى عبادتك والتذلل لك (إن الأرض لله) تعليل للصبر ولذا أمرهم به يعنى أرض الدنيا هنا وفى قوله «ويستخلفكم فى الأرض» وقيل يعنى أرض فرعون فأشار لهم موسى أولا بالنصر فى قوله يورثها من يشاء من عباده ، ثم صرح فى قوله عسى ربكم الآية (فينظر كيف تعملون) حض على الاستقامة والطاعة بالسنين أى الجدب والقحط (فإذا جاءتهم الحسنة) الآية : إذا جاءهم الخصب والرخاء قالوا هذه لنا وبسعدنا ، ونحن مستحقون له وإذا جاءهم الجدب والشدة تطيروا بموسى : أى قالوا هذه بشؤمه ، فإن قيل لم قال إذا جاءتهم الحسنة بإذا وتعريف الحسنة وإن تصبهم سيئة بإن وتنكير السيئة ، فالجواب أن وقوع الحسنة كثير ، والسيئة وقوعها نادر فعرف الكثير الوقوع باللام التى للعهد ، وذكره بإذا لأنها تقتضى التحقيق وذكر السيئة بإن لأنها تقتضى الشك ونكرها للتعليل (ألا إنما طائرهم عند الله) أى إنما حظهم ونصيبهم الذى قدر لهم من الخير والشر عند الله ، وهو مأخوذ من زجر الطير ثم سمى به ما يصيب الإنسان ومقصود الآية الرد عليهم فيما نسبوا إلى موسى من الشؤم . مهما هى ما الشرطية ضمت إليها ما الزائدة نحو أينما ، ثم قلبت الألف هاء ، وقيل هى اسم بسيط غير مركب . والضمير فى به يعود على مهما ، وإنما قالوا من آية على تسمية موسى لها آية ، أو على وجه التهكم (فأرسلنا عليهم الطوفان) روى أنه كان مطرا شديدا دائما مع فيض النيل حتى هدم بيوتهم ، وكادوا يهلكون وامتنعوا من الزراعة وقيل هو الطاعون (والجراد) هو المعروف أكل زروعهم وثمارهم حتى أكل ثيابهم

عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ۝ وَلَمَّا وَقَعَ عَلَيْهِمُ الرِّجْزُ قَالُوا يَٰمُوسَى ادْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ لَئِن كَشَفْتَ عَنَّا الرِّجْزَ لَنُؤْمِنَنَّ لَكَ وَلَنُرْسِلَنَّ مَعَكَ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ۝ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ الرِّجْزَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ هُم بَٰلِغُوهُ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ فِى الْيَمِّ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَٰفِلِينَ ۝ وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَٰرِقَ الْأَرْضِ وَمَغَٰرِبَهَا الَّتِى بَٰرَكْنَا فِيهَا وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ الْحُسْنَىٰ عَلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ بِمَا صَبَرُوا وَدَمَّرْنَا مَا كَانَ يَصْنَعُ فِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ وَمَا كَانُوا يَعْرِشُونَ ۝ وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ الْبَحْرَ فَأَتَوْا عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ قَالُوا يَٰمُوسَى اجْعَل لَّنَآ إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ۝ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَٰلَمِينَ ۝ وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ الْعَذَابِ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ۝ وَوَٰعَدْنَا مُوسَىٰ ثَلَٰثِينَ لَيْلَةً وَأَتْمَمْنَٰهَا بِعَشْرٍ فَتَمَّ مِيقَٰتُ رَبِّهِ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ

وأبوابهم وسقف بيوتهم (والقمل) قيل هى صغار الجراد ، وقيل البراغيث ، وقيل السوس ، وقرئ القمل بفتح القاف والتخفيف ، فهى على هذا القمل المعروف ، وكانت تتعلق بلحومهم وشعورهم (والضفادع) هى المعروفة كثرت عندهم حتى امتلأت بها فرشهم وأوانيهم وإذا تكلم أحدهم وثبت الضفدع إلى فمه (والدم) صارت مياههم دما فكان يستسقى من البئر القبطى والإسرائيلى فى إناء واحد فيخرج مايلى القبطى دما ، ومايلى الإسرائيلى ماء (ولما وقع عليهم الرجز) أى العذاب وهى الأشياء المتقدمة وكانوا مهما نزل بهم أمر منها عاهدوا موسى على أن يؤمنوا به إن كشفه عنهم ، فلما كشفه عنهم نقضوا العهد وتمادوا على كفرهم (بما عهد عندك) بدعائك إليه ووسائلك ، والباء تحتمل أن تكون للقسم وجوابه لتؤمنن لك أو يتعلق بادع لنا أى توسل إليه بما عهد عندك (فى اليم) البحر حيث وقع (القوم الذين كانوا يستضعفون) هم بنو إسرائيل (مشارق الأرض ومغاربها) الشام ومصر (باركنا فيها) أى بالخصب وكثرة الأرزاق (وتمت كلمة ربك الحسنى على بنى إسرائيل) أى تمت لهم واستقرت ، والكلمة هنا ماقضى لهم فى الأزل ، وقيل هى قوله : ونريد أن نمن على الذين استضعفوا فى الأرض (وما كانوا يعرشون) أى يبنون ، وقيل هى الكروم وشبهها فهو على الأول من العرش وعلى الثانى من العريش (قالوا ياموسى اجعل لنا إلها) أى اجعل لنا صنما نعبده كما يعبد هؤلاء أصنامهم ولما تم خبر موسى مع فرعون ابتدأ خبره مع بنى إسرائيل من هنا إلى قوله وإذ نتقنا الجبل (متبر) من التبار وهو الهلاك (وهو فضلكم على العالمين) وما بعده مذكور فى البقرة (وواعدنا موسى ثلاثين ليلة) روى أن الثلاثين هى شهر ذى القعدة والعشر بعدها هى العشر الأول من ذى الحجة ، وذلك تفصيل الأربعين المذكورة فى البقرة (ميقات ربه) أى ماوقت له من الوقت لمناجاته

اخْلُفْنِي فِي قَوْمِي وَأَصْلِحْ وَلَا تَتَّبِعْ سَبِيلَ الْمُفْسِدِينَ * وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُ رَبُّهُ قَالَ رَبِّ أَرِنِي أَنظُرْ إِلَيْكَ قَالَ لَن تَرَانِي وَلَٰكِنِ انظُرْ إِلَى الْجَبَلِ فَإِنِ اسْتَقَرَّ مَكَانَهُ فَسَوْفَ تَرَانِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُ لِلْجَبَلِ جَعَلَهُ دَكًّا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًا فَلَمَّا أَفَاقَ قَالَ سُبْحَانَكَ تُبْتُ إِلَيْكَ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُؤْمِنِينَ * قَالَ يَا مُوسَىٰ إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى النَّاسِ بِرِسَالَتِي وَبِكَلَامِي فَخُذْ مَا آتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ * وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ

فى الطور (اخلفنى) أى كن خليفتى على بنى إسرائيل مدة مغيبى (قال رب أرنى) لما سمع موسى كلام الله طمع فى رؤيته، فسألها كما قال الشاعر :

وأفرح ما يكون الشوق يوما * إذا دنت الديار من الديار

واستدلت الأشعرية بذلك على أن رؤية الله جائزة عقلا، وأنها لوكانت محالا لم يسألها موسى، فإن الأنبياء عليهم السلام يعلمون مايجوز على الله وما يستحيل، وتأول الزمخشرى طلب موسى للروية بوجهين: أحدهما أنه إنما سأل ذلك تبكيتا لمن خرج معه من بنى إسرائيل الذين طلبوا الرؤية فقالوا أرنا الله جهرة؛ فقال موسى ذلك ليسمعوا الجواب بالمنع فيتأولوا، والآخر أن معنى أرنى أنظر إليك: عرفنى نفسك تعريفا واضحا جليا وكلا الوجهين بعيد، والثانى أبعد وأضعف، فإنه لولم يكن المراد الرؤية لم يقل له انظر إلى الجبل الآية (قال لن ترانى) قال مجاهد وغيره إن الله قال لموسى لن ترانى، لأنك لاتطيق ذلك ولكن سأتجلى للجبل الذى هو أقوى منك وأشد، فإن استقر وأطاق الصبر لهيبتى أمكن أن ترانى أنت، وإن لم يطق الجبل فأحرى ألا تطيق أنت، فعلى هذا إنما جعل الله الجبل مثالا لموسى، وقال قوم المعنى سأتجلى لك على الجبل وهذا ضعيف يبطله قوله فلما تجلى ربه للجبل فإذا تقرر هذا، فقوله تعالى لن ترانى نفى الرؤية، وليس فيه دليل على أنها محال، فإنه إنما جعل علة النفى عدم إطاقة موسى الرؤية لاستحالتها، ولو كانت الرؤية مستحيلة، لكان فى الجواب زجر وإغلاظ كما قال الله لنوح فلا تسئلن ماليس لك به علم إنى أعظك أن تكون من الجاهلين، فهذا المنع من رؤية الله إنما هو فى الدنيا لضعف البنية البشرية عن ذلك، وأما فى الآخرة، فقد صرح بوقوع الرؤية كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم فلا ينكرها إلا مبتدع، وبين أهل السنة والمعتزلة فى مسئلة الرؤية تنازع طويل، وفى هذه القصة قصص كثيرة تركتها لعدم صحتها، ولما فيه من الأقوال الفاسدة (جعله دكا) أى مدكوكا فهو مصدر بمعنى مفعول كقولك ضربت الأمير، والدك والدق: أخوان، وهو التفتت، وقرئ دكاء بالمد والهمز أى أرضا دكا وقيل ذهب أعلى الجبل وبقى أكثره، وقيل تفتت حتى صار غبارا، وقيل ساخ فى الأرض وأفضى إلى البحر (وخر موسى صعقا) أى مغشيا عليه (تبت إليك) معناه تبت من سؤال الرؤية فى الدنيا وأنا لاأطيقها (وأنا أول المؤمنين) أى أول قومه أو أهل زمانه، أو على وجه المبالغة فى السبق إلى الإيمان (اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامى) هوعموم يراد به الخصوص، فإن جميع الرسل قد شاركوه فى الرسالة، واختلف هل كلم الله غيره من الرسل أم لا، والصحيح أنه كلم نبينا محمدا صلى الله تعالى عليه وآله وسلم ليلة الإسراء (فخذ ماآتيتك) تأديبا أى اقنع بما أعطيتك من رسالتى وكلامى ولا تطلب غيرذلك (وكتبنا له فى الألواح) أى ألواح التوراة وكانت سبعة، وقيل عشرة

مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِّكُلِّ شَىْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُوْرِيكُمْ دَارَ الْفَـٰسِقِينَ ۞ سَأَصْرِفُ عَنْ ءَايَـٰتِىَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِى الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَإِن يَرَوْا كُلَّ ءَايَةٍ لَّا يُؤْمِنُوا بِهَا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الرُّشْدِ لَا يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا وَإِن يَرَوْا سَبِيلَ الْغَىِّ يَتَّخِذُوهُ سَبِيلًا ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا عَنْهَا غَـٰفِلِينَ ۞ وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَـٰتِنَا وَلِقَآءِ الْآخِرَةِ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۞ وَاتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ أَلَمْ يَرَوْا أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا اتَّخَذُوهُ وَكَانُوا ظَـٰلِمِينَ ۞ وَلَمَّا سُقِطَ فِىٓ أَيْدِيهِمْ وَرَأَوْا أَنَّهُمْ قَدْ ضَلُّوا قَالُوا لَئِن لَّمْ يَرْحَمْنَا رَبُّنَا وَيَغْفِرْ لَنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَـٰسِرِينَ ۞ وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَـٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ

وقيل اثنان وقيل كانت من زمردة وقيل من ياقوت ، وقيل من خشب (من كل شىء) عموم يراد به الخصوص فيما يحتاجون إليه فى دينهم ، وكذلك تفصيلا لكل شىء ، وموضع كل شىء نصب على أنه مفعول كتبنا ، وموعظة بدل منه (فخذها بقوة) أى بجد وعزم ، والضمير للتوراة (يأخذوا بأحسنها) أى فيها ما هو حسن وأحسن منه كالقصاص مع العفو ، وكذلك سائر المباحات مع المندوبات (سأريكم دار الفاسقين) أى دار فرعون وقومه وهو مصر ، ومعنى أريكم كيف أقفرت منهم لما هلكوا ، وقيل منازل عاد وثمود ومن هلك من الأمم المتقدمة ليعتبروا بها ، وقيل جهنم ، وقرأ ابن عباس سأورثكم بالثاء المثلثة من الوراثة . وهى على هذا مصدر لقوله وأورثناها بنى إسرائيل (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض) الآيات : يحتمل هنا أن يراد بها القرآن وغيره من الكتب أو العلامات والبراهين ، والصرف يراد به حذم عن فهمها وعن الإيمان بها عقوبة لهم على تكبرهم ، وقيل الصرف منعهم من إبطالها (ولقاء الآخرة) يجوز أن يكون من إضافة المصدر إلى المفعول به أى ولقاؤهم الآخرة ، أو من إضافة المصدر إلى الظرف (واتخذ قوم موسى) هم بنو إسرائيل (من بعده) أى من بعد غيبته فى الطور (من حليهم) بضم الحاء والتشديد جمع حلى نحو ثدى وثدى ، وقرئ بكسر الحاء للإتباع وقرئ بفتح الحاء وإسكان اللام ، والحلى هو اسم ما يتزين به من الذهب والفضة (جسدا) أى جسما دون روح ، وانتصابه على البدل (له خوار) الخوار هو صوت البقر ، وكان السامرى قد قبض قبضة من تراب أثر فرس جبريل يوم قطع البحر ، فقذفه فى العجل فصار له خوار ، وقيل كان إبليس يدخل فى جوف العجل فيصيح فيه فيسمع له خوار (ألم يروا أنه لا يكلمهم) ردّ عليهم ، وإبطال لمذهبهم الفاسد فى عبادته (اتخذوه) أى اتخذوه إلها ، فحذف المفعول الثانى للعلم به ، وكذلك حذف من قوله واتخذ قوم موسى (سقط فى أيديهم) أى ندموا يقال سقط فى يد فلان إذا عجز عما يريد أو وقع فيما يكره (أسفا) شديد الحزن على ما فعلوه ، وقيل شديد الغضب كقوله فلما آسفونا (بئسما خلفتمونى) أى قمتم مقامى ، وفاعل بئس مضمر يفسره ما واسم المذموم محذوف ، والمخاطب بذلك إما القوم الذين عبدوا العجل مع السامرى حيث عبدوا غير الله فى غيبة موسى عنهم ، أو رؤساء بنى إسرائيل كهارون عليه السلام حيث لم يكفوا الذين

وَأَلْقَى الْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ الْأَعْدَاءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ • قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِى وَلِأَخِى وَأَدْخِلْنَا فِى رَحْمَتِكَ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • إِنَّ الَّذِينَ اتَّخَذُوا الْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى الْمُفْتَرِينَ • وَالَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِهَا وَءَامَنُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ • وَلَمَّا سَكَتَ عَنْ مُوسَى الْغَضَبُ أَخَذَ الْأَلْوَاحَ وَفِى نُسْخَتِهَا هُدًى وَرَحْمَةٌ لِلَّذِينَ هُمْ لِرَبِّهِمْ يَرْهَبُونَ • وَاخْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ سَبْعِينَ رَجُلًا لِمِيقَاتِنَا فَلَمَّا أَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ قَالَ رَبِّ لَوْ شِئْتَ أَهْلَكْتَهُمْ مِنْ قَبْلُ وَإِيَّاىَ أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ السُّفَهَاءُ مِنَّا إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ تُضِلُّ بِهَا مَنْ تَشَاءُ وَتَهْدِى مَنْ تَشَاءُ أَنْتَ وَلِيُّنَا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ

عبدوا العجل (أعجلتم أمر ربكم) معناه أعجلتم عن أمر ربكم ، وهو انتظار موسى حتى يرجع من الطور ، فإنهم لما رأوا أن الأمر قد تم ظنوا أن موسى عليه السلام قد مات فعبدوا العجل (وألقى الألواح) طرحها لما لحقه من الدهش والضجر غضبا لله من عبادة العجل (وأخذ برأس أخيه) أى شعر رأسه (يجره إليه) لأنه ظن أنه فرط فى كف الذين عبدوا العجل (ابن أم) كان هارون شقيق موسى ، وإنما دعاه بأمه ، لأنه أدعى إلى العطف والحنو ، وقرئ ابن أم بالكسر على الإضافة إلى ياء المتكلم ، وحذفت الياء بالفتح تشبيها بخمسة عشر جعل الاسمان اسما واحدا فبنى (ولا تجعلنى مع القوم الظالمين) أى لا تظن أنى منهم أو لا تجد على فى نفسك ما تجد عليهم يعنى أصحاب العجل (غضب من ربهم وذلة) أى غضب فى الآخرة وذلة فى الدنيا (ولما سكت عن موسى الغضب) أى سكن ، وكذلك قرأ بعضهم ، وقال الزمخشرى قوله سكت مثل كأن الغضب كان يقول له ألق الألواح وجر برأس أخيك ، ثم سكت عن ذلك (وفى نسختها) أى فيما ينسخ منها ، والنسخة فعلة بمعنى مفعول (لربهم يرهبون) أى يخافون ، ودخلت اللام لتقدم المفعول كقوله للرؤيا تعبرون ، وقال المبرد تتعلق بمصدر تقديره رهبتهم لربهم (واختار موسى قومه) أى من قومه (سبعين رجلا) حملهم معه إلى الطور يسمعون كلام الله لموسى فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الرجفة عقابا لهم على قولهم ، وقيل إنما أخذتهم الرجفة لعبادتهم العجل أو لسكوتهم على عبادته ، والأول أرجح لقوله فقالوا أرنا الله جهرة فأخذتهم الصاعقة بظلمهم ، ويحتمل أن تكون رجفة موت أو إغماء ، والأول أظهر لقوله ثم بعثناكم من بعد موتكم (لو شئت أهلكتهم من قبل وإياى) يحتمل أن تكون لو هنا للتمنى أى تمنوا أن يكون هو وهم قد ماتوا قبل ذلك ، لأنه خاف من تشغيب بنى إسرائيل عليه إن رجع إليهم دون هؤلاء السبعين ، ويحتمل أن يكون قال ذلك على وجه التضرع والاستسلام لأمر الله كأنه قال : لو شئت أن تهلكنا قبل ذلك لفعلت فإنا عبيدك وتحت قهرك ، وأنت تفعل ما تشاء ، ويحتمل أن يكون قالها على وجه التضرع والرغبة كأنه قال لو شئت أن تهلكنا قبل اليوم لفعلت ، ولكنك عافيتنا وأبقيتنا فافعل معنا الآن ما وعدتنا وأحى هؤلاء القوم الذين أخذتهم الرجفة (أتهلكنا بما فعل السفهاء منا) أى أتهلكنا وتهلك سائر بنى إسرائيل بما فعل السفهاء الذين

الْغَـٰفِرِينَ * وَاكْتُبْ لَنَا فِى هَـٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى الْآخِرَةِ إِنَّا هُدْنَـآ إِلَيْكَ قَالَ عَذَابِى أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَآءُ وَرَحْمَتِى وَسِعَتْ كُلَّ شَىْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَوٰةَ وَالَّذِينَ هُم بِـَٔايَـٰتِنَا يُؤْمِنُونَ * الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِىَّ الْأُمِّىَّ الَّذِى يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِى التَّوْرَىٰةِ وَالْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَـٰهُمْ

طلبوا الرؤية والذين عبدوا العجل ، فعنى هـذا إدلاء بحجته ، وتبرؤ من فعل السفهاء ، ورغبـة إلى الله أن لايعم الجميع بالعقوبة (إن هى إلا فتنتك) أى الأمور كلها بيدك (تضل بها من تشاء وتهدى من تشاء) ومعنى هـذا : اعتذار عن فعل السفهاء ، فإنه كان بقضاء الله ومشيئته (إنا هدنا إليك) أى تبنا ، وهـذا الكلام الذى قاله موسى عليه السلام إنمـا هو استعطاف ورغبة إلى الله وتضرع إليه ، ولا يقتضى شيئا ممـا توهم الجهال فيـه من الجفاء فى قوله : أتهلكنا بمـا فعل السفهاء منا لأنا قد بينا أنه إنمـا قال ذلك استعطافا لله وبراءة من فعل السفهاء (قال عذابى أصيب به من أشاء) قيل الإشارة بذلك إلى الذين أخذتهم الرجفة ، والصحيح أنه عموم يندرجون فيه مع غيرهم ، وقرئ من أساء . بالسين وفتح الهمزة من الإساءة ، وأنكرها بعض المقرئين وقال إنها تصحيف (ورحمتى وسعت كل شىء) يحتمل أن يريد رحمته فى الدنيا فيكون خصوصا فى الرحمة وعموما فى كل شىء لأنّ المؤمن والكافر ، والمطيع والعاصى : تنالهم رحمة الله ونعمته فى الدنيا ، ويحتمل أن يريد رحمة الآخرة فيكون خصوصا فى كل شىء ، لأنّ الرحمة فى الآخرة مختصة بالمؤمنين ، ويحتمل أن يريد جنس الرحمة على الإطلاق ، فيكون عموما فى الرحمـة ، وفى كل شىء (فسأكتبها للذين يتقون) إن كانت الرحمة المذكورة رحمة الآخرة فهى بلا شك مختصة بهؤلاء الذين كتب بها الله لهم وهم أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وإن كانت رحمة الدنيا ، فهى أيضا مختصة بهم لأنّ الله نصرهم على جميع الأمم ، وأعلا دينهم على جميع الأديان ، ومكن لهم فى الأرض ما لم يمـكن لغيرهم وإن كانت على الإطلاق : فقوله سأكتبها تخصيص للإطلاق (والذين هم بآياتنا يؤمنون) أى يؤمنون بجميع الـكتب والأنبياء ، وليس ذلك لغير هذه الأمة (الذين يتبعون الرسول) هذا الوصف خصص أمة محمد صلى الله عليه وسلم ، قال بعضهم : لمـا قال الله ورحمتى وسعت كل شىء طمع فيها كل أحد حتى إبليس ، فلما قال فسأكتبها للذين يتقون فيئس إبليس لعنه الله ، وبقيت اليهود والنصارى (النبى الأمى) أى الذى لايقرأ ولا يكتب وذلك من أعظم دلائل نبوّته صلى الله عليه وسلم كأنه أتى بالعلوم الجمـة من غير قراءة ولا كتابة ، ولذلك قال تعالى : وما كنت تتلوا من قبله من كتاب ولا تخطه بيمينك إذاً لارتاب المبطلون ، قال بعضهم : الأمىّ منسوب إلى الأم وقيل إلى الأمة (الذى يجدونه مكتوبا عندهم فى التوراة والإنجيل) ضمـير الفاعل فى يجدونه لبنى إسرائيل ، وكذلك الضمير فى عندهم ، ومعنى يجدونه يجدون نعتـه وصفته ولنذكر هنا ماورد فى التوراة والإنجيل وأخبار المتقدمين من ذكر نبينا محمد صلى الله عليه وسلم

فمن ذلك ماورد فى البخارى وغيره أنّ فى التوراة من صفة النبى صلى الله عليه وآله وسلم : يا أيها النبى إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا ونذيرا ، وحرزاً للأميين أنت عبدى ورسولى أسميتك المتوكل ليس بفظ ولاغليظ ولاصخاب فى الأسواق لاتجزى بالسيئة السيئة ، ولـكن تعفو وتصفح ، ولن أقبضه حتى أقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا لا إله إلا الله ، فيفتح به عيونا عميا ، وآذانا صما ، وقلوبا غلفا

ومن ذلك مافى التوراة مما أجمع عليه أهل الكتاب وهو باق بأيديهم إلى الآن إنّ الملك نزل على إبراهيم فقال له : فى هذا العام يولد لك غلام اسمه إسحاق ، فقال إبراهيم يارب ليت إسماعيل يعيش يخدمك فقال الله لإبراهيم ذلك لك قد استجيب لك فى إسماعيل وأنا أباركه وأنميه وأكبره وأعظمه بماذ ماذ ، وتفسير هذه الحروف محمد

ومن ذلك فى التوراة إنّ الرب تعالى جاء فى طورسيناء ، وطلع من ساعد وظهر من جبال فاران ، ويعنى بطورسيناء موضع مناجاة موسى عليه السلام ، وساعد موضع عيسى وفاران هى مكة موضع مولد نبينا محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ومبعثه ، ومعنى ماذكر من مجئ الله وطلوعه وظهوره هو ظهور دينه على يد الأنبياء الثلاثة المنسوبين لتلك المواضع ، وتفسير ذلك ما فى كتاب شعيا خطابا لمكة : قومى فأزهرى مصباحك فقد دنا وقتك وكرامة الله طالعة عليك ، فقد تخلل الأرض الظلام ، وعلا على الأمم المصاب ، والرب يشرق عليك إشراقا ، ويظهر كرامته عليك ، تسير الأمم إلى نورك ، والملوك إلى ضوء طلوعك ، ارفعى بصرك إلى ماحولك ، وتأملى فإنهم مستجمعون عندك ، وتحج اليك عساكر الأمم وفى بعض كتبهم لقد تقطعت السماء من بهاء محمد المحمود ، وامتلأت الأرض من حمده ، لأنه ظهر بخلاص أمته

ومن ذلك فى التوراة أن هاجر أم إسماعيل لما غضبت عليها سارة تراءى لها ملك فقال لها ياهاجر أين تريدين ومن أين أقبلت فقالت أهرب من سيدتى سارة ، فقال لها ارجعى إلى سارة وستحبلين وتلدين ولدا اسمه إسماعيل وهو يكون عين الناس ، وتكون يده فوق الجميع ، وتكون يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع ، ووجه دلالة هذا الكلام على نبوة محمد صلى الله عليه وسلم أن هذا الذى وعدها به الملك من أن يد ولدها فوق الجميع وأن يد الجميع مبسوطة اليه بالخضوع إنما ظهرت بمبعث النبى محمد صلى الله عليه وسلم وظهور دينه وعلو كلمته ، ولم يكن ذلك لاسماعيل ولا لغيره قبل محمد صلى الله عليه وسلم

ومن ذلك أيضا فى التوراة أن الرب يقيم لهم نبيا من إخوتهم ، وأى رجل لم يسمع ذلك الكلام الذى يؤديه ذلك النبى عن الله فينتقم الله منه ، ودلالة هذا الكلام ظاهرة بأن أولاد إسماعيل هم إخوة أولاد إسحاق ، وقد انتقم الله من اليهود الذين لم يسمعوا كلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم كبنى قريظة وبنى قينقاع وغيرهم

ومن ذلك فى التوراة : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام وقد أجبت دعاءك فى إسماعيل ، وباركت عليه وسيلد اثنى عشر عظيما ، وأجعله لأمة عظيمة

ومن ذلك فى الإنجيل أن المسيح قال للحواريين إنى ذاهب عنكم وسيأتيكم الفارقليط الذى لا يتكلم من قبل نفسه إنما يقول كما يقال له وبهذا وصف الله سبحانه نبينا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فى قوله «وما ينطق عن الهوى . إن هو إلا وحى يوحى» ، وتفسير الفارقليط أنه مشتق من الحمد واسم نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم محمد وأحمد وقيل معنى الفارقليط الشافع المشفع

ومن ذلك فى التوراة : مولده بمكة ومسكنه بطيبة وأمته الحمادون ، وبيان ذلك أن أمته يقرؤن الحمد لله فى صلاتهم مرارا كثيرة فى كل يوم وليلة ، وعن شهر بن حوشب مثل ذلك فى إسلام كعب الأحبار ، وهو من اليمن من حمير أن كعبا أخبره بأمره وكيف كان ذلك ، وقيل كان أبوه من مؤمنى أهل التوراة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وكان من عظمائهم وخيارهم ، قال كعب وكان من أعلم الناس بما

أنزل الله على موسى من التوراة ، وبكتب الأنبياء ، ولم يكن يدخر عنى شيئا مما كان يعلم ، فلما حضرته الوفاة دعانى ، فقال يابنى : قد علمت أنى لم أكن أدخر عنك شيئا مما كنت أعلم ، إلا أنى حبست عنك ورقتين فيهما ذكر نبي يبعث ، وقد أظل زمانه ، فكرهت أن أخبرك بذلك فلا آمن عليك بعد وفاتى أن يخرج بعض هؤلاء الكذابين فتتبعه ؛ وقد قطعتهما من كتابك وجعلتهما فى هذه الكوة التى ترى وطينت عليهما ، فلا تتعرض لهما ولا تنظرهما زمانك هذا وأقرهما فى موضعهما حتى يخرج ذلك النبي ، فإذا خرج فاتبعه وانظر فيهما ، فإن الله يزيدك بهذا خيرا ، فلما مات والدى لم يكن شيء أحب إلى من أن ينقضى المأتم حتى أنظر مافى الورقتين فلما انقضى المأتم فتحت الكوة ثم استخرجت الورقتين فإذا فيهما محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم خاتم النبيين ، لا نبي بعده، مولده بمكة ومهاجره بطيبة ، ليس بفظ ولا غليظ ، ولا صخاب فى الأسواق ، ولا يجزى بالسيئة السيئة ، ولكن يجزى بالسيئة الحسنة ويعفو ويغفر ويصفح أمته الحمادون الذين يحمدون الله على كل شرف وعلى كل حال وتتذلل بالتكبير ألسنتهم ، وينصر الله نبيهم على كل من ناوأه ، يغسلون فروجهم بالماء ويأتزرون على أوساطهم وأناجيلهم فى صدورهم ويأكلون قربانهم فى بطونهم ويؤجرون عليها وتراحمهم بينهم تراحم نبي الأم والأب ، وهم أول من يدخل الجنة يوم القيامة من الأمم ، وهم السابقون المقربون والشافعون المشفع لهم ، فلما قرأت هذا قلت فى نفسى : والله ماعلمنى شيئا خيرا لى من هذا فمكثت ماشاء الله حتى بعث النبي صلى الله عليه وسلم وبينى وبينه بلاد بعيدة منقطعة لا أقدر على إتيانه ، وبلغنى أنه خرج فى مكة فهو يظهر مرة ويستخفى مرة ، فقلت هو هذا وتخوفت ما كان والدى حذرنى وخوفنى من ذكر الكذابين ، وجعلت أحب أن أتبين وأتثبت فلم أزل بذلك حتى بلغنى أنه أتى المدينة فقلت فى نفسى إنى لأرجو أن يكون إياه وجعلت ألتمس السبيل اليه فلم يقدر لى حتى بلغنى أنه توفى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت فى نفسى لعله لم يكن الذى كنت أظن ، ثم بلغنى أن خليفة قام مقامه ، ثم لم ألبث إلا قليلا حتى جاءتنا جنوده فقلت فى نفسى لا أدخل فى هذا الدين حتى أعلم أهم الذين كنت أرجو وأنتظر وأنظر كيف سيرتهم وأعمالهم ، وإلى ما تكون عاقبتهم فلم أزل أدفع ذلك وأؤخره لأتبين وأتثبت حتى قدم علينا عمر بن الخطاب ، فلما رأيت صلاة المسلمين وصيامهم وبرهم ووفاءهم بالعهد وما صنع الله لهم على الأعداء علمت أنهم هم الذين كنت أنتظر فحدثت نفسى بالدخول فى دين الإسلام ، فوالله إنى ذات ليلة فوق سطح إذا برجل من المسلمين يتلو كتاب الله حتى أتى على هذه الآية يا أيها الذين أوتوا الكتاب آمنوا بما نزلنا مصدقا لما معكم من قبل أن نطمس وجوها فنردها على أدبارها أو نلعنهم كما لعنا أصحاب السبت وكان أمر الله مفعولا ، فلما سمعت هذه الآية خشيت الله ألا أصبح حتى يحول وجهى فى قفاى ، فما كان شيء أحب إلى من الصباح ، فغدوت على عمر فأسلمت حين أصبحت ، وقال كعب لعمر عند انصرافهم إلى الشام يا أمير المؤمنين إنه مكتوب فى كتاب الله إن هذه البلاد التى كان فيها بنو إسرائيل ، وكانوا أهلها مفتوحة على يد رجل من الصالحين رحيم بالمؤمنين شديد على الكافرين سره مثل علانيته وعلانيته مثل سره ، وقوله لا يخالف فعله ، والقريب والبعيد عنده فى الحق سواء وأتباعه رهبان بالليل وأسد بالنهار ، متراحمون متواصلون متباذلون ، فقال له عمر : ثكلتك أمك ، أحق ماتقول ؟ قال إى والذى أنزل التوراة على موسى والذى يسمع ما تقول إنه لحق ، فقال عمر الحمد لله الذى أعزنا وشرفنا وأكرمنا ورحمنا بمحمد صلى الله عليه وسلم برحمته التى وسعت كل شيء ، ومن ذلك كتاب فروة بن عمر الجذامى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وكان من ملوك العرب

بالشام ، فكتب إليه : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد رسول الله من فروة بن عمرو إنى مقر بالإسلام ، مصدق ، أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً عبدالله ورسوله وأنه الذى بشر به عيسى ابن مريم عليه السلام ، فأخذه هرقل لما بلغه إسلامه وسجنه فقال والله لا أفارق دين محمد أبدا فإنك تعرف أنه النبى الذى بشر به عيسى ابن مريم ، ولكنك حرصت على ملكك وأحببت بقاءه فقال قيصر صدق والإنجيل ، يشهد لهذا ما خرجه البخارى ومسلم من كتاب رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى هرقل وسؤال هرقل عن أحواله وأخلاقه صلى الله عليه وسلم ، فلما أخبر بها علم أنه رسول الله ، وقال إنه يملك موضع قدمىّ ولو خلصت إليه لغسلت قدميه ، ومن حديث زيد بن أسلم عن أبيه وهو عندنا بالإسناد أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه خرج زمان الجاهلية مع ناس من قريش فى التجارة إلى الشام ، قال وإنى لفى سوق من أسواقها إذا أنا بطريق قد قبض على عنقى فذهبت أنازعه فقيل لى لا تفعل فإنه لا نصيف لك منه فأدخلنى كنيسة فإذا تراب عظيم ملقى فجاءنى بزنبيل ومجرفة فقال لى أنقل ما ههنا فجعلت أنظر كيف أصنع ، فلما كان من الهاجرة وافانى وعليه ثوب أرى سائر جسده منه ، فقال أتنك على ما أرى ما نقلت شيئا ، ثم جمع يديه فضرب بهما دماغى فقلت واثكل أمك يا عمر أبلغت ما أرى ثم وثبت إلى المجرفة فضربت بها هامته فنثرت دماغه ثم واريته فى التراب وخرجت على وجهى لا أدرى أين أسير فسرت بقية يومى وليلتى من الغد إلى الهاجرة فانتهيت إلى دير فاستظللت بفنائه فخرج إلىّ رجل منه فقال لى يا عبدالله ما يقعدك هنا ، فقلت أضللت أصحابى ، فقال لى ما أنت على طريق وإنك لتنظر بعينى خائف ، فادخل فأصب من الطعام واسترح فدخلت فأتانى بطعام وشراب وأطعمنى ، ثم صعد فىّ النظر وصوّبه ، فقال قد علم والله أهل الكتاب أنه ما على الأرض أعلم بالكتاب منى ، وإنى لأرى صفتك الصفة التى تخرجنا من هذا الدير وتغلبنا عليه ، فقلت يا هذا لقد ذهبت بى فى غير مذهب ، فقال لى ما اسمك فقلت عمر ابن الخطاب ، فقال أنت والله صاحبنا فاكتب لى على ديرى هذا وما فيه ، فقلت يا هذا إنك قد صنعت إلىّ صنيعة فلا تكدرها ، فقال إنما هو كتاب فى رق ، فإن كنت صاحبنا فذلك ، وإلا لم يضرك شىء فكتب له على ديره وما فيه ، فأتانى بثياب ودراهم فدفعها إلىّ ثم أوكف أتاناً فقال لى أتراها فقلت نعم ، قال سر عليها فإنك لا تمر بقوم إلا سقوها وعلفوها وأضافوك فإذا بلغت مأمنك فاضرب وجهها مدبرة فإنهم يفعلون بها كذلك حتى ترجع إلىّ قال فركبتها فكان كما قال حتى لحقت بأصحابى وهم متوجهون إلى الحجاز ، فضربتها مدبرة وانطلقت معهم ، فلما وافى عمر الشام فى زمان خلافته جاءه ذلك الراهب بالكتاب وهو صاحب دير العرس فلما رآه عرفه ، فقال قد جاء ما لا مذهب لعمر عنه ، ثم أقبل على أصحابه فحدثهم بحديثه فلما فرغ منه أقبل على الراهب فقال هل عندكم من نفع للمسلمين ، قال نعم يا أمير المؤمنين ، قال إن أضفتم المسلمين ومرضتموهم وأرشدتموهم فعلنا ذلك قال نعم يا أمير المؤمنين فوفى له عمر رضى الله عنه ورحمه . وعن سيف يرفعه إلى سالم بن عبدالله قال : لما دخل عمر الشام تلقاه رجل من يهود دمشق فقال السلام عليك يا فاروق ، أنت صاحب إيلياء ؛ والله لا ترجع حتى يفتح الله إيلياء

ومن ذلك أن عمرو بن العاصى قدم المدينة بعد وفاة رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد أرسله إلى عمان واليا عليها فجاءه يوما يهودى من يهود عمان فقال له أنشدك بالله ، من أرسلك إلينا ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال اليهودى والله إنك لتعلم أنه

عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِى كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ * قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَمِن قَوْمِ مُوسَىٰٓ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ * وَقَطَّعْنَٰهُمُ ٱثْنَتَىْ عَشْرَةَ أَسْبَاطًا أُمَمًا وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ إِذِ ٱسْتَسْقَىٰهُ قَوْمُهُۥٓ أَنِ ٱضْرِب

رسول الله ، قال عمرو اللهم نعم ، فقال اليهودى لئن كان حقا ما تقول لقد مات اليوم فلما سمع عمرو ذلك جمع أصحابه وكتب ذلك اليوم الذى قال له اليهودى أن النبىّ صلى الله عليه وسلم مات فيه . ثم خرج فأخبر بموت النبي صلى الله عليه وسلم وهو فى الطريق ووجده قد مات فى ذلك اليوم صلى الله تعالى عليه وسلم وبارك وشرف وكرم (ومن ذلك أن وفد غسان قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم فلقيهم أبو بكر الصديق فقال لهم من أنتم ؟ قالوا رهط من غسان قدمنا على محمد لنسمع كلامه ، فقال لهم انزلوا حيث تنزل الوفود ، ثم ائتوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فكلموه ، فقالوا وهل نقدر على كلامه كما أردنا فتبسم أبو بكر ، وقال إنه ليطوف بالأسواق ويمشى وحده ولا شرطة معه ويرغب من يراه منه فقالوا لأبى بكر من أنت أيها الرجل ، فقال أنا أبو بكر بن أبى قحافة ، فقالوا أنت تقوم بهذا الأمر بعده فقال أبو بكر الأمر إلى الله ، فقال لهم كيف تخدعون عن الاسلام وقد أخبركم أهل الكتاب بصفته ، وأنه آخر الأنبياء ثم لقوا رسول الله صلى الله عليه وسلم فأسلموا (يأمرهم بالمعروف وينهاهم عن المنكر) يحتمل أن يكون هذا من وصف النبى صلى الله عليه وسلم فى التوراة ، فتكون الجملة فى موضع الحال من ضمير المفعول فى يجدونه ، أو تفسيراً لما كتب من ذكره أو يكون استئناف وصف من الله تعالى غير مذكور فى التوراة والإنجيل (ويحل لهم الطيبات ويحرم عليهم الخبائث) مذهب مالك أن الطيبات هى الحلال ، وأن الخبائث هى الحرام ، ومذهب الشافعى أن الطيبات هى المستلذات إلا ما حرمه الشرع منها كالخمر والخنزير ، وأن الخبائث هى المستقذرات : كالخنافس والعقارب وغيرها (ويضع عنهم إصرهم) وهو مثل لما كلفوا فى شرعهم من المشقات كقتل الأنفس فى التوبة ؛ وقطع موضع النجاسة من الثوب ، وكذلك الأغلال عبارة عما منعت منه شريعتهم كتحريم الشحوم وتحريم العمل يوم السبت وشبه ذلك (وعزروه) أى منعوه بالنصر حتى لا يقوى عليه عدو (واتبعوا النور الذى أنزل معه) هو القرآن أو الشرع كله ، ومعنى معه مع بعثه ورسالته (إنى رسول الله إليكم جميعا) تفسيره قوله صلى الله عليه وسلم وكان كل نبىّ يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة فإعراب جميعا حال من الضمير فى إليكم (الذى له ملك السموات والأرض) نعت لله أو منصوب على المدح بإضمار فعل أو مرفوع على أنه خبر ابتداء مضمر (يؤمن بالله وكلماته) هى الكتب التى أنزلها الله عليه وعلى غيره من الأنبياء (ومن قوم موسى أمة) هم الذين ثبتوا حين تزلزل غيرهم فى عصر موسى أو الذين آمنوا بمحمد صلى الله عليه وسلم فى عصره (وقطعناهم) أى فرقناهم (أسباطا) السبط فى بنى إسرائيل كالقبيلة فى العرب وانتصابه على البدل من اثنتى عشرة لا على التمييز فإن تمييز اثنتى عشرة

بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ فَٱنبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ وَظَلَّلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ كُلُوا مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۞ وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُوا هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَٱدْخُلُوا ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ ۞ فَبَدَّلَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ قَوْلًا غَيْرَ ٱلَّذِى قِيلَ لَهُمْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِجْزًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ بِمَا كَانُوا يَظْلِمُونَ ۞ وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ۞ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ۞ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ

لا يكون إلا مفردا ،وقال الزمخشرى على التمييز ، لأن كل قبيلة أسباطا لا سبط (فانبجست) أى انفجرت إلا أن الانبجاس أخف من الانفجار وقال القزوينى الانبجاس : أول الانفجار (وظللنا عليهم الغمام) وما بعده إلى قوله بما كانوا يظلمون مذكور فى البقرة ﴿ تنبيه ﴾ وقع الاختلاف فى اللفظين هذا الموضع من هذه السورة وبين سورة البقرة فى قوله انفجرت وانبجست وقوله وإذ قلنا ادخلوا ، وإذ قيل لهم اسكنوا وقوله وكلوا بالواو وفكلوا بالفاء ، فقال الزمخشرى : لا بأس باختلاف العبارتين إذا لم يكن هنالك تناقض ، وعللها شيخنا الأستاذ أبو جعفر بن الزبير فى كتاب ملاك التأويل وصاحب الدرة بتعليلات منها قوية وضعيفة وفيها طول فتركناها لطولها (واسئلهم) أى اسأل اليهود على جهة التقرير والتوبيخ (عن القرية) قيل هى إيلياء ، وقيل هى طبرية ، وقيل مدين (حاضرة البحر) قريبة منه أو على شاطئه (إذ يعدون فى السبت) أى يتجاوزون حد الله فيه ، وهو اصطيادهم يوم السبت ، وقد نهوا عنه وموضع إذ بدل من القرية والمراد أهلها وهو بدل اشتمال أو منصوب بكانت أو بحاضرة (إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعا) كانت الحيتان تخرج من البحر يوم السبت حتى تصل إلى بيوتهم ابتلاء لهم إذ كان صيدها عليهم حراما فى يوم السبت ، وتغيب عنهم فى سائر الأيام ، وسبتهم مصدر من قولك سبت اليهودى يسبت إذا عظم يوم السبت ، ومعنى شرعا ظاهرة قريبة منهم يقال شرع منا فلان إذا دنا وإذ فى قوله إذ تأتيهم منصوب بيعدون ، أو بدل من إذ يعدون (وإذ قالت أمة منهم لم تعظون قوما) الآية : افترقت بنو إسرائيل ثلاث فرق : فرقة عصت يوم السبت بالصيد وفرقة نهت عن ذلك واعتزلت القوم وفرقة سكتت واعتزلت ، فلم تنه ولم تعص ، وأن هذه الفرقة لما رأت مهاجرة الناهية وطغيان العاصية قالوا للفرقة الناهية : لم تعظون قوما يريد الله أن يهلكهم أو يعذبهم ، فقالت الناهية نهاهم معذرة إلى الله ولعلهم يتقون ، فهلكت الفرقة العاصية ، ونجت الناهية ، واختلف فى الثالثة هل هلكت لسكوتها أو نجت لاعتزالها وتركها العصيان (بعذاب بئيس) أى شديد ، وقرئ بالهمز وتركه ، وقرئ على وزن فعيل وعلى وزن فيعل وكلها من معنى البؤس (فلما عتوا عما نهوا عنه) أى لما تكبروا عن ما نهوا عنه (قلنا لهم كونوا قردة

قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَاسِئِينَ * وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكَ لَيَبْعَثَنَّ عَلَيْهِمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَن يَسُومُهُمْ سُوءَ الْعَذَابِ إِنَّ رَبَّكَ لَسَرِيعُ الْعِقَابِ وَإِنَّهُ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَقَطَّعْنَاهُمْ فِي الْأَرْضِ أُمَمًا مِّنْهُمُ الصَّالِحُونَ وَمِنْهُمْ دُونَ ذَٰلِكَ وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * فَخَلَفَ مِن بَعْدِهِمْ خَلْفٌ وَرِثُوا الْكِتَابَ يَأْخُذُونَ عَرَضَ هَٰذَا الْأَدْنَىٰ وَيَقُولُونَ سَيُغْفَرُ لَنَا وَإِن يَأْتِهِمْ عَرَضٌ مِّثْلُهُ يَأْخُذُوهُ أَلَمْ يُؤْخَذْ عَلَيْهِم مِّيثَاقُ الْكِتَابِ أَن لَّا يَقُولُوا عَلَى اللَّهِ إِلَّا الْحَقَّ وَدَرَسُوا مَا فِيهِ وَالدَّارُ الْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يَتَّقُونَ أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ * وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ وَظَنُّوا أَنَّهُ وَاقِعٌ بِهِمْ خُذُوا مَا آتَيْنَاكُم

خاسئين) ذكر فى البقرة ، والمعنى أنهم عذبوا أولا بعذاب شديد فعتوا بذلك فمسخوا قردة ، وقيل فلما عتوا تكرار لقوله فلما نسوا ، والعذاب البئيس هو المسخ (تأذن ربك) عزم ، وهو من الإيذان بمعنى الإعلام (ليبعثن عليهم) الآية أى يسلط عليهم ، ومن ذلك أخذ الجزية ، وهوانهم فى جميع البلاد (وقطعناهم فى الأرض) أى فرقناهم فى البلاد ، ففى كل بلدة فرقة منهم ، فليس لهم إقليم يملكونه (منهم الصالحون) هم من أسلم كعبد الله بن سلام أو من كان صالحا من المتقدمين منهم (بالحسنات والسيئات) أى بالنعم والنقم (فخلف من بعدهم خلف) أى حدث بعدهم قوم سوء ، والخلف بسكون اللام ذم ، وبفتحها مدح ، والمراد من حدث من اليهود بعد المذكورين ، وقيل المراد النصارى (يأخذون عرض هذا الأدنى) أى عرض الدنيا (ويقولون سيغفر لنا) ذلك اغترار منهم وكذب (وإن يأتهم عرض مثله يأخذوه) الواو للحال يرجون المغفرة وهم يعودون إلى مثل فعلهم (ميثاق الكتاب ألا يقولوا على الله إلا الحق) إشارة إلى كذبهم فى قولهم سيغفر لنا وإعراب ألا يقولوا عطف بيان على ميثاق الكتاب أو تفسير له أو تكون أن حرف عبارة وتفسير (والذين يمسكون بالكتاب) قرئ بالتشديد والتخفيف ؛ وهما بمعنى واحد ، وإعراب الذين عطف على الذين يتقون ، أو مبتدأ وخبره إنا لا نضيع أجر المصلحين ، وأقام ذكر المصلحين مقام الضمير ، لأن المصلحين هم الذين يمسكون بالكتاب (وإذ نتقنا الجبل فوقهم) أى اقتلعنا الجبل ورفعناه فوق بنى إسرائيل وقلنا لهم خذوا التوراة حين أبوا من أخذها ، وقد تقدم فى البقرة تفسير الظلة وخذوا ما آتيناكم بقوة (وإذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم ذريتهم وأشهدهم على أنفسهم ألست بربكم) الآية : فى معناها قولان : أحدهما أن الله لما خلق آدم أخرج ذريته من صلبه وهم مثل الذر ، وأخذ عليهم العهد بأنه ربهم ، فأقروا بذلك والتزموه ، روى هذا المعنى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم من طرق كثيرة وقال به جماعة من الصحابة وغيرهم ، والثانى أن ذلك من باب التمثيل ، وأن أخذ الذرية عبارة عن إيجادهم فى الدنيا وأما إشهادهم فمعناه أن الله نصب لبنى آدم الأدلة على ربوبيته فشهدت بها عقولهم فكأنه أشهدهم على أنفسهم ، وقال لهم ألست بربكم وكأنهم قالوا بلسان الحال بلى أنت ربنا ، والأول هو الصحيح لتواتر الأخبار به ، إلا أن ألفاظ الآية لا تطابقه بظاهرها ، فلذلك عدل عنه من قال بالقول الآخر ، وإنما تطابقه بتأويل وذلك أن أخذ الذرية إنما كان من صلب آدم ، ولفظ الآية يقتضى أن أخذ الذرية من بنى آدم ، والجمع

بِقُوَّةٍ وَاذْكُرُوا مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ * وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنْ بَنِي ءَادَمَ مِنْ ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ شَهِدْنَا أَنْ تَقُولُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَٰذَا غَافِلِينَ * أَوْ تَقُولُوا إِنَّمَا أَشْرَكَ ءَابَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِنْ بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ * وَكَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ الْآيَاتِ وَلَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ * وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ الَّذِي ءَاتَيْنَاهُ ءَايَاتِنَا فَانْسَلَخَ مِنْهَا فَأَتْبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ * وَلَوْ شِئْنَا لَرَفَعْنَاهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُ أَخْلَدَ إِلَى الْأَرْضِ وَاتَّبَعَ هَوَاهُ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ الْكَلْبِ إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَثْ أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ ذَٰلِكَ مَثَلُ الْقَوْمِ

بينهما أنه ذكر بنى آدم فى الآية والمراد آدم كقوله : ولقد خلقناكم ثم صورناكم : الآية ، وعلى تأويل لقد خلقنا أباكم آدم من صورته ، وقال الزمخشرى : إن المراد ببنى آدم أسلاف اليهود ، والمراد بذريتهم من كان فى عصر النبى صلى الله عليه وسلم ، وفى الصحيح المشهور أن المراد جمع بنى آدم حسبما ذكرناه (قالوا بلى شهدنا) قولهم بلى إقرار منهم بأن الله ربهم ، فإن تقديره أنت ربنا ، فإن بلى بعد التقرير تقتضى الإثبات ، بخلاف نعم فإنها إذا وردت بعد الاستفهام تقتضى الإيجاب وإذا وردت بعد التقرير تقتضى النفى ، ولذلك قال ابن عباس فى هذه الآية لوقالوا نعم لكفروا ، وأماقولهم شهدنا : فمعناه شهدنا بربوبيتك فهو تحقيق لربوبية الله وأداء لشهادتهم بذلك عندالله ، وقيل إن شهدنا من قول الله والملائكة أى شهدنا على بنى آدم باعترافهم (أن تقولوا يوم القيامة) فى موضع مفعول من أجله : أى فعلنا ذلك كراهية أن تقولوا ، فهو من قول الله لامن قولهم ، وقرئ بالتاء على الخطاب لبنى آدم ، وبالياء على الإخبار عنهم (واتل عليهم نبأ الذى آتيناه آياتنا فانسلخ منها) قال ابن مسعود : هو رجل من بنى إسرائيل بعثه موسى عليه السلام إلى ملك مدين داعيا إلى الله فرشاه الملك وأعطاه الملك على أن يترك دين موسى ويتابع الملك على دينه ففعل ، وأضل الناس بذلك وقال ابن عباس هو رجل من الكنعانيين اسمه بلعم بن باعوراء كان عنده اسم الله الأعظم ، فلما أراد موسى قتال الكنعانيين وهم الجبارون : سألوا من بلعم أن يدعو باسم الله الأعظم على موسى وعسكره فأبى فألحوا عليه حتى دعا عليه ألا يدخل المدينة ودعا عليه موسى فالآيات التى أعطيها على هذا القول : هى اسم الله الأعظم وعلى قول ابن مسعود هى ما علمه موسى من الشريعة ، وقيل كان عنده من صحف إبراهيم ، وقال عبدالله بن عمرو بن العاصى : هو أمية بن أبى الصلت ، وكان قد أوتى علما وحكمة وأراد أن يسلم قبل غزوة بدر ، ثم رجع عن ذلك ومات كافرا ، وفيه قال النبى صلى الله عليه وسلم كاد أمية بن أبى الصلت أن يسلم ، فالآية على هذا ما كان عنده من العلم والانسلاخ عبارة عن البعد والانفصال منها كالانسلاخ من الثياب والجلد (ولو شئنا لرفعناه بها) أى لرفعنا منزلته بالآيات التى كانت عنده (ولكنه أخلد إلى الأرض) عبارة عن فعله لما سقطت به منزلته عند الله (فمثله كمثل الكلب) أى صفته كصفة الكلب : وذلك غاية فى الخسة والرداءة (إن تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث) اللهث هو تنفس بسرعة وتحريك أعضاء الفم وخروج اللسان ، وأكثر مايعترى ذلك الحيوانات مع الحر والتعب ، وهى حالة دائمة للكلب ، ومعنى إن تحمل عليه إن تفعل معه مايشق عليه من طرد أو غيره أو تتركه دون أن تحمل عليه ، فهو يلهث على كل حال ، ووجه تشبيه ذلك الرجل به أنه إن وعظته فهو ضال وإن لم تعظه فهو ضال ، فضلالته على كل حال

ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا فَٱقْصُصِ ٱلْقَصَصَ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۝ سَآءَ مَثَلًا ٱلْقَوْمُ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا وَأَنفُسَهُمْ كَانُوا يَظْلِمُونَ ۝ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِى وَمَن يُضْلِلْ فَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ أُولَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۝ وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا وَذَرُوا ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ أَسْمَٰٓئِهِۦ سَيُجْزَوْنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمِمَّنْ خَلَقْنَآ أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِٱلْحَقِّ وَبِهِۦ يَعْدِلُونَ ۝ وَٱلَّذِينَ كَذَّبُوا بِـَٔايَٰتِنَا سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَأُمْلِى لَهُمْ إِنَّ كَيْدِى مَتِينٌ ۝ أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِهِم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ

كما أنّ لهث الكلب على كل حال وقيل إنّ ذلك الرجل خرج لسانه على صدره فصار مثل الكلب فى صورته ولهثه حقيقة (ذلك مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا) أى صفة المكذبين كصفة الكلب فى لهثه وكصفة الرجل المشبه به لأنهم إن أنذروا لم يهتدوا ، وإن تركوا لم يهتدوا ، وشبههم بالرجل فى أنهم رأوا الآيات والمعجزات فلم تنفعهم ، كما أنّ الرجل لم ينفعه ما كان عنده من الآيات (ساء مثل القوم الذين كذبوا بآياتنا وأنفسهم) الآية : قدم هذا المفعول للاختصاص والحصر (كثيرا من الجن والإنس) هم الذين علم الله أنهم يدخلون النار بكفرهم ، فأخبر أنه خلقهم لذلك كما جاء فى قوله هؤلاء للجنة ولا أبالى ، وهؤلاء للنار ولا أبالى (لا يبصرون بها) ليس المعنى نفى السمع والبصر جملة ، وإنما المعنى نفيها عما ينفع فى الدين (ولله الأسماء الحسنى) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم : إن لله تسعة وتسعون اسما من أحصاها دخل الجنة . وسبب نزول الآية : أن أبا جهل لعنه الله سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة ، والرحمن أخرى ، فقال يزعم محمد أنّ الإله واحد وهاهو يعبد آلهة كثيرة ، فنزلت الآية مبينة أنّ تلك الأسماء الكثيرة هى لمسمى واحد ، والحسنى مصدر وصف به أو تأنيث أحسن وحسن أسماء الله هى أنها صفة مدح وتعظيم وتحميد (فادعوه بها) أى سموه بأسمائه ، وهذا إباحة لإطلاق الأسماء على الله تعالى ، فأما ما ورد منها فى القرآن أو الحديث ، فيجوز إطلاقه على الله إجماعا وأما ما لم يرد وفيه مدح لا تتعلق به شبهة ، فأجاز أبو بكر بن الطيب إطلاقه على الله ومنع ذلك أبو الحسن الأشعرى وغيره ، ورأوا أن أسماء الله موقوفة على ما ورد فى القرآن والحديث ، وقد ورد فى كتاب الترمذى عدّتها أعنى تعيين التسعة والتسعين ، واختلف المحدثون هل تلك الأسماء المعدودة فيه مرفوعة إلى النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أو موقوفة على أبى هريره ، وإنما الذى ورد فى الصحيح كونها تسعة وتسعين من غير تعيين (وذروا الذين يلحدون فى أسمائه) قيل معنى ذروا اتركوهم لا تحاجوهم ولا تتعرضوا لهم ، فالآية على هذا منسوخة بالقتال ، وقيل معنى ذروا الوعيد والتهديد كقوله : وذرنى والمكذبين ، وهو الأظهر لما بعده والحادهم فى أسماء الله : هو ما قال أبو جهل فنزلت الآية بسببه ، وقيل تسميته بما لا يليق ، وقيل تسمية الأصنام باسمه كاشتقاقهم اللات من الله ، والعزى من العزيز (وممن خلقنا أمة) الآية روى أنّ النبى صلى الله عليه وآله وسلم قال : هذه الآية لكم ، وقد تقدّم مثلها لقوم موسى (سنستدرجهم) الاستدراج استفعال من الدرجة أى نسوقهم إلى الهلاك شيئا بعد شىء وهم لا يشعرون ،

إِلَّا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَنظُرُوا فِي مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ وَأَنْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَدِ اقْتَرَبَ أَجَلُهُمْ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَهُ يُؤْمِنُونَ * مَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُ وَيَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ * يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ رَبِّي لَا يُجَلِّيهَا لِوَقْتِهَا إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمْ إِلَّا بَغْتَةً يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ اللَّهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * قُل لَّا أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لَاسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * هُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ

والإملاء هو الإمهال مع إرادة العقوبة (إنّ كيدى متين) سمى فعله بهم كيدا لأنه شبيه بالكيد فى أن ظاهره إحسان وباطنه خذلان (أو لم يتفكروا مابصاحبهم من جنة) يعنى بصاحبهم النبى صلى الله عليه وآله وسلم، فنفى عنه مانسب له المشركون من الجنون، ويحتمل أن يكون قوله مابصاحبهم من جنة معمولا لقوله أو لم يتفكروا فيوصل به، والمعنى: أو لم يتفكروا فيعلمون أن مابصاحبهم من جنة، ويحتمل أن يكون الكلام قد تم فى قوله: أولم يتفكروا ثم ابتدأ إخبارا استئنافا لقوله مابصاحبهم من جنة، والأول أحسن (أو لم ينظروا) يعنى نظر استدلال (ماخلق الله) عطف على الملكوت ويعنى بقوله من شىء: جميع المخلوقات إذ جميعها دليل على وحدانية خالقها (وأن عسى أن يكون قد اقترب أجلهم) أن الأولى مخففة من الثقيلة، وهى عطف على الملكوت، وأن الثانية مصدرية فى موضع رفع بعسى، وأجلهم يعنى موتهم، والمعنى لعلهم يموتون عن قريب، فينبغى لهم أن يسارعوا إلى النظر فيما يخلصهم عند الله قبل حلول الأجل (فبأىّ حديث بعده) الضمير للقرآن (يسألونك عن الساعة) السائلون اليهود أو قريش، وسميت القيامة ساعة لسرعة حسابها كقوله: وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب (أيان مرساها) معنى أيان: متى، ومرساها: وقوعها وحدوثها، وهى من الإرساء بمعنى الثبوت (قل إنما علمها عند ربى) أى استأثر الله بعلم وقوعها ولم يطلع عليه أحد (لايجليها لوقتها إلا هو) معنى يجليها يظهرها، فهو من الجلاء ضد الخفاء، واللام فى لوقتها ظرفية: أى عند وقتها، والمعنى لايظهر الساعة عند مجىء وقتها إلا الله (ثقلت فى السموات والأرض) فى معناه ثلاثة أقوال: الأول ثقلت على أهل السموات والأرض لهيبتها عندهم وخوفهم منها، والثانى ثقلت على أهل السموات والأرض أنفسها لتفطر السماء فيها وتبديل الأرض، والثالث معنى ثقلت: أى ثقل علمها أى خفى (يسألونك كأنك حفى عنها) الحفىّ بالشىء هو المهتبل به المعتنى به، والمعنى: يسألونك عنها كأنك حفىّ بعلمها وقيل المعنى يسألونك عنها كأنك حفىّ بهم لقرابتك منهم، فعنها على هذين القولين يتعلق بيسئلونك، وقيل المعنى يسألونك كأنك حفى بالسؤال عنها (ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير) براءة من علم الغيب، واستدلال على عدم علمه (وما مسنى السوء) عطف على لاستكثرت من الخير أى لو علمت الغيب لاستكثرت من الخير، واحترست من السوء ولكن لا أعلمه فيصيبنى ماقدر لى من الخير والشر، وقيل إن قوله وما مسنى السوء: استئناف إخبار، والسوء على هذا هو الجنون واتصاله بما قبله أحسن (لقوم يؤمنون) يجوز أن يتعلق ببشير ونذير معا أى أبشر المؤمنين

إِلَيْهَا فَلَمَّا تَغَشَّاهَا حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِ فَلَمَّا أَثْقَلَتْ دَعَوَا اللَّهَ رَبَّهُمَا لَئِنْ آتَيْتَنَا صَالِحًا لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۞ فَلَمَّا آتَاهُمَا صَالِحًا جَعَلَا لَهُ شُرَكَاءَ فِيمَا آتَاهُمَا فَتَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ۞ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنْفُسَهُمْ يَنْصُرُونَ ۞ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لَا يَتَّبِعُوكُمْ سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ أَدَعَوْتُمُوهُمْ أَمْ أَنْتُمْ صَامِتُونَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ عِبَادٌ أَمْثَالُكُمْ فَادْعُوهُمْ فَلْيَسْتَجِيبُوا

وأنذرهم ، وخص بهم البشارة والنذارة ، لأنهم هم الذين ينتفعون بهما ، ويجوز أن يتعلق بالبشارة وحدها ، ويكون المتعلق بنذير محذوف أى نذير للكافرين ، والأول أحسن (من نفس واحدة) يعنى آدم (زوجها) يعنى حواء (ليسكن إليها) يميل إليها ويستأنس بها (تغشاها) كناية عن الجماع (حملت حملا خفيفا) أى خف عليها ولم تلق منه ما يلقى بعض الحوامل من حملهن من الأذى والكرب ، وقيل الحمل الخفيف المنى فى فرجها (فمرت به) قيل معناه استمرت به إلى حين ميلاده ، وقيل معناه قامت وقعدت (فلما أثقلت) أى ثقل حملها وصارت به ثقيلة (لئن آتيتنا صالحا) أى ولدا صالحا سالما فى بدنه (فلما آتاهما صالحا جعلا له شركاء فيما آتاهما) أى لما آتاهما ولدا صالحا كما طلبا : جعل أولادهما له شركاء فالكلام على حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه ، وكذلك فيما آتاهما : أى فيما آتى أولادهما وذريتهما ، وقيل إن حواء لما حملت جاءها إبليس وقال لها : إن أطعتينى وسميت ما فى بطنك عبد الحارث ، فسأخلصه لك ، وكان اسم إبليس الحارث ، وإن عصيتينى فى ذلك قتلته ، فأخبرت بذلك آدم ، فقال لها إنه عدونا الذى أخرجنا من الجنة ، فلما ولدت مات الولد ثم حملت مرة أخرى فقال لها إبليس مثل ذلك ، فعصته فمات الولد ثم حملت مرة ثالثة فسمياه عبد الحارث طمعا فى حياته ، فقوله جعلا له شركاء فيما آتاهما : أى فى التسمية لا غير ، لا فى عبادة غير الله ، والقول الأول أصح لثلاثة أوجه : أحدها أنه يقتضى براءة آدم وزوجه من قليل الشرك وكثيره ، وذلك هو حال الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، والثانى أنه يدل على أن الذين أشركوا هم أولاد آدم وذريته لقوله تعالى : فتعالى الله عما يشركون بضمير الجمع ، والثالث أن ما ذكروا من قصة آدم وتسمية الولد عبد الحارث يفتقر إلى نقل بسند صحيح ، وهو غير موجود فى تلك القصة ، وقيل من نفس واحدة هو قصى بن كلاب وزوجته وجعلا له شركاء أى سموا أولادهما عبد العزى وعبد الدار وعبد مناف ، وهذا القول بعيد لوجهين أحدهما أن الخطاب على هذا خاص بذرية قصى من قريش والظاهر أن الخطاب عام لبنى آدم ، والآخر أن قوله وجعل منها زوجها ، فإن هذا يصح فى حواء لأنها خلقت من ضلع آدم ، ولا يصح فى زوجة قصى (أيشركون ما لا يخلق شيئا وهم يخلقون) هذه الآية رد على المشركين من بنى آدم ، والمراد بقوله ما لا يخلق شيئا الأصنام وغيرها مما عبد من دون الله ، والمعنى أنها مخلوقة غير خالقة ، والله تعالى خالق غير مخلوق فهو الإله وحده (ولا يستطيعون لهم نصرا ولا أنفسهم ينصرون) يعنى أن الأصنام لا ينصرون من عبدهم ، ولا ينصرون أنفسهم فهم فى غاية العجز والذلة ، فكيف يكونون آلهة (وإن تدعوهم إلى الهدى لا يتبعوكم) يعنى أن الأصنام لا تجيب إذا دعيت إلى أن تهدى أو إلى أن تهدى ، لأنها جمادات (سواء عليكم أدعوتموهم أم أنتم صامتون) تأكيد وبيان لما قبلها ، فإن قيل : لم قال أم أنتم صامتون فوضع الجملة الإسمية موضع الجملة الفعلية وهلا قال أو صمتم؟ فالجواب إن صمتم عن دعاء الأصنام كانت حالة مستمرة ، فعبر هنا

لَكُمْ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ أَلَهُمْ أَرْجُلٌ يَمْشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَيْدٍ يَبْطِشُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ أَعْيُنٌ يُبْصِرُونَ بِهَآ أَمْ لَهُمْ ءَاذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا قُلِ ادْعُوا شُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنظِرُونِ ۞ إِنَّ وَلِـِّۧيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَٰبَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّٰلِحِينَ ۞ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَكُمْ وَلَآ أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ۞ وَإِن تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَىٰ لَا يَسْمَعُوا وَتَرَىٰهُمْ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ۞ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَٰهِلِينَ ۞

بجملة إسمية لتقتضى الاستمرار على ذلك (إن الذين تدعون من دون الله عباد أمثالكم) رد على المشركين بأن آلهتهم عباد؛ فكيف يعبد العبد معربه (فادعوهم فليستجيبوا) أمر على جهة التعجيز (ألهم أرجل يمشون بها) ومابعده: معناه أن الأصنام جمادات عادمة للحس والجوارح والحياة والقدرة، ومن كان كذلك: لايكون إلها، فإن من وصف الإله الإدراك والحياة والقدرة؛ وإنما جاء هذا البرهان بلفظ الاستفهام، لأن المشركين مقرون أن أصنامهم لاتمشى ولا تبطش، ولاتبصر، ولاتسمع، فلزمته الحجة، والهمزة فى قوله «ألهم» للاستفهام مع التوبيخ، وأم فى المواضع الثلاثة تضمنت معنى الهمزة، ومعنى بل وليست عاطفة (قل ادعوا شركاءكم ثم كيدون فلا تنظرون) المعنى استنجدوا أصنامكم لمضرتى والكيد علىّ، ولا تؤخرونى، فإنكم وأصنامكم لاتقدرون على مضرتى، ومقصد الآية الردّ عليهم ببيان عجز أصنامهم وعدم قدرتها على المضرة، وفيها إشارة إلى التوكل على الله والاعتصام به وحده وأن غيره لايقدر على شىء ثم أفصح بذلك فى قوله (إن ولىي الله) الآية: أى هو حافظى وناصرى منكم فلا تضروننى ولو حرصتم أنتم وآلهتكم على مضرتى، ثم وصف الله بأنه الذى أنزل الكتاب، وبأنه يتولى الصالحين، وفى هذين الوصفين استدلال على صدق النبى صلى الله عليه وسلم بإنزال الكتاب عليه، وبأن الله تولى حفظه، ومن تولى حفظه فهو من الصالحين والصالح لابد أن يكون صادقا فى قوله ولا سيما فيما يقوله عن الله (والذين تدعون من دونه لايستطيعون نصركم) الآية: ردّ على المشركين، وقد تقدم معناه (وإن تدعوهم إلى الهدى لايسمعوا) يحتمل أن يريد الأصنام فيكون تحقيراً لهم، ورداً على من عبدها، فإنها جمادات لاتسمع شيئا، فيكون المعنى كالذى تقدم، أو يريد الكفار، ووصفهم بأنهم لايسمعون يعنى سماعا ينتفعون به، لإفراط نفورهم، أو لأن الله طبع على قلوبهم (وتراهم ينظرون إليك وهم لايبصرون) إن كان هذا من وصف الأصنام، فقوله ينظرون مجاز، وقوله لايبصرون حقيقة، لأن لهم صورة الأعين وهم لايرون بها شيئا، وإن كان من وصف الكفار فينظرون حقيقة ولا يبصرون مجازا على وجه المبالغة كما وصفهم بأنهم لايسمعون (خذ العفو) فيه قولان أحدهما أن المعنى خذ من الناس فى أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ماتيسر لا مايشق عليهم، لئلا ينفروا فالعفو على هذا بمعنى السهل والصفح عنهم، وهو ضد الجهل والتكليف كقول الشاعر ۞ خذى العفو منى تستديمى مودتى ۞

والآخر أن المعنى خذ من الصدقات ماسهل على الناس فى أموالهم أومافضل لهم، وذلك قبل فرض الزكاة، فالعفو على هذا بمعنى السهل أو بمعنى الكثرة (وأمر بالعرف) أى بالمعروف وهو فعل الخير وقيل العفو الجارى بين الناس من العوائد، واحتج المالكية بذلك على الحكم بالعوائد (وأعرض عن الجاهلين) أى لاتكافئ السفهاء بمثل قولهم أوفعلهم واحلم عنهم، ولما نزلت هذه الآية سأل رسول الله صلى الله تعالى

وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ۞ وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ وَإِذَا لَمْ تَأْتِهِم بِآيَةٍ قَالُوا لَوْلَا اجْتَبَيْتَهَا قُلْ إِنَّمَا أَتَّبِعُ مَا يُوحَىٰ إِلَيَّ مِن رَّبِّي هَٰذَا بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ۞ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ

عليه وآله وسلم جبريل عنها ، فقال لاأدرى حتى أسأل ؛ ثم رجع فقال يامحمد إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك ، وتعطى من حرمك ، وتعفو عمن ظلمك ، وعن جعفر الصادق : أمر الله نبيه صلى الله عليه وسلم فيها بمكارم الأخلاق ، وهى على هذا ثابتة الحكم وهو الصحيح ، وقيل كانت مداراة للكفار ، ثم نسخت بالقتال (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) نزغ الشيطان وسوسته بالتشكيك فى الحق والأمر بالمعاصى أو تحريك الغضب ، فأمر الله بالاستعاذة منه عند ذلك كما ورد فى الحديث أن رجلا اشتد غضبه فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه مابه : نعوذ بالله من الشيطان الرجيم (طائف من الشيطان) معناه لمة منه ، كما جاء إنّ للشيطان لمة وللملك لمة ، ومن قرأ طائف بالألف ، فهو اسم فاعل ومن قرأ طيف بياء ساكنة ، فهو مصدر أو تخفيف من طيف المشدد ، كميت وميت (تذكروا) حذف مفعوله ليعم كل مايذكر من خوف عقاب الله ، أو رجاء ثوابه أو مراقبته والحياء منه ، أو عداوة الشيطان والاستعاذة منه والنظر والاعتبار وغير ذلك (فإذا هم مبصرون) هو من بصيرة القلب (وإخوانهم يمدونهم فى الغيّ) الضمير فى إخوانهم للشياطين ، وأريد بقوله طائف من الشيطان : الجنس ، ولذلك أعيد عليه ضمير الجماعة وإخوانهم هم الكفار ، ومعنى يمدونهم : يكونون مددا لهم : يعضدونهم ، وضمير المفعول فى يمدونهم للكفار ، وضمير الفاعل للشيطان ، ويحتمل أن يريد بالإخوان : الشياطين ، ويكون الضمير فى إخوانهم للكفار ، والمعنى على الوجهين : أنّ الكفار يمدهم الشيطان وقرئ يمدونهم بضم الياء وفتحها ، والمعنى واحد ، وفى الغيّ يتعلق بيمدونهم ، وقيل يتعلق بإخوانهم كما تقول إخوة فى الله ، أو فى الشيطان (ثم لا يقصرون) أى لا يقصر الشياطين عن إمداد إخوانهم الكفار أو لا يقصر الكفار عن غيهم ، وفى الآية من إدراك البيان لزوم مالا يلزم بالالتزام الصاد قبل الراء فى مبصرون ولا يقصرون (وإذا لم تأتهم بآية قالوا لولا اجتبيتها) الضمير فى لم تأتهم للكفار ، ولولا هنا عوض ، وفى معنى اجتبيتها قولان : أحدهما اخترعتها من قبل نفسك ، فالآية على هذا من القرآن ، وكان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم يتأخر عنه الوحى أحيانا ، فيقول الكفار هلا جئت بقرآن من قولك ، والآخر معناه طلبتها من الله ، وتخيرتها عليه ، فالآية على هذا معجزة ، أى يقولون اطلب المعجزة من الله (قل إنما أتبع مايوحى إلى من ربى معناه لاأخترع القرآن على القول الأول ولا أطلب آية من الله على القول الثانى (هذا بصائر) أى علامات هدى والاشارة إلى القرآن (وإذا قرئ القرآن فاستمعوا له وأنصتوا) فيه ثلاثة أقوال ؛ أحدها أن الإنصات المأمور به هو لقراءة الإمام فى الصلاة ، والثانى أنه الإنصات للخطبة ، والثالث أنه الإنصات لقراءة القرآن على الاطلاق وهو الراجح لوجهين : أحدهما أن اللفظ عام ولا دليل على تخصيصه ، والثانى أن الآية مكية ، والخطبة إنما

وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ۞ إِنَّ الَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيُسَبِّحُونَهُ وَلَهُ يَسْجُدُونَ ۞

ســـورة الأنفال

مدنية إلا من آية ٣٠ إلى غاية آية ٣٦ فمكية وآياتها ٧٥ نزلت بعد البقرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۞ يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَنفَالِ قُلِ الْأَنفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۞

شرعت بالمدينة (لعلكم ترحمون) قال بعضهم الرحمة أقرب شيء إلى مستمع القرآن لهذه الآية (واذكر ربك نفسك) يحتمل أن يريد الذكر بالقلب دون اللسان أو الذكر باللسان سرا، فعلى الأول يكون قوله: ودون الجهر من القول؛ عطف متغاير أى حالة أخرى، وعلى الثانى يكون بيانا وتفسيرا للأول (بالغدو والآصال) أى فى الصباح والعشى والآصال جمع أصل والأصل جمع أصيل، قيل المراد صلاة الصبح والعصر، وقيل فرض الخمس والأظهر الإطلاق (إن الذين عند ربك) هم الملائكة عليهم السلام، وفى ذكرهم تحريض للمؤمنين وتعريض للكفار (وله يسجدون) قدم المجرور لمعنى الحصر أى لا يسجدون إلا لله والله أعلم

ســـورة الأنفال

نزلت هذه السورة فى غزوة بدر وغنائمها (يسألونك عن الأنفال) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والسائلون هم الصحابة، والأنفال هى الغنائم، وذلك أنهم كانوا يوم بدر ثلاث فرق: فرقة مع النبى صلى الله عليه وسلم فى العريش تحرسه، وفرقة اتبعوا المشركين فقتلوهم وأسروهم، وفرقة أحاطوا بأسلاب العدو وعسكرهم لما انهزموا، فلما انجلت الحرب واجتمع الناس رأت كل فرقة أنها أحق بالغنيمة من غيرها، واختلفوا فيما بينهم، فنزلت الآية ومعناها يسئلونك عن حكم الغنيمة ومن يستحقها، وقيل الأنفال هنا ما ينفله الإمام لبعض الجيش من الغنيمة زيادة على حظه، وقد اختلف الفقهاء هل يكون ذلك التنفيل من الخمس وهو قول مالك، أو من الأربعة الأخماس، أو من رأس الغنيمة، قبل إخراج الخمس (قل الأنفال لله والرسول) أى الحكم فيهما لله والرسول لا لكم (وأصلحوا ذات بينكم) أى اتفقوا وائتلفوا، ولا تنازعوا، وذات هنا بمعنى الأحوال، قاله الزمخشرى، وقال ابن عطية يراد بها فى هذا الموضع نفس الشيء وحقيقته وقال الزبيرى إن إطلاق الذات على نفس الشيء وحقيقته ليس من كلام العرب (وأطيعوا الله ورسوله) يريد فى الحكم فى الغنائم، قال عبادة بن الصامت نزلت فينا أصحاب بدر حين اختلفنا وساءت أخلاقنا، فنزع الله الأنفال من أيدينا، وجعلها لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقسمها على السواء، فكان فى ذلك تقوى الله وطاعة رسوله وإصلاح ذات البين (إنما المؤمنون) الآية: أى الكاملون الإيمان فإنما هنا للتأكيد والمبالغة والحصر (وجلت قلوبهم) أى خافت وقرأ أبى بن كعب فزعت (زادتهم إيماناً) أى قوى تصديقهم ويقينهم

أُولَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُمْ دَرَجَـٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۞ كَمَآ أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيْتِكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ لَكَـٰرِهُونَ ۞ يُجَـٰدِلُونَكَ فِى ٱلْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ ۞ وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَـٰفِرِينَ ۞ لِيُحِقَّ ٱلْحَقَّ وَيُبْطِلَ ٱلْبَـٰطِلَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ ۞ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ۞ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ

خلافاً لمن قال إن الإيمان لا يزيد ولا ينقص ، وإن زيادته إنما هي بالعمل (لهم درجات) يعنى فى الجنة (كما أخرجك ربك) فيه ثلاث تأويلات أحدها أن تكون الكاف فى موضع رفع على أنه خبر مبتدإ محذوف تقديره هذه الحال كحال إخراجك يعنى أن حالهم فى كراهة تنفيل الغنائم كحالهم فى حالة خروجك للحرب ، والثانى أن يكون فى موضع الكاف نصب على أنه صفة لمصدر الفعل المقدر فى قوله الأنفال لله والرسول أى استقرت الأنفال لله والرسول استقراراً مثل استقرار خروجك، والثالث أن تتعلق الكاف بقوله يجادلونك (من بيتك) يعنى مسكنه بالمدينة إذ أخرجه الله لغزوة بدر (وإن فريقاً من المؤمنين لكارهون) أى كرهوا قتال العدو ، وذلك أن عير قريش أقبلت من الشام فيها أموال عظيمة ، ومعها أربعون راكباً فأخبر بذلك جبريل النبى صلى الله عليه وسلم فخرج بالمسلمين فسمع بذلك أهل مكة فاجتمعوا وخرجوا فى عدد كثير ليمنعوا عيرهم فنزل جبريل عليه السلام فقال يا محمد إن الله قد وعدكم إحدى الطائفتين ، إما العير وإما قريش ، فاستشار النبى صلى الله عليه وسلم أصحابه ، فقالوا العير أحب إلينا من لقاء العدو ، فقال إن العير قد مضت على ساحل البحر ، وهذا أبو جهل قد أقبل ، فقال له سعد بن عبادة : امض لما شئت فإنا متبعوك وقال سعد بن معاذ والذى بعثك بالحق لو خضت هذا البحر لخضناه معك فسر بنا على بركة الله (يجادلونك فى الحق بعد ما تبين) كان جدالهم فى لقاء قريش بإيثارهم لقاء العير إذ كانت أكثر أموالا وأقل رجالا ؛ وتبين الحق : هو إعلام رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم بأنهم ينصرون (كأنما يساقون إلى الموت) تشبيه لحالهم فى إفراط جزعهم من لقاء قريش (وإذ يعدكم الله إحدى الطائفتين) يعنى قريش أو عيرهم ، والعامل فى إذ محذوف تقديره اذكروا (أنها لكم) بدل من إحدى الطائفتين (وتودون أن غير ذات الشوكة تكون لكم) الشوكة عبارة عن السلاح . سميت بذلك لحدتها ، والمعنى تحبون أن تلقوا الطائفة التى لا سلاح لها وهى العير (أن يحق الحق) يعنى يظهر الإسلام بقتل الكفار وإهلاكهم يوم بدر (ليحق الحق) متعلق بمحذوف تقديره ليحق الحق ويبطل الباطل فعل ذلك وليس تكرارا للأول لأن الأول مفعول يريد ، وهذا تعليل لفعل الله تعالى ، ويحتمل أن يريد بالحق الأول الوعد بالنصرة ، وبالحق الثانى الإسلام . فيكون المعنى أن نصرهم ، ليظهر الإسلام ، ويؤيد هذا قوله : ويبطل الباطل أى يبطل الكفر (إذ تستغيثون ربكم) إذ بدل من إذ يعدكم : وقيل يتعلق بقوله ليحق الحق أو بفعل مضمر واستغاثتهم دعاؤهم بالغوث والنصر (ممدكم) أى مكثركم (مردفين) من قولك ردفه إذا تبعه ، وأردفته إياه إذا أتبعته إياه والمعنى يتبع بعضهم بعضا ، فمن قرأه بفتح الدال فهو اسم مفعول ، ومن قرأه بالكسر فهو

بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ * إِذْ يُغَشِّيكُمُ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ * إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ * ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَن يُشَاقِقِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ *

اسم فاعل ، وصح معنى القراءتين لأن الملائكة المنزلين يتبع بعضهم بعضافهم تابعون ومتبوعون (وماجعله الله) الضمير عائد على الوعد ، أوعلى الإمداد بالملائكة (إذ يغشيكم النعاس) إذ بدل من إذ يعدكم أومنصوب بالنصر ، أوبما عند الله من معنى النصر ، أوبإضمار فعل تقديره اذكر ، ومن قرأ يغشاكم بضم الياء والتخفيف فهو من أغشى ، ومن قرأ بالضم والتشديد فهو من غشى المشدد ، وكلاهما يتعدى إلى مفعولين فنصب النعاس على أنه المفعول الثاني ، والمعنى يغطيكم به فهو استعارة ، من الغشاء ، ومن قرأ بفتح الياء والشين فهو من غشى المتعدى إلى واحد أى ينزل عليكم النعاس (أمنة منه) أى أمناً ، والضمير المجرور يعود على الله تعالى ، وانتصاب أمنة على أنه مفعول من أجله قال ابن مسعود النعاس عند حضور القتال علامة أمن من العدو (وينزل عليكم من السماء ماء) تعديد لنعمة أخرى ، وذلك أنهم عدموا الماء فى غزوة بدر قبل وصولهم إلى بدر ، وقيل بعد وصولهم ، فأنزل الله لهم المطر حتى سالت الأودية (ليطهركم به) كان منهم من أصابته جنابة فتطهر بماء المطر ، وتوضأ به سائرهم ، وكانوا قبله ليس عندهم ماء للطهر ولا للوضوء (ويذهب عنكم رجز الشيطان) كان الشيطان قد ألقى فى نفوس بعضهم وسوسة بسبب عدم الماء ، فقالوا نحن أولياء الله وفينا رسوله فكيف نبقى بلا ماء ، فأنزل الله المطر وأزال عنهم وسوسة الشيطان (وليربط على قلوبكم) أى يثبتها بزوال ما وسوس لها الشيطان وبتنشيطها وإزالة الكسل عنها (ويثبت به الأقدام) الضمير فى به عائد على الماء ، وذلك أنهم كانوا فى رملة دهمة لايثبت فيها قدم ، فلما نزل المطر تلبدت وتدقت الطريق ، وسهل المشى عليها والوقوف ، وروى أن ذلك المطر بعينه صعب الطريق على المشركين فتبين أن ذلك من لطف الله (إذ يوحى) يحتمل أن يكون ذلك بدلا من إذ المتقدمة كما أنها بدل من التى قبلها ، أو يكون العامل فيه يثبت (فثبتوا الذين آمنوا) يحتمل أن يكون التثبيت بقتال الملائكة مع المؤمنين أو بأقوال مؤنسة مقوية للقلب قالوها إذا تصوروا بصور بنى آدم أو بإلقاء الأمن فى نفوس المؤمنين (سألقى فى قلوب الذين كفروا الرعب) يحتمل أن يكون من خطاب الله للملائكة فى شأن غزوة بدر تكميلا لتثبيت المؤمنين ، أواستئناف إخبار عمايفعله الله فى المستقبل (فاضربوا فوق الأعناق) يحتمل أيضا أن يكون خطابا للملائكة أوللمؤمنين ، ومعنى فوق الأعناق أى على الأعناق ، حيث المفصل بين الرأس والعنق لأنه مذبح ، والضرب فيها يطير الرأس ، وقيل المراد الرءوس ، لأنها فوق الأعناق ، وقيل المراد الأعناق وفوق زائدة (كل بنان) قيل هى المفاصل ، وقيل الأصابع وهو الأشهر فى اللغة ، وفائدة ذلك أن المقاتل إذا ضربت أصابعه تعطل عن القتال فأمكن أسره وقتله (ذلك بأنهم شاقوا الله ورسوله) الإشارة إلى ماأصاب

ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ النَّارِ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفًا فَلَا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ ۞ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٍ فَقَدْ بَآءَ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّهِ وَمَأْوَىٰهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۞ فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ رَمَىٰ وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَآءً حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۞ ذَٰلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَٰفِرِينَ ۞ إِن تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَآءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِن تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَعُودُوا نَعُدْ وَلَن تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْـًٔا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ ۞ يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوْا عَنْهُ وَأَنتُمْ تَسْمَعُونَ ۞ وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ

الكفار يوم بدر ، والباء للتعليل ، وشاقوا من الشقاق وهو العداوة والمقاطعة (ذلكم فذوقوه) الخطاب هنا للكفار ، وذلكم مرفوع تقديره ذلكم العقاب أو العذاب ، ويحتمل أن يكون منصوبا بقوله : فذوقوه ، كقولك زيدا فاضربه (وأن للكافرين) عطف على ذلكم على تقدير رفعه ، أونصبه ، أو مفعول معه ، والواو بمعنى مع (زحفا) حال من الذين كفروا ، أو من الفاعل فى لقيتم ، ومعناه متقابلى الصفوف والأشخاص ، وأصل الزحف الاندفاع (فلا تولوهم الأدبار) نهى عن الفرار مقيدا بأن يكون الكفار أكثر من مثلى المسلمين حسبما يذكره فى موضعه (ومن يولهم يومئذ) أى يوم اللقاء فى أى عصر كان (إلا متحرفا لقتال) هو الكر بعد الفر ليرى عدوه أنه منهزم ، ثم يعطف عليه ، وذلك من الخداع فى الحرب (أو متحيزا إلى فئة) أى منحازا إلى جماعة من المسلمين ، فإن كانت الجماعة حاضرة فى الحرب ، فالتحيز إليها جائز باتفاق ، واختلف فى التحيز إلى المدينة ، والإمام والجماعة إذا لم يكن شيئا من ذلك حاضرا ، ويروى عن عمر بن الخطاب ، أنه قال : أنا فئة لكل مسلم ، وهذا إباحة لذلك ، والفرار من الذنوب الكبائر ، وانتصب قوله متحرفا على الاستثناء من قوله ومن يولهم ، وقال الزمخشرى انتصب على الحال وإلا لغو ، ووزن متحيز متفيعلا ، ولو كان على متفعل لقال متحوز ، لأنه من حاز يحوز (فلم تقتلوهم) أى لم يكن قتلهم فى قدرتكم لأنهم أكثر منكم وأقوى ولكن الله قتلهم بتأييدكم عليهم وبالملائكة (ومارميت إذرميت) كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ يوم بدر قبضة من تراب وحصى ورمى بها وجوه الكفار فانهزموا ، فمعنى الآية أن ذلك من الله فى الحقيقة (بلاء حسنا) يعنى الأجر والنصر والغنيمة (موهن) من الوهن وهو الضعف ، وقرئ بالتشديد والتخفيف وهو بمعنى واحد (إن تستفتحوا) الآية : خطاب لكفار قريش ، وذلك أنهم كانوا قد دعوا الله أن ينصر أحب الطائفتين إليه ، وروى أن الذى دعا بذلك أبو جهل فنصر الله المؤمنين ، وفتح لهم ، ومعنى إن تستفتحوا تطلبوا الفتح ، ويحتمل أن يكون الفتح الذى طلبوه بمعنى النصر أو بمعنى الحكم ، وقيل إن الخطاب للمؤمنين (فقد جاءكم الفتح) إن كان الخطاب للكفار فالفتح هنا بمعنى الحكم : أى قد جاءكم الحكم الذى حكم الله عليكم بالهزيمة والقتل والأسر ، وإن كان الخطاب للمؤمنين ، فالفتح هنا يحتمل أن يكون بمعنى الحكم ، لأن الله حكم لهم ، أو بمعنى النصر (وإن تنتهوا) أى ترجعوا عن الكفر وهذا يدل على أن الخطاب للكفار (وإن تعودوا نعد) أى إن تعودوا إلى الاستفتاح أو القتال نعد لقتالكم والنصر عليكم (ولا تولوا عنه) الضمير لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أو للأمر

قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ * إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِندَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَّهُم مُّعْرِضُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ * وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ * وَاذْكُرُوا إِذْ أَنتُمْ قَلِيلٌ مُّسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُم بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ * وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ * يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَل لَّكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ * وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ * وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَا إِنْ هَٰذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ * وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * وَمَا كَانَ

بالطاعة (وأنتم تسمعون) أى تسمعون القرآن والمواعظ (كالذين قالوا سمعنا وهم لايسمعون) هم الكفار سمعوا بآذانهم دون قلوبهم فسماعهم كلا سماع (إن شر الدواب) أى كل من يدب، والمقصود أن الكفار شر الخلق، قال ابن قتيبة: نزلت هذه الآية فى بنى عبد الدار، فانهم جدوا فى القتال مع المشركين (لما يحييكم) أى للطاعة، وقيل للجهاد لأنه يحيا بالنصر (يحول بين المرء وقلبه) قيل بميته، وقيل يصرف قلبه كيف يشاء فينقلب من الإيمان إلى الكفر، ومن الكفر إلى الإيمان وشبه ذلك (فتنة لاتصيبن الذين ظلموا منكم خاصة) أى لاتصيب الظالمين وحدهم، بل تصيب معهم من لم يغير المنكر ولم ينه عن الظلم، وإن كان لم يظلم، وحكى الطبرى أنها نزلت فى على بن أبى طالب، وعمار بن ياسر، وطلحة والزبير، وأن الفتنة ما جرى لهم يوم الجمل، ودخلت النون فى تصيبن لأنه بمعنى النهى (إذ أنتم قليل) الآية: أى حين كانوا بمكة وآواكم بالمدينة، وأيدكم بنصره فى بدر وغيرها (لاتخونوا الله) نزلت فى قصة أبى لبابة حين أشار إلى بنى قريظة أن ليس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا الذبح، وقيل المعنى لاتخونوا بغلول الغنائم ولفظها عام (وتخونوا أماناتكم) عطف على لاتخونوا أو منصوب (يجعل لكم فرقانا) أى تفرقة بين الحق والباطل وذلك دليل على أن التقوى تنور القلب، وتشرح الصدر، وتزيد فى العلم والمعرفة (وإذ يمكر بك الذين كفروا) عطف على إذ أنتم قليل، أو استئناف، وهى إشارة إلى اجتماع قريش بدار الندوة بمحضر إبليس فى صورة شيخ نجدى الحديث بطوله (ليثبتوك) أى ليسجنونك (قالوا قد سمعنا) قيل نزلت فى النضر بن الحارث كان قد تعلم من أخبار فارس والروم فإذا سمع القرآن وفيه أخبار الأنبياء قال لو شئت لقلت مثل هذا، وقيل هى فى سائر قريش (أساطير الاولين) أى أخبارهم المسطورة (وإذ قالوا اللهم) الآية: قالها النضر بن الحارث أو سائر قريش لما كذبوا النبى صلى الله عليه وسلم دعوا على أنفسهم إن كان أمره

اللهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ وَمَا كَانَ اللهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ۝ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ اللهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ
الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ إِنْ أَوْلِيَاؤُهُ إِلَّا الْمُتَّقُونَ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ
عِندَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ
لِيَصُدُّوا عَن سَبِيلِ اللهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ وَالَّذِينَ كَفَرُوا إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحْشَرُونَ ۝
لِيَمِيزَ اللهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضَهُ عَلَىٰ بَعْضٍ فَيَرْكُمَهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلَهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ هُمُ
الْخَاسِرُونَ ۝ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوا إِن يَنتَهُوا يُغْفَرْ لَهُم مَّا قَدْ سَلَفَ وَإِن يَعُودُوا فَقَدْ مَضَتْ سُنَّتُ الْأَوَّلِينَ ۝
وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنِ انتَهَوْا فَإِنَّ اللهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۝ وَإِن تَوَلَّوْا
فَاعْلَمُوا أَنَّ اللهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ ۝ وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ

هو الحق ، والصحيح أن الذى دعا بذلك أبو جهل رواه البخارى ومسلم فى كتابيهما وانتصب الحق لأنه خبر كان وقال الزمخشرى معنى كلامهم جحود أى إن كان هذا هو الحق فعاقبنا على إنكاره ، ولكنه ليس بحق فلا نستوجب عقابا ، وليس مرادهم الدعاء على أنفسهم ، إنما مرادهم نفى العقوبة عن أنفسهم (وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم) إكراما للنبى صلى الله عليه وسلم (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) أى لو آمنوا واستغفروا فان الاستغفار أمان من العذاب ، قال بعض السلف : كان لنا أمانان من العذاب وهما وجود النبى صلى الله عليه وسلم والاستغفار ، فلما مات النبى صلى الله عليه وسلم ذهب الأمان الواحد ، وبقى الآخر ، وقيل الضمير فى يعذبهم للكفار ، وفى وهم يستغفرون للمؤمنين الذين كانوا بين أظهرهم (وما لهم ألا يعذبهم الله) المعنى أى شىء يمنع من عذابهم وهم يصدون أى يمنعون المؤمنين من المسجد الحرام والجملة فى موضع الحال وذلك من الموجب لعذابهم (وما كانوا أولياءه) الضمير للمسجد الحرام أو لله تعالى (وما كان صلاتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية) المكاء التصفير بالفم ، والتصدية التصفيق باليد : وكانوا يفعلونهما إذا صلى المسلمون ليخلطوا عليهم صلاتهم (ينفقون أموالهم) الآية نزلت فى إنفاق قريش فى غزوة أحد وقيل إنها نزلت فى أبى سفيان بن حرب فانه استأجر العير من الأحابش فقاتل بهم النبى صلى الله عليه وسلم يوم أحد (تكون عليهم حسرة) أى يتأسفون على إنفاقها من غير فائدة أو يتأسفون فى الآخرة (ثم يغلبون) إخبار بالغيب (ليميز الله الخبيث من الطيب) معنى يميز يفرق بين الخبيث والطيب والخبيث هنا الكفار والطيب المؤمنون وقيل الخبيث ما أنفقه الكفار ، والطيب ما أنفقه المؤمنون ، واللام فى ليميز على هذا تتعلق بيغلبون ، وعلى الأول بيحشرون (فيركمه) أى يضمه ويجعل بعضه فوق بعض (إن ينتهوا) يعنى عن الكفر إلى الإسلام لأن الإسلام يجب ما قبله ، ولا تصح المغفرة إلا به (وإن يعودوا) يعنى إلى القتال (فقد مضت سنة الأولين) تهديد بما جرى لهم يوم بدر وبما جرى للأمم السالفة (حتى لا تكون فتنة) الفتنة هنا الكفر ، فالمعنى قاتلوهم حتى لا يبقى كافر ، وهو كقوله صلى الله عليه وسلم : أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله (واعلموا

وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ * إِذْ أَنتُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلدُّنْيَا وَهُم بِٱلْعُدْوَةِ ٱلْقُصْوَىٰ وَٱلرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَٱخْتَلَفْتُمْ فِى ٱلْمِيعَٰدِ وَلَٰكِن لِّيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَىَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ * إِذْ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِى مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَىٰكَهُمْ كَثِيرًا لَّفَشِلْتُمْ وَلَتَنَٰزَعْتُمْ فِى ٱلْأَمْرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ * وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ ٱلْتَقَيْتُمْ فِىٓ أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِىٓ أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِىَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ * يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَٱثْبُتُوا۟ وَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ * وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُوا۟ فَتَفْشَلُوا۟ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَٱصْبِرُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ * وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ

أنما غنمتم من شيء) لفظه عام يراد به الخصوص لأن الأموال التي تؤخذ من الكفار منها مايخمس: وهو ماأخذ على وجه الغلبة بعد القتال، ومنها مالايخمس بل يكون جميعه لمن أخذه، وهو ماأخذه من كان ببلاد الحرب من غير إيجاف، وماطرحه العدو خوف الغرق، ومنها مايكون جميعه للإمام يأخذ منه حاجته، ويصرف سائره في مصالح المسلمين وهي الفيء الذي لم يوجف عليه بخيل ولا ركاب (فإن لله خمسه) الآية: اختلف في قسم الخمس على هذه الأصناف فقال قوم يصرف على ستة أسهم سهم لله في عمارة الكعبة، وسهم للنبي صلى الله عليه وسلم في مصالح المسلمين، وقيل للوالي بعده؛ وسهم لذوي القربى الذين لاتحل لهم الصدقة، وسهم لليتامى، وسهم للمساكين، وسهم لابن السبيل وقال الشافعي على خمسة أسهم، ولا يجعل لله سهما مختصا، وإنما بدأ عنده بالله، لأن الكل ملكه، وقال أبو حنيفة على ثلاثة أسهم: لليتمى، والمساكين، وابن السبيل، وقال مالك الخمس إلى اجتهاد الإمام يأخذ منه كفايته ويصرف الباقي في المصالح (إن كنتم آمنتم بالله) راجع إلى ماتقدم والمعنى إن كنتم مؤمنين فاعلموا ماذكر الله لكم من قسمة الخمس، واعملوا بحسب ذلك ولاتخالفوه (وماأنزلنا على عبدنا) يعني النبي صلى الله عليه وسلم والذي أنزل عليه القرآن والنصر (يوم الفرقان) أي التفرقة بين الحق والباطل وهو يوم بدر (التقى الجمعان) يعني المسلمين والكفار (إذ أنتم بالعدوة الدنيا) العامل في إذ التقى والعدوة شفير الوادي، وقرئ بالضم والكسر وهما لغتان، والدنيا القريبة من المدينة والقصوى البعيدة (والركب أسفل منكم) يعني العير التي كان فيها أبو سفيان، وكان قد نكب عن الطريق خوفا من النبي صلى الله عليه وسلم، وكان جمع قريش المشركين قد حال بين المسلمين وبين العير (ولو تواعدتم لاختلفتم في الميعاد) أي لو تواعدتم مع قريش ثم علمتم كثرتهم وقلتكم لاختلفتم ولم تجتمعوا معهم أو لو تواعدتم لم يتفق اجتماعكم مثل مااتفق بتيسير الله ولطفه (ليهلك من هلك عن بينة) أي يموت من مات بعد إعذار وإقامة الحجة عليه ويعيش من عاش بعد البيان له، وقيل ليهلك من يكفر ويحيى من يؤمن، وقرئ من حيي بالإظهار والإدغام وهما لغتان (إذ يريكهم الله) الآية: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد رأى الكفار في نومه قليلا فأخبر بذلك أصحابه فقويت أنفسهم (لفشلتم) أي جبنتم عن اللقاء (وإذ يريكموهم) الآية معناها أن الله أظهر كل طائفة قليلة في عين الأخرى ليقع التجاسر على القتال (ريحكم)

عن سبيل الله والله بما يعملون محيط ۞ وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم وقال لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم فلما تراءت الفئتان نكص على عقبيه وقال إني بريء منكم إني أرى ما لا ترون إني أخاف الله والله شديد العقاب ۞ إذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض غر هؤلاء دينهم ومن يتوكل على الله فإن الله عزيز حكيم ۞ ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة يضربون وجوههم وأدبارهم وذوقوا عذاب الحريق ۞ ذلك بما قدمت أيديكم وأن الله ليس بظلام للعبيد ۞ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كفروا بآيات الله فأخذهم الله بذنوبهم إن الله قوي شديد العقاب ۞ ذلك بأن الله لم يك مغيرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم وأن الله سميع عليم ۞ كدأب آل فرعون والذين من قبلهم كذبوا بآيات ربهم فأهلكناهم بذنوبهم وأغرقنا آل فرعون وكل كانوا ظالمين ۞ إن شر الدواب عند الله الذين كفروا فهم لا يؤمنون ۞ الذين عاهدت منهم ثم ينقضون عهدهم في كل مرة وهم لا يتقون ۞ فإما تثقفنهم في الحرب فشرد بهم من خلفهم لعلهم يذكرون ۞ وإما تخافن من قوم خيانة فانبذ إليهم على سواء إن الله لا يحب الخائنين ۞ ولا يحسبن الذين كفروا سبقوا إنهم لا يعجزون ۞ وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط

أي قوتكم ونشاطكم، وذلك استعارة (ولا تكونوا كالذين خرجوا من ديارهم) يعني كفار قريش حين خرجوا لبدر (بطرا) أي عتوا وتكبرا (وإذ زين لهم الشيطان أعمالهم) الآية : لما خرجت قريش إلى بدر تصور لهم إبليس في صورة سراقة بن مالك فقال لهم إني جار لكم من قومي وكانوا قد خافوا من قومه ووعدهم بالنصر (نكص) أي رجع إلى وراء (إني أرى ما لا ترون) رأى الملائكة تقاتل (يقول المنافقون) الذين كانوا بالمدينة وقيل الذين كانوا مع الكفار وهم نفر من قريش منهم قيس بن الوليد بن المغيرة وأبو قيس ابن الفاكه بن المغيرة والحارث بن ربيعة بن الأسود وعلي بن أمية بن خلف والعاصي بن أمية بن الحجاج وكانوا قد أسلموا ولم يهاجروا وخرجوا يوم بدر مع الكفار فقالوا هذه المقالة (غر هؤلاء دينهم) أي اغتر المسلمون بدينهم فأدخلوا أنفسهم فيما لا طاقة لهم به (ولو ترى إذ يتوفى الذين كفروا الملائكة) ذلك فيمن قتل يوم بدر (وأدبارهم) أي إستاههم، وقيل ظهورهم (وذوقوا) هذا من قول الملائكة لهم تقديره ويقولون لهم ذوقوا والقول المحذوف معموله معطوف على يضربون، ويحتمل أن يكون ما بعده من قول الملائكة أو يكون مستأنفا (ذلك بأن الله) تقديره عند سيبويه الأمر ذلك، والباء سببية، والمعنى أن الله لا يغير نعمة على عبيده حتى يغيروا هم بالكفر والمعاصي (كدأب) ذكر في آل عمران (الذين عاهدت منهم) يريد بني قريظة (فشرد بهم من خلفهم) أي افعل بهم من النقمة ما يزجر غيرهم (وإما تخافن من قوم خيانة) أي نقضا للعهد (فانبذ إليهم) أي رد العهد الذي بينك وبينهم والمفعول محذوف تقديره فانبذ إليهم عهدهم (على سواء)

الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ❁ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ❁ وَإِن يُرِيدُوا أَن يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ❁ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ❁ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ❁ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ❁ الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ ❁ مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ❁ لَّوْلَا كِتَابٌ مِّنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ❁ فَكُلُوا

أى على معادلة ، وقيل معناه إن تستوى معهم فى العلم بنقض العهد (ولا تحسبن الذين كفروا سبقوا) أى لا تظن أنهم فاتوا ونجوا بأنفسهم (أنهم لا يعجزون) أى لا يفوتون فى الدنيا ولا فى الآخرة (وأعدوا لهم) الضمير للذين ينبذ لهم العهد أو للذين لا يعجزون ، وحكمه عام فى جميع الكفار (من قوة) قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم « ألا إن القوة الرمى » (ومن رباط الخيل) قال الزمخشرى الرباط اسم للخيل التى تربط فى سبيل الله وقال ابن عطية رباط الخيل جمع ربط أو مصدر (عدو الله وعدوكم) يعنى الكفار (وآخرين) يعنى المنافقين . وقيل بنى قريظة ، وقيل الجن لأنها تنفر من صهيل الخيل ، وقيل فارس ، والأول أرجح لقوله مردوا على النفاق (لا تعلمونهم الله يعلمهم) قال السهيلى : لا ينبغى أن يقال فيهم شىء ، لأن الله تعالى قال لا تعلمونهم ، فكيف يعلمهم أحد ، وهذا لا يلزم ، لأن معنى قوله لا تعلمونهم : لا تعرفونهم : أى لا تعرفون آحادهم وأعيانهم وقد يعرف صنفهم من الناس ، ألا ترى أنه قال مثل ذلك فى المنافقين (وإن جنحوا للسلم فاجنح لها) السلم هنا المهادنة ، والآية منسوخة بآية القتال فى براءة ، لأن مهادنة كفار العرب لا تجوز (وألف بين قلوبهم) قيل المراد بين قلوب الأوس والخزرج إذ كانت بينهما عداوة فذهبت بالإسلام ، واللفظ عام (ومن اتبعك من المؤمنين) عطف على اسم الله ، وقال الزمخشرى مفعول معه والواو بمعنى مع أى حسبك وحسب من اتبعك الله (إن يكن منكم عشرون صابرون) الآية : إخبار يتضمن وعدا بشرط الصبر ووجود ثبوت الواحد للعشرة ثم نسخ بثبوت الواحد للاثنين (ذلك بأنهم قوم لا يفقهون) أى يقاتلون على غير دين ولا بصيرة فلا يثبتون (ما كان لنبى أن يكون له أسرى) لما أخذ الأسرى يوم بدر أشار أبو بكر بحياتهم ، وأشار عمر بقتلهم . فنزلت الآية عتابا على استبقائهم (حتى يثخن فى الأرض) أى يبالغ فى القتال (تريدون عرض الدنيا) عتاب لمن رغب فى فداء الأسرى (لولا كتاب من الله سبق) الكتاب ما قضاه الله فى الأزل من العفو عنهم ، وقيل ما قضاه الله

مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيْدِيكُم مِّنَ الْأَسْرَىٰٓ إِن يَعْلَمِ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِن يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَٰقٌ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ * وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ ءَاوَوا وَّنَصَرُوٓا أُولَٰٓئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ * وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مِن بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَٰهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَٰٓئِكَ مِنكُمْ وَأُولُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَٰبِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ *

من تحليل الغنائم لهم (فيما أخذتم) يريد به الأسرى وفداؤهم ، ولما نزلت الآية قال رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم : لو نزل عذاب مانجا منه غيرك ياعمر (فكلوا مما غنمتم) إباحة للغنائم ولفداء الأسارى (إن يعلم الله فى قلوبكم خيرا) أى إن علم فى قلوبكم إيمانا جبر عليكم ماأخذ منكم من الفدية ، قال العباس فىّ نزلت وكان قد افتدى يوم بدر ثم أعطاه رسول الله صلى الله عليه وسلم من المال مالا يقدر أن يحمله ، فقال قد أعطانى الله خيراً مما أخذ منى ، وأنا أرجو أن يغفر لى (وإن يريدوا خيانتك) الآية تهديد لهم (إن الذين آمنوا) إلى آخر السورة مقصدها بيان منازل المهاجرين والأنصار والذين آمنوا ولم يهاجروا والذين هاجروا بعد الحديبية ، فبدأ أولا بالمهاجرين ، ثم ذكر الأنصار وهم الذين آووا ونصروا ، وأثبت الولاية بينهم ، وهى ولاية التعاون ثم نسخت بقوله وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض (وإن استنصروكم) لما نفى الولاية بين المؤمنين والتناصر ، وقيل هى ولاية الميراث الذين هاجروا وبين المؤمنين الذين لم يهاجروا : أمر بنصرهم إن استنصروا بالمؤمنين : إلا إذا استنصروا على قوم بينهم وبين المؤمنين عهد فلا ينصرونهم عليهم (إلا تفعلوه تكن فتنة فى الأرض) إلا هنا مركبة من إن الشرطية ولا النافية والضمير فى تفعلوه لولاية المؤمنين ومعاونتهم أو لحفظ الميثاق الذى فى قوله : إلا على قوم بينكم وبينهم ميثاق ، أو النصر الذى فى قوله فعليكم النصر ، والمعنى إن لم تفعلوا ذلك تكن فتنة (والذين آمنوا وهاجروا) الآية : ثناء على المهاجرين والأنصار ، ووعد لهم ، والرزق الكريم فى الجنة (والذين آمنوا من بعد) يعنى الذين هاجروا بعد الحديبية وبيعة الرضوان (وأولوا الأرحام بعضهم أولى ببعض) قيل هى ناسخة للتوارث بين المهاجرين والأنصار ، قال مالك ليست فى الميراث ، وقال أبو حنيفة هى فى الميراث وأوجب بها ميراث الخال والعمة وغيرهما من ذوى الأرحام (فى كتاب الله) أى القرآن وقيل اللوح المحفوظ .

ســـورة التوبة

مدنية إلا الآيتين الأخيرتين فمكيتان وآياتها ١٢٩ : نزلت بعد المائدة

بَرَآءَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى الَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ * فَسِيحُوا فِى الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِى الْكَٰفِرِينَ * وَأَذَٰنٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى النَّاسِ يَوْمَ الْحَجِّ الْأَكْبَرِ أَنَّ اللَّهَ بَرِىٓءٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ فَإِن تُبْتُمْ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَاعْلَمُوٓا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِى اللَّهِ وَبَشِّرِ

﴿ســـورة براءة﴾

وتسمى سورة التوبة ، وتسمى أيضا الفاضحة : لأنها كشفت أسرار المنافقين ، واتفقت المصاحف والقراء على إسقاط البسملة من أولها ، واختلف فى سبب ذلك ، فقال عثمان بن عفان اشتبهت معانيها بمعانى الأنفال وكانت تدعى القرينتين فى زمان رسول الله صلى الله عليه وسلم فلذلك قرنت بينهما فوضعتهما فى السبع الطوال وكان الصحابة قد اختلفوا هل هما سورتان أو سورة واحدة فتركت البسملة بينهما لذلك وقال على بن أبى طالب البسملة أمان ، وبراءة نزلت بالسيف ، فلذلك لم تبدأ بالأمان (براءة من الله ورسوله) المراد بالبراءة التبرؤ من المشركين وارتفاع براءة على أنه خبر ابتداء أو مبتدأ (إلى الذين عاهدتم من المشركين) تقدير الكلام براءة واصلة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتم من المشركين ، فمن وإلى يتعلقان بمحذوف لا ببراءة ، وإنما أسند العهد إلى المسلمين فى قوله عاهدتم ، لأن فعل النبى صلى الله عليه وسلم لازم للمسلمين ، فكأنهم هم الذين عاهدوا المشركين ، وكان النبى صلى الله عليه وسلم قد عاهد المشركين إلى آجال محدودة ، فمنهم من وفى فأمر الله أن يتم عهده إلى مدته ، ومنهم من نقض ، أو قارب النقض فجعل له أجل أربعة أشهر ، وبعدها لا يكون له عهد (فسيحوا فى الأرض) أى سيروا آمنين أربعة أشهر وهى الأجل الذى جعل لهم ، واختلف فى وقتها فقيل هى شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ، لأن السورة نزلت حينئذ وذلك عام تسعة ، وقيل هى من عيد الأضحى إلى تمام العشر الأول من ربيع الآخر ، لأنهم إنما علموا بذلك حينئذ وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث تلك السنة أبا بكر الصديق يحج بالناس ثم بعث بعده على بن أبى طالب فقرأ على الناس سورة براءة يوم عرفة وقيل يوم النحر (غير معجزى الله) أى لا تفوتونه (وأذان) أى إعلام بتبرئ الله تعالى ورسوله من المشركين (إلى الناس) جعل البراءة مختصة بالمعاهدين من المشركين ، وجعل الإعلام بالبراءة عاما لجميع الناس : من عاهد ، ومن لم يعاهد ، والمشركين وغيرهم (الحج الأكبر) هو يوم عرفة أو يوم النحر ، وقيل أيام الموسم كلها ، وعبر عنها بيوم كقولك يوم صفين والجمل ، وكانت أياما كثيرة (أن الله برىء من المشركين) تقديره أذان بأن الله برىء ، وحذفت الباء تخفيفا ، وقرئ إن الله بالكسر ، لأن الأذان فى معنى القول (ورسوله) ارتفع بالعطف على الضمير فى برىء ، أو بالعطف على موضع اسم إن ، أو بالابتداء وخبره محذوف وقرئ بالنصب عطف على اسم إن ، وأما الخفض فلا يجوز فيه العطف على المشركين لأنه معنى فاسد ويجوز على الجوار أو القسم ، وهو مع ذلك بعيد والقراءة به شاذة (فإن تبتم) يعنى التوبة من الكفر (إلا الذين

الَّذِينَ كَفَرُوا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * إِلَّا الَّذِينَ عَـٰهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَـٰهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوٓا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * فَإِذَا انسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَـٰمَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْلَمُونَ * كَيْفَ يَكُونُ لِلْمُشْرِكِينَ عَهْدٌ عِندَ اللَّهِ وَعِندَ رَسُولِهِۦٓ إِلَّا الَّذِينَ عَـٰهَدتُّمْ عِندَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ فَمَا اسْتَقَـٰمُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ * كَيْفَ وَإِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ لَا يَرْقُبُوا فِيكُمْ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً يُرْضُونَكُم بِأَفْوَٰهِهِمْ وَتَأْبَىٰ قُلُوبُهُمْ وَأَكْثَرُهُمْ فَـٰسِقُونَ * اشْتَرَوْا بِـَٔايَـٰتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا فَصَدُّوا عَن سَبِيلِهِۦٓ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْمُعْتَدُونَ * فَإِن تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا الزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى الدِّينِ وَنُفَصِّلُ الْـَٔايَـٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ * وَإِن نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُم مِّن بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُوا فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓا أَئِمَّةَ الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَآ أَيْمَـٰنَ لَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَنتَهُونَ *

عاهدتم) يريد الذين لم ينقضوا العهد (فإذا انسلخ الأشهر الحرم) يعنى الأشهر الأربعة التى جعلت لهم ، فمن قال إنها شوال وذو القعدة وذو الحجة والمحرم فهى الحرم المعروفة زاد فيها شوال ونقص رجب ، وسميت حرما تغليبا للأكثر ومن قال إنها إلى ربيع الثانى : فسميت حرما لحرمتها ومنع القتال فيها حينئذ (فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم) ناسخة لكل موادعة فى القرآن وقيل إنها نسخت أيضا فإما منا بعد وإما فداء ، وقيل بل نسختها هى فيجوز المن والفداء (وخذوهم) معناه الأسر ، والأخيذ هو الأسير (كل مرصد) كل طريق ونصبه على الظرفية (فإن تابوا) يريد من الكفر ، ثم قرن بالإيمان الصلاة والزكاة ، فذلك دليل على قتال تارك الصلاة والزكاة كما فعل أبو بكر الصديق رضى الله عنه ، والآية فى معنى قوله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم «أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة» (فخلوا سبيلهم) تأمين لهم (وإن أحد من المشركين استجارك فأجره) هو من الجوار أى استأمنك فأمنه حتى يسمع القرآن ليرى هل يسلم أم لا (ثم أبلغه مأمنه) أى إن لم يسلم فرده إلى موضعه ، وهذا الحكم ثابت عند قوم ، وقال قوم نسخ بالقتال (كيف يكون للمشركين عهد) لفظ استفهام ، ومعناه استنكار واستبعاد (إلا الذين عاهدتم عند المسجد الحرام) قيل المراد قريش ، وقيل قبائل بنى بكر (فما استقاموا) ما ظرفية (كيف) تأكيد للأولى ، وحذف الفعل بعدها للعلم به تقديره كيف يكون لهم عهد (لا يرقبوا) أى لا يراعوا (إلا ولا ذمة) الإل القرابة ، وقيل الحلف ، والذمة العهد (وأكثرهم فاسقون) استثنى من قضى له بالإيمان (أئمة الكفر) أى رؤساء أهله قيل إنهم أبو جهل لعنه الله ، وأمية بن خلف ، وعتبة بن ربيعة ، وأبو سفيان بن حرب ، وسهيل بن عمرو ، وحكى ذلك الطبرى وهو ضعيف لأن أكثر هؤلاء كان قدمات قبل نزول هذه السورة ، والأحسن أنها على العموم (لا أيمان

أَلَا تُقَـٰتِلُونَ قَوْمًا نَّكَثُوٓا أَيْمَـٰنَهُمْ وَهَمُّوا بِإِخْرَاجِ الرَّسُولِ وَهُم بَدَءُوكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ أَتَخْشَوْنَهُمْ فَاللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَوْهُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۞ قَـٰتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ۞ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تُتْرَكُوا وَلَمَّا يَعْلَمِ اللَّهُ الَّذِينَ جَـٰهَدُوا مِنكُمْ وَلَمْ يَتَّخِذُوا مِن دُونِ اللَّهِ وَلَا رَسُولِهِ وَلَا الْمُؤْمِنِينَ وَلِيجَةً وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعْمَلُونَ ۞ مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُوا مَسَـٰجِدَ اللَّهِ شَـٰهِدِينَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِم بِالْكُفْرِ أُولَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ وَفِي النَّارِ هُمْ خَـٰلِدُونَ ۞ إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَـٰجِدَ اللَّهِ مَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلَوٰةَ وَءَاتَى الزَّكَوٰةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلَّا اللَّهَ فَعَسَىٰٓ أُولَـٰٓئِكَ أَن يَكُونُوا مِنَ الْمُهْتَدِينَ ۞ أَجَعَلْتُمْ سِقَايَةَ الْحَآجِّ وَعِمَارَةَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ كَمَنْ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَجَـٰهَدَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَوُونَ عِندَ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّـٰلِمِينَ ۞ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَـٰهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَـٰٓئِكَ هُمُ الْفَآئِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَٰنٍ وَجَنَّـٰتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَـٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ۞ يَـٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَتَّخِذُوٓا ءَابَآءَكُمْ وَإِخْوَٰنَكُمْ أَوْلِيَآءَ إِنِ اسْتَحَبُّوا الْكُفْرَ عَلَى الْإِيمَـٰنِ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَأُولَـٰٓئِكَ

لهم) أى لا أيمان لهم يوفون بها ، وقرئ لا إيمان بكسر الهمزة (لعلهم ينتهون) يتعلق بقاتلوا (وهموا بإخراج الرسول) قيل يعنى إخراجه من المدينة حين قاتلوه بالخندق وأحد ، وقيل يعنى إخراجه من مكة إذ تشاوروا فيه بدار الندوة ثم خرج هو بنفسه (وهم بدءوكم أول مرة) يعنى إذايتهم للنبى صلى الله عليه وآله وسلم والمسلمين بمكة (يعذبهم الله بأيديكم) يريد بالقتل والأسر وفى ذلك وعد للمسلمين بالظفر (قوم مؤمنين) قيل إنهم خزاعة والإطلاق أحسن (ويتوب الله) استئناف إخبار فإن الله يتوب على بعض هؤلاء الكفار فيسلم (أم حسبتم) الآية : معناها أن الله لا يتركهم دون تمحيص يظهر فيه الطيب من الخبيث ، وأم هنا بمعنى بل والهمزة ، (يعلم الله) أى يعلم ذلك موجبا لتقوم به الحجة (وليجة) أى بطانة (ما كان للشركين أن يعمروا مساجد الله) أى ليس لهم ذلك بالحق والواجب وإن كانوا قد عمروها تغلبا وظلما ، ومن قرأ مساجد بالجمع أراد جميع المساجد ، ومن قرأ بالتوحيد أراد المسجد الحرام (شاهدين على أنفسهم بالكفر) أى أن أحوالهم وأقوالهم تقتضى الإقرار بالكفر ، وقيل الإشارة إلى قولهم فى التلبية لا شريك لك إلا شريك هو لك (أجعلتم سقاية الحاج) الآية : سببها أن قوما من قريش افتخروا بسقاية الحاج ، وبعمارة المسجد الحرام ؛ فبين الله أن الجهاد أفضل من ذلك ، ونزلت الآية فى على بن أبى طالب والعباس بن عبد المطلب وطلحة بن منبه افتخروا فقال أنا صاحب البيت وعندى مفاتحه ، وقال العباس : أنا صاحب السقاية ، وقال على لقد أسلمت قبل الناس وجاهدت مع رسول الله صلى الله عليه وسلم (لا تتخذوا آباءكم) الآية قيل نزلت فيمن ثبط عن الهجرة

هُمُ الظَّٰلِمُونَ * قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِىَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِى الْقَوْمَ الْفَٰسِقِينَ * لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِى مَوَاطِنَ كَثِيرَةٍ وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ * ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ الَّذِينَ كَفَرُوا وَذَٰلِكَ جَزَآءُ الْكَٰفِرِينَ * ثُمَّ يَتُوبُ اللَّهُ مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوٓا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ إِن شَآءَ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * قَٰتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ

ولفظها عام وكذلك حكمها (فتربصوا) وعيد لمن آثر أهله أو ماله أومسكنه على الهجرة والجهاد (بأمره) قيل يعني فتح مكة، وقيل هو إشارة إلى عذاب أو عقاب (ويوم حنين) عطف على مواطن أومنصوب بفعل مضمر، وهذا أحسن لوجهين: أحدهما أن قوله إذ أعجبتكم كثرتكم مختص بحنين، ولا يصح فى غيره من المواطن فيضعف عطف يوم حنين على المواطن للاختلاف الذى بينهما فى ذلك، والآخر أن المواطن ظرف مكان، ويوم حنين ظرف زمان فيضعف عطف أحدهما على الآخر، إلا أن يريد بالمواطن الأوقات، وحنين اسم علم لموضع عرف برجل اسمه حنين وانصرف لأنه مذكر (إذ أعجبتكم كثرتكم) كانوا يومئذ اثنا عشر ألفا، فقال بعضهم: لن نغلب اليوم من قلة فأراد الله إظهار عجزهم ففر الناس عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى بقى على بغلته فى نفر قليل، ثم استنصر بالله وأخذ قبضة من تراب فرمى بها وجوه الكفار وقال شاهت الوجوه، ونادى بأصحابه فرجعوا اليه وهزم الله الكفار وقصة حنين مذكورة فى السير (بما رحبت) أى ضاقت على كثرة اتساعها وما هنا مصدرية (وأنزل جنودا لم تروها) يعنى الملائكة (ثم يتوب الله) إشارة إلى إسلام هوازن الذين قاتلوا المسلمين بحنين (إنما المشركون نجس) قيل إن نجاستهم بكفرهم وقيل بالجنابة (فلا يقربوا المسجد الحرام) نص على منع المشركين وهم عبدة الأوثان من المسجد الحرام، فأجمع العلماء على ذلك، وقاس مالك على المشركين جميع الكفار من أهل الكتاب وغيرهم، وقاس على المسجد الحرام سائر المساجد، فمنع جميع الكفار من جميع المساجد وجعلها الشافعى عامة فى الكفار خاصة بالمسجد الحرام فمنع جميع الكفار دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول غيره. وقصرها أبو حنيفة على موضع النص فمنع المشركين خاصة من دخول المسجد الحرام خاصة وأباح لهم دخول سائر المساجد وأباح دخول أهل الكتاب فى المسجد الحرام وغيره (بعد عامهم هذا) يريد عام تسعة من الهجرة حين حج أبو بكر بالناس، وقرأ عليهم على سورة براءة (وإن خفتم عيلة) أى فقرا، كان المشركون يجلبون الأطعمة إلى مكة فخاف الناس قلة القوت بها إذ منع المشركون منها، فوعدهم الله بأن يغنيهم من فضله، فأسلمت العرب كلها وتمادى جلب الأطعمة إلى مكة ثم فتح الله سائر الأمصار (قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر) أمر بقتال أهل الكتاب ونفى عنهم الإيمان بالله لقول اليهود عزير ابن الله، وقول النصارى

أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ ۞ وَقَالَتِ الْيَهُودُ عُزَيْرٌ ابْنُ اللَّهِ وَقَالَتِ النَّصَارَى الْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَاهِهِمْ يُضَاهِئُونَ قَوْلَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۞ اتَّخَذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا إِلَٰهًا وَاحِدًا لَّا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۞ يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ ۞ هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا

المسيح ابن الله ، ونفى عنهم الإيمان باليوم الآخر لأن اعتقادهم فيه فاسد ، فإنهم لايقولون بالمعاد والحساب (ولايحرمون ماحرم الله وسوله) لأنهم يستحلون الميتة والدم ولحم الخنزير وغير ذلك (ولا يدينون دين الحق) أى لايدخلون فى الإسلام (من الذين أوتوا الكتاب) بيان للذين أمر بقتالهم وحين نزلت هذه الآية خرج رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم إلى غزوة تبوك لقتال النصارى (حتى يعطوا الجزية) اتفق العلماء على قبول الجزية من اليهود والنصارى ، ويلحق بهم المجوس ، لقوله صلى الله عليه وسلم : سنوابهم سنة أهل الكتاب، واختلفوا فى قبولها من عبدة الأوثان والصابئين ولا تؤخذ من النساء والصبيان والمجانين ، وقدرها عند مالك أربعة دنانير على أهل الذهب ، وأربعون درهما على أهل الورق ، ويؤخذ ذلك من كل رأس (عن يد) فيه تاويلان : أحدهما دفع الذمىّ لها بيده لايبعثها مع أحد ولا يمطل بها كقولك يدأ بيد، الثانى عن استسلام وانقياد كقولك ألقى فلان بيده (وهم صاغرون) أذلاء (وقالت اليهود عزير ابن الله) قال ابن عباس إن هذه المقالة قالها أربعة من اليهود ، وهم سلام بن مشكم ، ونعمان بن أوفى ، وشاس بن قيس ، ومالك بن الصيف ، وقيل لم يقلها إلا فنحاص ، ونسب ذلك إلى جميعهم لأنهم متبعون لمن قالها ، والظاهر أن جماعتهم قالوها إذ لم ينكروها حين نسبت إليهم ، وكان سبب قولهم ذلك أنهم فقدوا التوراة فحفظها عزيرا وحده فعلمها لهم فقالوا ما علم الله عزيرا التوراة إلا أنه ابنه ، وعزير مبتدأ، وابن الله خبره ، ومنع عزير التنوين لأنه أعجمى لا ينصرف وقيل بل هو منصرف وحذف التنوين لالتقاء الساكنين وهذا ضعيف ، وأما من نونه فجعله عربيا (وقالت النصارى المسيح ابن الله) قال أبو المعالى : أطبقت النصارى على أن المسيح إله وابن إله وذلك كفر شنيع (بأفواههم) يتضمن معنيين أحدهما إلزامهم هذه المقالة والتأكيد فى ذلك ، والثانى أنهم لاحجة لهم فى ذلك ، وإنما هو مجرد دعوى كقولك لمن تكذبه هـذا قول بلسانك (يضاهؤن قول الذين كفروا من قبـل) معنى يضاهؤن يشابهون ، فإن كان الضمير لليهود والنصارى ، فالإشارة بقوله الذين كفروا من قبل للشركين من العرب إذ قالوا الملائكة بنات الله ، وهم أول كافر . أو للصابئين أو لأمم متقدمة وإن كان الضمير للمعاصرين للنبى صلى الله عليـه وسلم من اليهود والنصارى ، فالذين كفروا من قبـل هم أسلافهم المتقـدمون (قاتلهم الله) دعاء عليهم ، وقيـل معناه لعنهم الله (أنى يؤفكون) تعجب كيف يصرفون عن الحق والصواب (اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا) أى أطاعوهم كما يطاع الرب وإن كانوا لم يعبدوهم (والمسيح) معطوف على الأحبار والرهبان (وما أمروا إلا ليعبدوا إلها واحدا) أى أمرهم بذلك عيسى ومحمد صلى الله عليه وآله وسلم (يريدون أن يطفؤا نور الله) أى يريدون أن يطفؤا نبوة محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وماجاء به من عبادة الله وتوحيده (بأفواههم) إشارة

إِنَّ كَثِيرًا مِّنَ الْأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ ۞ إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِندَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقَاتِلُونَكُمْ كَافَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۞ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحِلُّونَهُ عَامًا وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِّيُوَاطِئُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زُيِّنَ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ۞ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ إِلَّا تَنفِرُوا

إلى أقوالهم كقولهم ساحر وشاعر ، وفيه أيضا إشارة إلى ضعف حيلتهم فيما أرادوا (ليظهره على الدين) الضمير للرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، أو للدين ، وإظهاره جعله أعلى الأديان وأقواها حتى يعم المشارق والمغارب ، وقيل ذلك عند نزول عيسى ابن مريم حتى لايبقى إلا دين الإسلام (ليأكلون أموال الناس بالباطل) هو الرشا على الأحكام وغير ذلك (والذين يكنزون الذهب والفضة) ورد فى الحديث أن كل ما أديت زكاته فليس بكنز ، وما لم تؤد زكاته فهو كنز ، وقال أبوذر وجماعة من الزهاد كلما فضل عن حاجة الإنسان فهو كنز (ولا ينفقونها) الضمير للأموال والكنوز التى يتضمنها المعنى ، وقيل هى الفضة ، واكتفى فى ذلك عن الذهب إذ الحكم فيهما واحد (يوم يحمى) العامل فى الظرف أليم أومحذوف (عليها) الضمير يعود على مايعود عليه ضمير ينفقونها (اثناعشرشهرا) هى الأشهر المعروفة أولها المحرم وآخرها ذوالحجة ، وكان الذى جعل المحرم أول شهر من العام عمر بن الخطاب رضى الله عنه (فى كتاب الله) أى فى اللوح المحفوظ ، وقيل فى القرآن والأول أرجح لقوله يوم خلق السموات والأرض (منها أربعة حرم) هى رجب وذو القعدة وذوالحجة والمحرم (ذلك الدين القيم) يعنى أن تحريم الأشهر الحرم هو الدين المستقيم ، دين إبراهيم وإسماعيل ، وكانت العرب قد تمسكت به حتى غيره بعضهم (فلا تظلموا فيهن أنفسكم) الضمير فى قوله فيهن للأشهر الحرم تعظيما لأمرها وتغليظا للذنوب فيها ، وإن كان الظلم ممنوعا فى غيرها ، وقيل الضمير للاثنى عشر شهرا ، أو الزمان كله ، والأول أظهر (وقاتلوا المشركين كافة) أى قاتلوهم فى الأشهر الحرم ، فهذا نسخ لتحريم القتال فيها ، وكافة حال من الفاعل أو المفعول (إنما النسيء) وهو تأخير حرمة الشهر إلى الشهر الآخر ، وذلك أن العرب كانوا أصحاب حروب وإغارات ، وكانت محرمة عليهم فى الأشهر الحرم فيشق عليهم تركها فيجعلونها فى شهر حرام ويحرمون شهرا آخر بدلا منه ، وربما أحلوا المحرم وحرموا صفر حتى تكمل فى العام أربعة أشهر محرمة (يحلونه عاما ويحرمونه عاما) أى تارة يحلون وتارة يحرمون ، ولم يرد العام حقيقة (ليواطئوا عدة ماحرم الله) أى ليوافقوا عدد الأشهر الحرم وهى أربعة (فيحلوا ماحرم الله) يعنى إحلالهم القتال فى الأشهر الحرم (مالكم إذا قيل لكم

يعذبكم عذابا أليما ويستبدل قوما غيركم ولا تضروه شيئا والله على كل شىء قدير * إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثانى اثنين إذ هما فى الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا فأنزل الله سكينته عليه وأيده بجنود لم تروها وجعل كلمة الذين كفروا السفلى وكلمة الله هى العليا والله عزيز حكيم * انفروا خفافا وثقالا وجاهدوا بأموالكم وأنفسكم فى سبيل الله ذلكم خير لكم إن كنتم تعلمون * لو كان عرضا قريبا وسفرا قاصدا لاتبعوك ولكن بعدت عليهم الشقة وسيحلفون بالله لو استطعنا لخرجنا معكم يهلكون أنفسهم والله يعلم إنهم لكاذبون * عفا الله عنك لم أذنت لهم حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين *

انفروا) عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك (اثاقلتم إلى الأرض) عبارة عن تخلفهم ، وأصل اثاقلتم تثاقلتم (إلا تنفروا يعذبكم) شرط وجزاء وهو العذاب فى الدنيا والآخرة (إلا تنصروه فقد نصره الله) شرط وجواب ، والضمير لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فإن قيل : كيف ارتبط هذا الشرط مع جوابه ، فالجواب أن المعنى : إن لم تنصروه أنتم فسنتصره الله الذى نصره حين كان ثانى اثنين ، فدل بقوله نصره الله على نصره فى المستقبل (إذ أخرجه الذين كفروا) يعنى خروجه من مكة مهاجرا إلى المدينة ، وأسند إخراجه إلى الكفار ، لأنهم فعلوا معه من الأذى ما اقتضى خروجه (ثانى اثنين) هو أبو بكر الصديق (إذ يقول لصاحبه لا تحزن) يعنى أبا بكر (إن الله معنا) يعنى بالنصر واللطف (فأنزل الله سكينته عليه) الضمير للرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ، وقيل لأبى بكر ، لأن النبى صلى الله عليه وسلم نزل معه السكينة ، ويضعف ذلك بأن الضمائر بعدها للرسول عليه السلام (وأيده بجنود لم تروها) يعنى الملائكة يوم بدر وغيره (وجعل كلمة الذين كفروا السفلى) يريد إذلالها ودحضها (وكلمة الله هى العليا) قيل هى لا إله إلا الله ، وقيل الدين كله (انفروا خفافا وثقالا) أمر بالتنفير إلى الغزو ، والخفة استعارة لمن يمكنه السفر بسهولة ، والثقل من يمكنه بصعوبة ، وقال بعض العلماء الخفيف الغنى والثقيل الفقير ، وقيل الخفيف الشاب ، والثقيل الشيخ ، وقيل الخفيف النشيط ، والثقيل الكسلان ، وهذه الأقوال أمثلة فى الثقل والخفة ، وقيل إن هذه الآية منسوخة بقوله ليس على الضعفاء ولا على المرضى الآية (لو كان عرضا قريبا) الآية : نزلت هى وكثير مما بعدها فى هذه السورة فى المنافقين الذين تخلفوا عن غزوة تبوك ، وذلك أنها كانت إلى أرض بعيدة وكانت فى شدة الحر وطيب الثمار والظلال ، فثقلت عليهم فأخبر الله فى هذه الآية أن السفر لو كان لعرض من الدنيا ، أو إلى مسافة قريبة لفعلوه (بعدت عليهم الشقة) أى الطريق والمسافة (وسيحلفون بالله) إخبار بغيب وهو أنهم يعتذرون بأعذار كاذبة ويحلفون (يهلكون أنفسهم) أى يوقعونها فى الهلاك بحلفهم الكاذبة ، أو تخلفهم عن الغزو (عفا الله عنك لم أذنت لهم) الآية : كان بعض المنافقين قد استأذن النبى صلى الله عليه وسلم فى التخلف عن غزوة تبوك فأذن لهم ، فعاتبه الله تعالى على إذنه له ، وقدم العفو على العتاب إكراما له صلى الله عليه وسلم وقيل إن قوله عفا الله عنك ليس لذنب ولا عتاب ولكنه استفتاح كلام كما يقول أصلحك الله (حتى يتبين لك الذين صدقوا وتعلم الكاذبين) كانوا قد قالوا استأذنوه فى القعود ، فإن أذن لنا قعدنا ، وإن لم يأذن لنا قعدنا ، وإنما كان يظهر الصدق من الكذب لو لم يأذن لهم ، فحينئذ كان يقعد

لَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَن يُجَٰهِدُوا بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِينَ ۝ إِنَّمَا يَسْتَئْذِنُكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ۝ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَٰكِن كَرِهَ اللَّهُ انبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَٰعِدِينَ ۝ لَوْ خَرَجُوا فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَٰلَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّٰعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّٰلِمِينَ ۝ لَقَدِ ابْتَغَوُا الْفِتْنَةَ مِن قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّىٰ جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَٰرِهُونَ ۝ وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ائْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَٰفِرِينَ ۝ إِن تُصِبْكَ حَسَنَةٌ تَسُؤْهُمْ وَإِن تُصِبْكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِن قَبْلُ وَيَتَوَلَّوا وَّهُمْ فَرِحُونَ ۝ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ۝ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا

العاصى والمنافق ويسافر المطيع (لايستأذنك الذين يؤمنون بالله) الآية : لايستأذنك فى التخلف عن الغزو لغير عذر من يؤمن بالله واليوم الآخر (وارتابت قلوبهم) أى شكت ، ونزلت الآية فى عبد الله بن أبيّ بن سلول والجد بن قيس (ولوأرادوا الخروج) الآية . أى لو كانت لهم نية فى الغزو والاستعداد له قبل أوانه (انبعاثهم) أى خروجهم (فثبطهم) أى كسر عزمهم وجعل فى قلوبهم الكسل (وقيل اقعدوا) يحتمل أن يكون القائل لهم اقعدوا هو الله تعالى ، وذلك عبارة عن قضائه عليهم بالقعود ، ويحتمل أن يكون ذلك من قول بعضهم لبعض (مع القاعدين) أى مع النساء والصبيان وأهل الأعذار ، وفى ذلك ذم لهم لاختلاطهم فى القعود مع هؤلاء (لوخرجوا فيكم مازادوكم إلاخبالا) أى شراوفسادا (ولأوضعوا) أى أسرعوا السير، والإيضاع سرعة السير، والمعنى أنهم يسرعون للفساد والنميمة (خلالكم) أى بينكم (يبغونكم الفتنة) أى يحاولون أن يفتنوكم (سماعون لهم) وقيل يسمعون أخبارهم وينقلونها إليهم (لقد ابتغوا الفتنة من قبل) أى طلبوا الفساد ، وروى أنها نزلت فى عبدالله بن أبى ابن سلول وأصحابه من المنافقين (وقلبوا لك الأمور) أى دبروها من كل وجه ، فأبطل الله سعيهم (ومنهم من يقول ائذن لى ولاتفتنى) لما دعا النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم إلى غزوة تبوك قال الجد بن قيس وكان من المنافقين : ائذن لى فى القعود ولا تفتنى برؤية بنى الأصفر فإنى لاأصبر عن النساء (ألا فى الفتنة سقطوا) أى وقعوا فى الفتنة التى فروا منها (إن تصبك حسنة تسؤهم) الحسنة هنا النصر والغنيمة وشبه ذلك (يقولوا قد أخذنا أمرنا من قبل) أى قد حذرنا وتأهبنا من قبل (قل لن يصيبنا إلا ما كتب الله لنا) أى ماقدر وقضى ، وهذا رد على المنافقين (قل هل تربصون بنا إلا إحدى الحسنيين) أى هل تنتظرون بنا إلا إحدى أمرين : إما الظفر والنصر ، وإما الموت فى سبيل الله وكل واحد من الخصلتين حسن (بعذاب من عنده) المصائب ومايتزل من السماء أو عذاب الآخرة (أو بأيدينا) يعنى القتل (فتربصوا) تهديد (قل أنفقوا طوعا أو كرها لن يتقبل منكم) تضمن الأمر هنا معنى الشرط ،

مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ * قُلْ أَنفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا لَّن يُتَقَبَّلَ مِنكُمْ إِنَّكُمْ كُنتُمْ قَوْمًا فَاسِقِينَ * وَمَا مَنَعَهُمْ أَن تُقْبَلَ مِنْهُمْ نَفَقَاتُهُمْ إِلَّا أَنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَبِرَسُولِهِ وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا وَهُمْ كُسَالَىٰ وَلَا يُنفِقُونَ إِلَّا وَهُمْ كَارِهُونَ * فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُم بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ * وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنكُمْ وَمَا هُم مِّنكُمْ وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ * لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَأً أَوْ مَغَارَاتٍ أَوْ مُدَّخَلًا لَّوَلَّوْا إِلَيْهِ وَهُمْ يَجْمَحُونَ * وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِي الصَّدَقَاتِ فَإِنْ أُعْطُوا مِنْهَا رَضُوا وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا مِنْهَا إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ * وَلَوْ أَنَّهُمْ رَضُوا مَا آتَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ سَيُؤْتِينَا اللَّهُ مِن فَضْلِهِ وَرَسُولُهُ إِنَّا إِلَى اللَّهِ رَاغِبُونَ * إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنْهُمُ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ

فاحتاج إلى جواب : والمعنى لن يتقبل منكم سواء أنفقتم طوعا أو كرها ، والطوع والكره عموم فى الإنفاق أى لن يتقبل على كل حال (ومامنعهم أن تقبل منهم نفقاتهم إلا أنهم كفروا) تعليل لعدم قبول نفقاتهم بكفرهم ، ويحتمل أن يكون إنهم كفروا فاعل مامنعهم، أو فى موضع مفعول من أجله والفاعل الله (إنما يريد الله ليعذبهم بها) قيل العذاب فى الدنيا بالمصائب ، وقيل ماألزموا من أداء الزكاة (وتزهق أنفسهم وهم كافرون) إخبار بأنهم يموتون على الكفر (ويحلفون بالله إنهم لمنكم) أى من المؤمنين (يفرقون) يخافون (لو يجدون ملجأ) أى مايلجأ إليه من المواضع (أومغارات) هى الغيران فى الجبال (أومدخلا) وزنه مفتعل من الدخول ومعناه نفق أوسرب فى الأرض (يجمحون) أى يسارعون (ومنهم من يلمزك فى الصدقات) أى يعيبك على قسمتها والآية فى المنافقين كالتى قبلها وبعدها ؛ وقيل فى ذى الخويصرة الذى قال اعدل يامحمد فإنك لم تعدل فقال رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم «ويلك إن لم أعدل فمن يعدل الحديث» (ولو أنهم رضوا) الآية : ترغيب لهم فيما هو خير لهم ، وجواب لو محذوف تقديره لكان ذلك خيرا لهم (إنما الصدقات للفقراء والمساكين) الآية : إنما هنا تقتضى حصر الصدقات وهى الزكاة فى هذه الأصناف الثمانية فلايجوز أن يعطى منها غيرهم ، ومذهب مالك أن تفريقها فى هؤلاء الأصناف إلى اجتهاد الإمام ، فله أن يجعلها فى بعض دون بعض ، ومذهب الشافعى أنه يجب أن تقسم على جميع هذه الأصناف بالسواء ، واختلف العلماء هل الفقير أشد حاجة من المسكين أو بالعكس ؟ فقيل هما سواء ، وقيل الفقير الذى يسأل الناس ويعلم حاله ، والمسكين ليس كذلك (والعاملين عليها) أى الذين يقبضونها ويفرقونها (والمؤلفة قلوبهم) كفار يعطون ترغيبا فى الإسلام ، وقيل هم مسلمون يعطون ليتمكن إيمانهم ، واختلف هل بقى حكمهم أوسقط للاستغناء عنهم (وفى الرقاب) يعنى العبيد يشترون و يعتقون (والغارمين) يعنى من عليه دين ، ويشترط أن يكون استدان فى غير فساد ولا سرف (وفى سبيل الله) يعنى الجهاد فيعطى منها المجاهدون ويشترى منها آلات الحرب واختلف هل تصرف فى بناء الأسوار وإنشاء الأساطيل (وابن السبيل) هو الغريب المحتاج (فريضة) أى

قُلْ أُذُنُ خَيْرٍ لَّكُمْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَيُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِينَ وَرَحْمَةٌ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ رَسُولَ اللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَن يُرْضُوهُ إِن كَانُوا مُؤْمِنِينَ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّهُ مَن يُحَادِدِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَأَنَّ لَهُ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدًا فِيهَا ذَٰلِكَ الْخِزْيُ الْعَظِيمُ * يَحْذَرُ الْمُنَافِقُونَ أَن تُنَزَّلَ عَلَيْهِمْ سُورَةٌ تُنَبِّئُهُم بِمَا فِي قُلُوبِهِمْ قُلِ اسْتَهْزِئُوا إِنَّ اللَّهَ مُخْرِجٌ مَّا تَحْذَرُونَ * وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ قُلْ أَبِاللَّهِ وَآيَاتِهِ وَرَسُولِهِ كُنتُمْ تَسْتَهْزِئُونَ * لَا تَعْتَذِرُوا قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَائِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَائِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ * الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ بَعْضُهُم مِّن بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمُنكَرِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمَعْرُوفِ وَيَقْبِضُونَ أَيْدِيَهُمْ نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ إِنَّ الْمُنَافِقِينَ هُمُ الْفَاسِقُونَ * وَعَدَ اللَّهُ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْكُفَّارَ نَارَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا هِيَ حَسْبُهُمْ وَلَعَنَهُمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ * كَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنكُمْ قُوَّةً وَأَكْثَرَ

حقاً محدودا : ونصبه على المصدر ، فإن قيل . لم ذكر مصرف الزكاة فى تضاعيف ذكر المنافقين ، فالجواب أنه حصر مصرف الزكاة فى تلك الأصناف ليقطع طمع المنافقين فيها ، فاتصلت هذه الآية فى المعنى بقوله ومنهم من يلمزك فى الصدقات الآية (ومنهم الذين يؤذون النبي) يعنى من المنافقين وإذايتهم للنبي صلى الله عليه وسلم بالأقوال والأفعال (ويقولون هو أذن) أى يسمع كل مايقال له ويصدقه ، ويقال إن قائل هذه المقالة هو نبيل بن الحارث وكان من مردة المنافقين وقيل عتاب بن قيس (قل أذن خير لكم) أى يسمع الخير والحق (ويؤمن للمؤمنين) أى يصدقهم يقال آمنت لك إذا صدقتك ، ولذلك تعدى هذا الفعل باللام وتعدى يؤمن بالله بالباء (ورحمة) بالرفع عطف على أذن ، وبالخفض على خير (يحلفون) يعنى المنافقين (والله ورسوله أحق أن يرضوه) تقديره والله أحق أن يرضوه ورسوله كذلك ، فهما جملتان حذف الضمير من الثانية لدلالة الأولى عليها ، وقيل إنما وحد الضمير لأن رضا الله ورسوله واحد (من يحادد الله) يعنى من يعادى ويخالف (فإن له) إن هنا مكررة تأكيداً للأولى ، وقيل بدل منها ، وقيل التقدير فواجب أن له ، فهى فى موضع خبر مبتدأ محذوف (يحذر المنافقون أن تنزل عليهم) يعنى فى شأنهم سورة على النبي صلى الله عليه وسلم والضمائر فى عليهم وتنبئهم وقلوبهم تعود على المنافقين ، وقال الزمخشرى إن الضمير فى عليهم وتنبئهم للمؤمنين ، وفى قلوبهم للمنافقين ، والأول أظهر (قل استهزؤا) تهديد (إن الله مخرج ما تحذرون) صنع ذلك بهم فى هذه السورة ، لأنها فضحتهم (إنما كنا نخوض ونلعب) نزلت فى وديعة بن ثابت بلغ النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال هذا يريد أن يفتح قصور الشام هيهات هيهات ، فسأله عن ذلك فقال إنما كنا نخوض ونلعب (إن نعف عن طائفة منكم) كان رجل منهم اسمه مخشن تاب ومات شهيداً (بعضهم من بعض) نفى لأن يكونوا من المؤمنين (ويقبضون أيديهم) كناية عن البخل (نسوا الله) أى غفلوا عن ذكره (فنسيهم) تركهم من رحمته وفضله (وعد الله المنافقين) الأصل فى الشر أن يقال أوعد ، وإنما يقال فيه وعد إذا صرح بالشر (والكفار) يعنى المجاهرين بالكفر (كالذين من قبلكم) خطاب للمنافقين والكاف فى موضع نصب والتقدير فعلتم مثل فعل الذين من قبلكم ، أو فى موضع خبر مبتدأ تقديره أنتم كالذين

أَمْوَالًا وَأَوْلَادًا فَاسْتَمْتَعُوا بِخَلَاقِهِمْ فَاسْتَمْتَعْتُمْ بِخَلَاقِكُمْ كَمَا اسْتَمْتَعَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ بِخَلَاقِهِمْ وَخُضْتُمْ كَالَّذِي خَاضُوا أُولَٰئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ۝ أَلَمْ يَأْتِهِمْ نَبَأُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَقَوْمِ إِبْرَاهِيمَ وَأَصْحَابِ مَدْيَنَ وَالْمُؤْتَفِكَاتِ أَتَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۝ وَعَدَ اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ وَرِضْوَانٌ مِنَ اللَّهِ أَكْبَرُ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ۝ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ۝ يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ مَا قَالُوا وَلَقَدْ قَالُوا كَلِمَةَ الْكُفْرِ وَكَفَرُوا بَعْدَ إِسْلَامِهِمْ وَهَمُّوا بِمَا لَمْ يَنَالُوا وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ فَإِنْ يَتُوبُوا يَكُ خَيْرًا لَهُمْ وَإِنْ يَتَوَلَّوْا

من قبلكم (وخضتم) أى خلطتم وهو مستعار من الخوض فى الماء ، ولا يقال إلا فى الباطل من الكلام (كالذى خاضوا) تقديره كالخوض الذى خاضوا ، وقيل كالذين خاضوا ، فالذى هنا على هذا بمعنى الجميع (ألم يأتهم) الآية : تهديد لهم بما أصاب الأمم المتقدمة (والمؤتفكات) يعنى مدائن قوم لوط (بالبينات) أى بالمعجزات (بعضهم أولياء بعض) فى مقابلة قوله المنافقون بعضهم من بعض ولكنه خص المؤمنين بالوصف بالولاية (جنات عدن) قيل عدن هى مدينة الجنة وأعظمها ، وقال الزمخشرى هو اسم علم (ورضوان من الله أكبر) أى رضوان من الله أكبر من كل ماذكر وذلك معنى ماذكر فى الحديث إن الله تعالى يقول لأهل الجنة أتريدون شيئا أزيدكم ، فيقولون يا ربنا أى شىء تزيدنا ؟ فيقول رضوانى فلا أسخط عليكم أبدا (جاهد الكفار والمنافقين) جهاد الكفار بالسيف وجهاد المنافقين باللسان مالم يظهر مايدل على كفرهم ، فإن ظهر منهم ذلك فحكمهم كحكم الزنديق ، وقد اختلف هل يقتل أم لا (واغلظ عليهم) الغلظة ضد الرحمة والرأفة ، وقد تكون بالقول والفعل وغيرذلك (يحلفون بالله ماقالوا) نزلت فى الجلاس بن سويد ، فإنه قال إن كان مايقول محمد حقا فنحن شر من الحمير ، فبلغ ذلك النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فقرأه عليه فحلف أنه ماقاله (ولقد قالوا كلمة الكفر) يعنى ماتقدم من قول الجلاس لأن ذلك يقتضى التكذيب (وكفروا بعد إسلامهم) لم يقل بعد إيمانهم ، لأنهم كانوا يقولون بألسنتهم آمنا ولم يدخل الإيمان فى قلوبهم (وهموا بما لم ينالوا) هم الجلاس بقتل من بلغ تلك الكلمة عنه ، وقيل هم بقتل النبى صلى الله عليه وسلم ؛ وقيل الآية نزلت فى عبد الله بن أبىّ بن سلول ، وكلمة الكفر التى قالها قوله سمن كلبك يأكلك ، وهمه بما لم يناله قوله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل (وما نقموا إلا أن أغناهم الله) أى ماعابوا إلا الغنى الذى كان حقه أن يشكروا عليه ، وذلك فى الجلاس أو فى عبد الله بن أبىّ (فإن يتوبوا) فتح الله لهم باب التوبة فتاب

يعذبهم الله عذاباً أليماً فى الدنيا والآخرة وما لهم فى الأرض من ولى ولا نصير * ومنهم من عاهد الله لئن ءاتانا من فضله لنصدقن ولنكونن من الصالحين * فلما ءاتاهم من فضله بخلوا به وتولوا وهم معرضون * فأعقبهم نفاقاً فى قلوبهم إلى يوم يلقونه بما أخلفوا الله ما وعدوه وبما كانوا يكذبون * ألم يعلموا أن الله يعلم سرهم ونجواهم وأن الله علام الغيوب * الذين يلمزون المطوعين من المؤمنين فى الصدقات والذين لا يجدون إلا جهدهم فيسخرون منهم سخر الله منهم ولهم عذاب أليم * استغفر لهم أو لا تستغفر لهم إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم ذلك بأنهم كفروا بالله ورسوله والله لا يهدى القوم الفاسقين * فرح المخلفون بمقعدهم خلاف رسول الله وكرهوا أن يجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله وقالوا لا تنفروا فى الحر قل نار جهنم أشد حراً لو كانوا يفقهون * فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً جزاء بما كانوا

الجلاس وحسن حاله (ومنهم من عاهد الله) الآية : نزلت فى ثعلبة بن حاطب ، وذلك أنه قال يارسول الله ادع الله أن يكثر مالى فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم قليل تؤدى شكره خير من كثير لا تطيقه ، فأعاد عليه حتى دعا له فكثر ماله فتشاغل به حتى ترك الصلوات ثم امتنع من أداء الزكاة ، فنزلت فيه الآية فجاء بزكاته إلى النبى صلى الله عليه وسلم فأعرض عنه ولم يأخذها منه ، وقال إن الله أمرنى أن لا آخذ زكاتك ثم لم يأخذها منه أبو بكر ولا عمر ولا عثمان (بخلوا به) إشارة إلى منعه الزكاة (فأعقبهم نفاقاً) عقوبة على العصيان بما هو أشد منه (إلى يوم يلقونه) حكم بوفاته على النفاق (الذين يلمزون المطوعين) نزلت فى المنافقين حين تصدق عبد الرحمن بن عوف بأربعة آلاف فقالوا ما هذا إلا رياء وأصل المطوعين المتطوعين والمراد به هنا من تصدق بكثير (والذين لا يجدون إلا جهدهم) هم الذين لا يقدرون إلا على القليل فيتصدقون به نزلت فى أبى عقيل تصدق بصاع من تمر، فقال المنافقون إن الله غنى عن صدقة هذا (فيسخرون منهم) أى يستخفون بهم (سخر الله منهم) تسمية للعقوبة باسم الذنب (استغفر لهم أو لا تستغفر لهم) يحتمل معنيين . أحدهما أن يكون لفظه أمر ، ومعناه الشرط ، ومعناه إن استغفرت لهم أو لم تستغفر لهم لن يغفر الله لهم ، كما جاء فى سورة المنافقين ، والآخر أن يكون تخيير كأنه قال إن شئت فاستغفر لهم ، وإن شئت فلا تستغفر لهم ، ثم أعلمه الله أنه لا يغفر لهم ، وهذا أرجح لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم إن الله خيرنى فاخترت ، وذلك حين قال عمر أتصلى على عبد الله بن أبىّ وقد نهاك الله عن الصلاة عليه (سبعين مرة) ذكرها على وجه التمثيل للعدد الكثير (فرح المخلفون) أى الذين خلفهم الله عن بدر وأقعدهم عنه ، وفى هذا تحقير وذم لهم ، ولذلك لم يقل المتخلفون (بمقعدهم) أى بقعودهم (خلاف رسول الله) أى بعده حين خرج إلى تبوك ، فخلاف على هذا ظرف ، وقيل هو مصدر من خلف فهو على هذا مفعول من أجله (وقالوا لا تنفروا فى الحر) قائل هذه المقالة رجل من بنى سلمة ممن صعب عليه السفر إلى تبوك فى الحر (فليضحكوا قليلا وليبكوا كثيرا) أمر بمعنى الخبر فضحكهم القليل فى الدنيا مدة بقائهم فيها وبكاؤهم الكثير فى الآخرة ؛ وقيل هو بمعنى الأمر أى يجب أن يكونوا يضحكون قليلا ويبكون كثيرا

يَكْسِبُونَ ۞ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ فَٱسْتَـْٔذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا۟ مَعِىَ أَبَدًا وَلَن تُقَـٰتِلُوا۟ مَعِىَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِٱلْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَٱقْعُدُوا۟ مَعَ ٱلْخَـٰلِفِينَ ۞ وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَـٰسِقُونَ ۞ وَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَٰلُهُمْ وَأَوْلَـٰدُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُعَذِّبَهُم بِهَا فِى ٱلدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَـٰفِرُونَ ۞ وَإِذَآ أُنزِلَتْ سُورَةٌ أَنْ ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَجَـٰهِدُوا۟ مَعَ رَسُولِهِ ٱسْتَـْٔذَنَكَ أُو۟لُوا۟ ٱلطَّوْلِ مِنْهُمْ وَقَالُوا۟ ذَرْنَا نَكُن مَّعَ ٱلْقَـٰعِدِينَ ۞ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ۞ لَـٰكِنِ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ جَـٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْخَيْرَٰتُ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۞ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ خَـٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَجَآءَ ٱلْمُعَذِّرُونَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ لِيُؤْذَنَ لَهُمْ وَقَعَدَ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ إِذَا مَآ أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَآ أَجِدُ

فى الدنيا لما وقعوا فيه (إلى طائفة منهم) إنما لم يقل اليهم ، لأن منهم من تاب من النفاق وندم على التخلف (لن تخرجوا معى أبدا) عقوبة لهم فيها خزى و توبيخ (أول مرة) يعنى فى غزوة تبوك (فاقعدوا مع الخالفين) أى مع القاعدين وهم النساء والصبيان (ولا تصل على أحد منهم مات أبدا) نزلت فى شأن عبد الله بن أبى ابن سلول ، وصلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم عليه حين مات ، وروى أنه صلى عليه فنزلت الآية ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم لما تقدم ليصلى عليه جاءه جبريل فجبذ ثوبه ، وتلا عليه : ولا تصل على أحد منهم مات أبدا الآية ، فانصرف رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ولم يصل عليه (واذا أنزلت سورة) قيل يعنى براءة والأرجح أنه على الإطلاق (أن آمنوا) أن هنا مفسرة (استأذنك أولو الطول منهم) أى أولو الغنى والمال الكثير (لكن الرسول) الآية أى إن تخلف هؤلاء فقد جاهد الرسول ومن معه (الخيرات) تعم منافع الدارين وقيل هى الحور العين لقوله خيرات حسان (وجاء المعذرون) هم المعتذرون ثم أدغمت التاء فى الذال ونقلت حركتها إلى العين واختلف هل كانوا فى اعتذارهم صادقين أو كاذبين وقيل هم المقصرون من عذر فى الأمر إذا قصر فيه ولم يجد فوزنه على هذا المفعلون وروى أنها نزلت فى قوم من غفار (وقعد الذين كذبوا الله ورسوله) هم قوم لم يجاهدوا ولم يعتذروا عن تخلفهم فكذبوا فى دعواهم الإيمان (سيصيب الذين كفروا منهم) أى من المعذرين (ليس على الضعفاء ولا على المرضى) هذا رفع للحرج عن أهل الأعذار الصحيحة من ضعف البدن والفقر إذا تركوا الغزو وقيل إن الضعفاء هنا هم النساء والصبيان وهذا بعيد (ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون) قيل نزلت فى بنى مقرن وهم ستة إخوة صحبوا النبى صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقيل فى عبد الله بن مغفل المزنى (إذا نصحوا لله) يعنى بنياتهم وأقوالهم وإن لم يخرجوا

مَآ أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوا وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنفِقُونَ * إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ رَضُوا بِأَن يَكُونُوا مَعَ الْخَوَالِفِ وَطَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا اللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * سَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ إِذَا انقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ * يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَٰسِقِينَ * الْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا حُدُودَ مَآ أَنزَلَ اللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ مَغْرَمًا وَيَتَرَبَّصُ بِكُمُ الدَّوَآئِرَ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ السَّوْءِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * وَمِنَ الْأَعْرَابِ مَن يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَيَتَّخِذُ مَا يُنفِقُ قُرُبَٰتٍ عِندَ اللَّهِ وَصَلَوَٰتِ الرَّسُولِ أَلَآ إِنَّهَا قُرْبَةٌ لَّهُمْ سَيُدْخِلُهُمُ اللَّهُ فِي رَحْمَتِهِ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَالسَّٰبِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَٰنٍ رَّضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ * وَمِمَّنْ حَوْلَكُم مِّنَ الْأَعْرَابِ مُنَٰفِقُونَ وَمِنْ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى النِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ * وَءَاخَرُونَ

للغزو (ماعلى المحسنين من سبيل) وصفهم بالمحسنين لأنهم نصحوا لله ورسوله ورفع عنهم العقوبة والتعنيف واللوم (ولاعلى الذين إذا ماأتوك لتحملهم) قيل هم بنو مقرن وقيل ابن مغفل وقيل سبعة نفر من بطون شتى وهم البكاؤن ومعنى لتحملهم على الإبل وجواب إذا يحتمل أن يكون قلت (لاأجد ما أحملكم) أو تولوا إذا رجعتم يعنى من غزوة تبوك (لن نؤمن لكم) لن نصدقكم (من أخباركم) نعت لمحذوف وهو المفعول الثانى تقديره قد نبأنا الله جملة من أخباركم (الأعراب أشد كفرا ونفاقا) هم أهل البوادى من العرب (وأجدر أن لايعلموا حدود ماأنزل الله) يعنى أنهم أحق أن لايعلموا الشرائع لبعدهم عن الحاضرة ومجالس العلم (ومن الأعراب من يتخذ ماينفق مغرما) أى تثقل عليهم الزكاة والنفقة فى سبيل الله ثقل المغرم الذى ليس بحق عليه (ويتربص بكم الدوائر) أى ينتظر بكم مصائب الدنيا (عليهم دائرة السوء) خبر أو دعاء (وصلوات الرسول) أى دعواته لهم وهو عطف على قربات أى يقصدون بنفقاتهم التقرب إلى الله واغتنام دعاء الرسول لهم وقيل نزلت فى بنى مقرن (والسابقون الأولون) قيل هم من صلى للقبلتين وقيل من شهد بدرا وقيل من حضر بيعة الرضوان (والذين اتبعوه) سائر الصحابة ويدخل فى ذلك التابعون ومن بعدهم إلى يوم القيامة بشرط الإحسان (مردوا على النفاق) أى اجترؤا عليه وقيل أقاموا عليه (سنعذبهم مرتين ثم يردون إلى عذاب عظيم) العذاب العظيم هو عذاب النار وأما المرتان قبله فالثانية منهما عذاب القبر والأولى عذابهم بإقامة الحدود عليهم وقيل بفضيحتهم بالنفاق (وآخرون

اعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ * خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا وَصَلِّ عَلَيْهِمْ إِنَّ صَلَوَاتَكَ سَكَنٌ لَهُمْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ * أَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ هُوَ يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِ وَيَأْخُذُ الصَّدَقَاتِ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَى عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ * وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَا إِلَّا الْحُسْنَى وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ

اعترفوا بذنوبهم) الآية : قيل إنها نزلت فى أبى لبابة فعمله الصالح الجهاد وعمله السيء نصيحته لبنى قريظة وقيل هو لمن تخلف عن تبوك من المؤمنين فعملهم الصالح ماسبق لهم وعملهم السيء تخلفهم عن تبوك وروى أنهم ربطوا أنفسهم إلى سوارى المسجد وقالوا لا نحل أنفسنا حتى يحلنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وقيل هى عامة فى الأمة إلى يوم القيامة قال بعضهم مافى القرآن آية أرجى لهذه الأمة من هذه الآية (خذ من أموالهم صدقة) قيل نزلت فى المتخلفين الذين ربطوا أنفسهم لما تاب الله عليهم قالوا يارسول الله إنا نريد أن نتصدق بأموالنا فنزلت هذه الآية وأخذ ثلث أموالهم وقيل هى الزكاة المفروضة فالضمير على العموم لجميع المسلمين (تطهرهم وتزكيهم بها) خطاب للنبي صلى الله عليه وآله وسلم فى موضع صفة لصدقة أو حال من الضمير فى خذ (وصلّ عليهم) أى ادع لهم (سكن لهم) أى تسكن به نفوسهم فهو عبارة عن صحة الاعتقاد أو عن طمأنينة نفوسهم إذا علموا أن الله تاب عليهم (ألم يعلموا أن الله هو يقبل التوبة عن عباده) الضمير فى يعلموا للتائبين من التخلف وقيل للذين تخلفوا ولم يتوبوا وقيل عام وفائدة الضمير المؤكد تخصيص الله تعالى بقبول التوبة دون غيره (ويأخذ الصدقات) قيل معناه يأمر بها وقيل يقبلها من عباده (وآخرون مرجون لأمر الله) قيل هم الثلاثة الذين خلفوا قبل أن يتوب الله عليهم وقيل هم الذين بنوا مسجد الضرار ، وقرئ مرجئون بالهمز وتركه وهما لغتان ومعناه التأخير (والذين اتخذوا مسجدا) قرئ الذين بغير واو صفة لقوله وآخرون مرجون أو على تقديرهم الذين وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجون لأمر الله هم أهل مسجد الضرار ، وقرئ والذين بالواو عطف على آخرون مرجون وهذه القراءة جارية على قول من قال فى المرجئين أنهم الثلاثة الذين خلفوا (ضرارا وكفرا) كانوا بنو عمرو بن عوف من الأنصار قد بنوا مسجد قباء وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يأتيه ويصلى فيه فحسدهم على ذلك قومهم بنو غنم بن عوف وبنو سالم بن عوف فبنوا مسجدا آخر مجاورا له ليقطعوا الناس عن الصلاة فى مسجد قباء وذلك هو الضرار الذى قصدوا وسألوا من رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أن يأتيه ويصلى لهم فيه فنزلت عليه فيه هذه الآية (وتفريقا بين المؤمنين) أرادوا أن يتفرق المؤمنون عن مسجد قباء (وإرصادا لمن حارب الله ورسوله من قبل) أى انتظارا لمن حارب الله ورسوله وهو أبو عامر الراهب الذى سماه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الفاسق وكان من أهل المدينة فلما قدمها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم جاهد بالكفر والنفاق ثم خرج إلى مكة

لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ۞ أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ فَٱنْهَارَ بِهِ فِى نَارِ جَهَنَّمَ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ لَا يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ۞ إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ يُقَٰتِلُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ وَٱلْقُرْءَانِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِۦ مِنَ ٱللَّهِ فَٱسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ ٱلَّذِى بَايَعْتُم بِهِۦ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ ٱلتَّٰٓئِبُونَ ٱلْعَٰبِدُونَ ٱلْحَٰمِدُونَ ٱلسَّٰٓئِحُونَ ٱلرَّٰكِعُونَ

لحزب الأحزاب من المشركين فلما فتحت مكة خرج إلى الطائف فلما أسلم أهل الطائف خرج إلى الشام ليستنصر بقيصر فهلك هناك وكان أهل مسجد الضرار يقولون إذا قدم أبوعامر المدينة يصلى فى هذا المسجد والإشارة بقوله من قبل إلى مافعل معه الأحزاب (وليحلفن إن أردنا إلا الحسنى) أى الخصلة الحسنى وهى الصلاة وذكر الله فأكذبهم الله فى ذلك (لاتقم فيه أبداً) نهى عن إتيانه والصلاة فيه فكان رسول الله صلى الله عليه وسلم لايمر بطريقه (لمسجد أسس على التقوى) قيل هو مسجد قباء ، وقيل مسجد النبى صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، وقد روى ذلك عن رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم (فيه رجال يحبون أن يتطهروا) كانوا يستنجون بالماء ونزلت فى الأنصار على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد المدينة ، ونزلت فى بنى عمرو بن عوف خاصة على قول من قال إن المسجد الذى أسس على التقوى هو مسجد قباء (أفمن أسس بنيانه على تقوى من الله ورضوان خير أمن أسس بنيانه على شفا جرف هار) الآية : استفهام بمعنى التقرير ، والذى أسس على التقوى والرضوان : مسجد المدينة أومسجد قباء ، والذى أسس على شفا جرف هار : هو مسجد الضرار ، وتأسيس البناء على التقوى والرضوان : هو بحسن النية فيه ، وقصد وجه الله ، وإظهار شرعه ، والتأسيس على شفا جرف هار : هو بفساد النية ، وقصد الرياء ، والتفريق بين المؤمنين ، فذلك على وجه الاستعارة والتشبيه البديع ، ومعنى شفا جرف : طرفه ، ومعنى هار : ساقط أو واهى ، بحيث أشفى على السقوط ، وأصل هار : هائر ، فهو من المقلوب ، لأن لامه جعلت فى موضع العين (فانهار به فى نار جهنم) أى طاح فى جهنم ، وهذا ترشيح للمجاز ، فإنه لما شبه بالجرف وصف بالانهيار الذى هو من شأن الجرف ، وقيل إن ذلك حقيقة ، وأنه سقط فى نار جهنم وخرج الدخان من موضعه ، والصحيح أن رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أمر بهدمه فهدم (لايزال بنيانهم الذى بنوا ريبة فى قلوبهم) أى لايزال فى قلوب أهل مسجد الضرار ريبة من بنيانه : أى شك فى الإسلام بسبب بنيانه ، لاعتقادهم صواب فعلهم : أوغيظ بسبب هدمه (إلا أن تقطع قلوبهم) أى إلا أن يموتوا (إن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم) قيل إنها نزلت فى بيعة العقبة وحكمها عام فى كل مؤمن مجاهد فى سبيل الله إلى يوم القيامة ، قال بعضهم ما أكرم الله ، فإن أنفسنا هو خلقها ، وأموالنا هو رزقها ، ثم وهبها لنا ، ثم اشتراها منا بهذا الثمن الغالى ، فإنها لصفقة رابحة (يقاتلون فى سبيل الله) جملة فى موضع الحال بيان للشراء (فاستبشروا ببيعكم الذى بايعتم به) قال بعضهم ناهيك عن بيع : البائع فيه

السَّٰجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنكَرِ وَالْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ * مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا أُولِي قُرْبَىٰ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ الْجَحِيمِ * وَمَا كَانَ اسْتِغْفَارُ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ إِلَّا عَن مَّوْعِدَةٍ وَعَدَهَآ إِيَّاهُ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥٓ أَنَّهُۥ عَدُوٌّ لِّلَّهِ تَبَرَّأَ مِنْهُ إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ * وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِلَّ قَوْمًا بَعْدَ إِذْ هَدَىٰهُمْ حَتَّىٰ يُبَيِّنَ لَهُم مَّا يَتَّقُونَ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ * إِنَّ اللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ * لَّقَد تَّابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ وَالْمُهَٰجِرِينَ وَالْأَنصَارِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ الْعُسْرَةِ مِن بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَعَلَى الثَّلَٰثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا إِنَّ اللَّهَ هُوَ التَّوَّابُ الرَّحِيمُ * يَٰٓأَيُّهَا الَّذِينَ

رب العلا والثمن جنة المأوى ، والواسطة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم (التائبون) ومابعده : أوصاف للمؤمنين الذين اشترى الله منهم أنفسهم وأموالهم : تقديره هم التائبون (السائحون) قيل معناه الصائمون ، ويقال ساح فى الأرض : أى ذهب (ماكان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين) نزلت فى شأن أبى طالب فإنه لما امتنع أن يقول لاإله إلاالله عند موته ، قال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم والله لأستغفرنّ لك مالم أنه عنك ، فكان يستغفرله حتى نزلت هذه الآية ، وقيل إن النبى صلى الله عليه وسلم استأذن ربه أن يستغفر لأمه فنزلت الآية ، وقيل إن المسلمين أرادوا أن يستغفروا لآبائهم المشركين فنزلت الآية (وماكان استغفار إبراهيم لأبيه إلا عن موعدة) المعنى لاحجة لكم أيها المؤمنون فى استغفار إبراهيم لأبيه ، فإن ذلك لم يكن إلا لوعد تقدم ، وهو قوله سأستغفر لك ربى (فلما تبين له أنه عدو لله تبرأ منه) قيل تبين له ذلك بموت أبيه على الكفر ، وقيل لأنه نهى عن الاستغفار له (لأواه) قيل كثير الدعاء ، وقيل موقن ، وقيل فقيه ، وقيل كثير الذكر لله ، وقيل كثير التأوه من خوف الله (وماكان الله ليضل قوما) الآية : نزلت فى قوم من المسلمين استغفروا للمشركين من غير إذن ، فخافوا على أنفسهم من ذلك فنزلت الآية تأنيسالهم أى ماكان الله ليؤاخذكم بذلك قبل أن يبين لكم المنع من ذلك (فى ساعة العسرة) يعنى حين محاولة غزوة تبوك ، والساعة هنا بمعنى الحين والوقت ، وإن كان مدة ، والعسرة الشدة وضيق الحال (من بعد ماكاد يزيغ قلوب فريق منهم) يعنى تزيغ عن الثبات على الإيمان ، أو عن الخروج فى تلك الغزوة لما رأوا من الضيق والمشقة ، وفى كاد ضمير الأمر والشأن ، أو ترتفع بها القلوب (ثم تاب عليهم) يعنى على هذا الفريق أى رجع بهم عما كادوا يقعون فيه (وعلى الثلاثة الذين خلفوا) هم كعب بن مالك ، وهلال بن أمية ، ومرارة بن الربيع ، تخلفوا عن غزوة تبوك من غير عذر ومن غير نفاق ولاقصد للمخالفة ، فلمارجع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عتب عليهم ، وأمر أن لايكلمهم أحد ، وأمرهم أن يعتزلوا نساءهم فبقوا على ذلك مدة إلى أن أنزل الله توبتهم ، وقدروى حديثهم فى البخارى ومسلم والسير ، ومعنى خلفوا هنا : أى عن الغزوة ، وقال كعب بن مالك معناه

ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَكُونُوا مَعَ الصَّادِقِينَ ۝ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُم مِّنَ الْأَعْرَابِ أَن يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلًا إِلَّا كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ۝ وَلَا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً وَلَا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ

خلفوا عن قبول الضر ، وليس بالتخلف عن الغزو يقوى ذلك كونه جعل إذا ضاقت غاية للتخلف (ضاقت عليهم الأرض) عبارة عما أصابهم من الغم والخوف من الله (ثم تاب عليهم ليتوبوا) أى رجع بهم ليستقيموا على التوبة (وكونوا مع الصادقين) يحتمل أن يريد صدق اللسان إذا كانوا هؤلاء الثلاثة قد صدقوا ولم يعتذروا بالكذب فنفعهم الله بذلك ، ويحتمل أن يريد أعم من صدق اللسان وهو الصدق فى الأقوال والأفعال والمقاصد والعزائم ، والمراد بالصادقين المهاجرون لقول الله فى الحشر للفقراء المهاجرين ، إلى قوله : هم الصادقون وقد احتج بها أبو بكر الصديق على الأنصار يوم السقيفة ، فقال نحن الصادقون ، وقد أمركم الله أن تكونوا معنا أى تابعين لنا (ماكان لأهل المدينة) الآية : عتاب لمن تخلف عن غزوة تبوك من أهل يثرب ومن جاورها من قبائل العرب (ولا يرغبوا بأنفسهم عن نفسه) أى لا يمتنعوا من اقتحام المشقات التى تحملها هو صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ذلك بأنهم لا يصيبهم) تعليل لما يجب من عدم التخلف (ظمأ) أى عطش (ولا نصب) أى تعب (ولا مخمصة) أى جوع (ولا يطئون) أى بأرجلهم أو بدوابهم (ولا ينالون من عدو نيلا) عموم فى كل مايصيب الكفار (وما كان المؤمنون لينفروا كافة) قال ابن عباس : هذه الآية فى البعوث إلى الغزو والسرايا : أى لا ينبغى خروج جميع المؤمنين فى السرايا ، وإنما يجب ذلك إذا خرج رسول الله صلى الله عليه وسلم بنفسه ، ولذلك عاتبهم فى الآية المتقدمة على التخلف عنه ، فالآية الأولى فى الخروج معه صلى الله عليه وسلم ، وهذه فى السرايا التى كان يبعثها ، وقيل هى ناسخة لكل ماورد من الأمر بخروج الجميع فهو دليل على أن الجهاد فرض كفاية لا فرض عين ، وقيل هى فى طلب العلم ومعناها : أنه لا تجب الرحلة فى طلب العلم على الجميع ، بل على البعض لأنه فرض كفاية (فلولا نفر من كل فرقة منهم طائفة) تحضيض على نفر بعض المؤمنين للجهاد أو لطلب العلم (ليتفقهوا فى الدين) إن قلنا إن الآية فى الخروج إلى طلب العلم ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تنفر أى ترحل ، وكذلك الضمير فى ينذروا وفى رجعوا : أى ليعلموا قومهم إذا رجعوا إليهم من الرحلة ، وإن قلنا إن الآية فى السرايا ، فالضمير فى يتفقهوا للفرقة التى تقعد فى المدينة ولا تخرج مع السرايا ، وأما الضمير فى رجعوا فهو للفرقة التى خرجت مع السرايا (لعلهم يحذرون) الضمير للقوم (قاتلوا الذين يلونكم من الكفار) أمر بقتال الأقرب فالأقرب على تدريج ، وقيل إنها إشارة إلى قتال الروم بالشام ، لأنهم كانوا أقرب الكفار إلى أرض العرب ، وكانت أرض العرب قد

وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ۝ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَٰذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ۝ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَىٰ رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ ۝ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذَّكَّرُونَ ۝ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ هَلْ يَرَاكُم مِّنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُم بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ۝ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝

عمها الإسلام ، وكانت العراق حينئذ بعيدة (وإذا ماأنزلت سورة فمنهم من يقول أيكم زادته هذه إيمانا) أى من المنافقين من يقول بعضهم لبعض أيكم زادته هذه إيمانا على وجه الاستخفاف بالقرآن كأنهم يقولون أى عجب فى هذا وأى دليل فى هذا (فأماالذين آمنوا فزادتهم إيمانا) وذلك لما يتجدد عندهم من البراهين والأدلة عندنزول كل سورة (وأماالذين فى قلوبهم مرض فزادتهم رجسا إلى رجسهم) المرض عبارة عن الشك والنفاق والمعنى زادتهم رجسا إلى رجسهم أوزادتهم كفراونفاقا إلى كفرهم ونفاقهم (يفتنون فى كل عام) قيل يفتنون أى يختبرون بالأمراض والجوع ، وقيل بالأمر بالجهاد ، واختار ابن عطية أن يكون المعنى يفضحون بما يكشف من سرائرهم (نظر بعضهم إلى بعض) أى تغامزوا وأشار بعضهم إلى بعض على وجه الاستخفاف بالقرآن ثم قال بعضهم لبعض هل يراكم من أحد كأن سبب خوفهم أن ينقل عنهم ذلك وقيل معنى نظر بعضهم إلى بعض على وجه التعجب مما ينزل فى القرآن من كشف أسرارهم ثم قال بعضهم لبعض (هل يراكم من أحد) أى هل رأى أحوالكم فنقلها عنكم أوعلمت من غير نقل فهذا أيضا على وجه التعجب (ثم انصرفوا) يحتمل أن يراد الانصراف بالأبدان ، أو الانصراف بالقلوب عن الهدى (صرف الله قلوبهم) دعاء أو خبر (بأنهم قوم لا يفقهون) تعليل لصرف قلوبهم (لقدجاءكم رسول من أنفسكم) يعنى النبى صلى الله عليه وسلم ، والخطاب للعرب أولقريش خاصة أى من قبيلتكم حيث تعرفون حسبه وصدقه وأمانته أولبنى آدم كلهم: أى من جنسكم وقرئ من أنفسكم بفتح الفاء أى من أشرفكم (عزيز عليه ماعنتم) أى يشق عليه عنتكم ، والعنت : هو مايضرهم فى دينهم أودنياهم وعزيز صفة للرسول ، وماعنتم فاعل بعزيز ، ومامصدرية أوماعنتم مصدر ، وعزيز خبر مقدم والجملة فى موضع الصفة (حريص عليكم) أى حريص على إيمانكم وسعادتكم (بالمؤمنين رؤف رحيم) سماه الله هنا باسمين من أسمائه (فإن تولوا فقل حسبي الله) أى إن أعرضوا عن الإيمان ، فاستعن بالله وتوكل عليه وقيل إن هاتين الآيتين نزلتا بمكة

ســـورة يونس

مكية إلا الآيات ٤٠ و ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ فدنية وآياتها ١٠٩ نزلت بعد الإسراء

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ۞ أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ رَجُلٍ مِّنْهُمْ أَنْ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ قَالَ ٱلْكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ مُّبِينٌ ۞ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَؤُا ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ بِٱلْقِسْطِ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِّنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ ٱلشَّمْسَ ضِيَآءً وَٱلْقَمَرَ نُورًا وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ ٱلسِّنِينَ وَٱلْحِسَابَ مَا خَلَقَ ٱللَّهُ ذَٰلِكَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ يُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۞ إِنَّ فِى ٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ

ســـورة يونس عليه السلام

(الر) تكلمنا في أول البقرة على حروف الهجاء التي في أوائل السور (تلك آيات الكتاب) إشارة إلى ما تضمنته السورة من الآيات، والكتاب هنا القرآن (الحكيم) من الحكمة أو من الحكم أو من الاحكام للأمر أي أحكمه الله (أكان للناس عجبا أن أوحينا إلى رجل منهم أن أنذر الناس) الهمزة للانكار، وعجبا خبر كان، وأن أوحينا اسمها، وأن أنذر: تفسير للوحي، والمراد بالناس هنا كفار قريش وغيرهم، وإلى رجل هنا رسول الله صلى الله عليه وسلم، ومعنى الآية: الرد على من استبعد النبوة أو تعجب من أن يبعث الله رجلا (قدم صدق) أي عمل صالح قدموه، وقال ابن عباس السعادة السابقة لهم في اللوح المحفوظ (قال الكافرون إن هذا لسحر مبين) يعنون ما جاء به من القرآن، وقرئ لساحر يعنون به النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ويحتمل أن يكون كلامهم هذا تفسير لما ذكر قبل من تعجبهم من النبوة، ويكون خبرا مستأنفا (إن ربكم الله) تعريف بالله وصفاته ليعبدوه ولا يشركوا به، وفيه ردّ على من أنكر النبوة كأنه يقول إنما أدعوكم إلى عبادة ربكم الذي خلق السموات والأرض فكيف تنكرون ذلك وهو الحق المبين (ما من شفيع إلا من بعد إذنه) أي ما يشفع إليه أحد إلا بعد أن يأذن هو له في الشفاعة، وفي هذا ردّ على المشركين الذين يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (وعد الله حقا) نصب وعد على المصدر المذكور المؤكد للرجوع إلى الله، ونصب حقا على المصدر المؤكد لوعد الله (إنه يبدأ الخلق ثم يعيده) أي يبدؤه في الدنيا ويعيده بعد الموت في الآخرة، والبداءة دليل على العودة (ليجزي) تعليل للعودة وهي البعثة (بالقسط) أي بعدله في جزائهم أو بقسطهم في أعمالهم الصالحة (هو الذي جعل الشمس ضياء والقمر نورا) وصف أفعال الله وقدرته وحكمته والضياء أعظم من النور (وقدّره منازل) الضمير للقمر والمعنى قدر سيره في منازل (والحساب) يعني حساب الأوقات من الأشهر والأيام والليالي (ما خلق الله ذلك إلا بالحق) أي

وَمَا خَلَقَ اللَّهُ فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَّقُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا وَرَضُوا بِالْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَاطْمَأَنُّوا بِهَا وَالَّذِينَ هُمْ عَنْ ءَايَٰتِنَا غَٰفِلُونَ ۝ أُولَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمُ النَّارُ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُم بِإِيمَٰنِهِمْ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَٰرُ فِى جَنَّٰتِ النَّعِيمِ ۝ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ اللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَٰلَمِينَ ۝ وَلَوْ يُعَجِّلُ اللَّهُ لِلنَّاسِ الشَّرَّ اسْتِعْجَالَهُم بِالْخَيْرِ لَقُضِىَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ فَنَذَرُ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ۝ وَإِذَا مَسَّ الْإِنسَٰنَ الضُّرُّ دَعَانَا لِجَنبِهِۦٓ أَوْ قَاعِدًا أَوْ قَآئِمًا فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُ ضُرَّهُۥ مَرَّ كَأَن لَّمْ يَدْعُنَآ إِلَىٰ ضُرٍّ مَّسَّهُۥ كَذَٰلِكَ زُيِّنَ لِلْمُسْرِفِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ مِن قَبْلِكُمْ لَمَّا ظَلَمُوا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَٰتِ وَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا كَذَٰلِكَ نَجْزِى الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ ۝ ثُمَّ جَعَلْنَٰكُمْ خَلَٰٓئِفَ فِى الْأَرْضِ مِن بَعْدِهِمْ لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ ۝ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَٰتٍ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا ائْتِ بِقُرْءَانٍ غَيْرِ هَٰذَآ أَوْ بَدِّلْهُ قُلْ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أُبَدِّلَهُۥ مِن تِلْقَآءِ نَفْسِىٓ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِنِّىٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّى عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ۝ قُل لَّوْ شَآءَ اللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ فَمَنْ

ماخلقه عبثا ، والإشارة بذلك إلى ماتقدم من المخلوقات (إن الذين لايرجون لقاءنا) قيل معنى يرجون هنا يخافون ، وقيل لايرجون حسن لقاءنا ، فالرجاء على أصله ، وقيل لايرجون : لايتوقعون أصلا ، ولا يخطر ببالهم (ورضوا بالحياة الدنيا) أى قنعوا أن تكون حظهم ونصيبهم (واطمأنوا بها) أى سكنت أنفسهم عن ذكر الانتقال عنها (والذين هم عن آياتنا غافلون) يحتمل أن تكون هى الفرقة الأولى ، فيكون من عطف الصفات ، أو تكون غيرها (يهديهم ربهم بإيمانهم) أى يسددهم بسبب إيمانهم إلى الاستقامة أو يهديهم فى الآخرة إلى طريق الجنة ، وهو أرجح لما بعده (دعواهم فيها) أى دعاؤهم (ولو يعجل الله للناس الشر استعجالهم بالخير لقضى إليهم أجلهم) أى لو يعجل الله للناس الشر كما يحبون تعجيل الخير لهلكوا سريعا ، ونزلت الآية عند قوم فى دعاء الإنسان على نفسه وماله وولده ، وقيل نزلت فى الذين قالوا : إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء (وإذا مس الإنسان الضر دعانا) عتاب فى ضمنه نهى لمن يدعو الله عند الضر ، ويغفل عنه عند العافية (لجنبه) أى مضطجعا ، وروى أنها نزلت فى أبى حذيفة بن المغيرة لمرض كان به (ولقد أهلكنا القرون) إخبار ضمنه وعيد للكفار (لننظر) معناه ليظهر فى الوجود فتقوم عليكم الحجة به (وإذا تتلى عليهم) يعنى على قريش (قل لو شاء الله ماتلوته عليكم) أى ماتلوته إلا بمشيئة الله ، لأنه من عنده وما هو من عندى (ولا أدراكم به) أى ولا أعلمكم به (فقد لبثت فيكم عمرا من قبله) أى بقيت بينكم أربعين سنة قبل البعث ماتكلمت فى هذا حتى جاءنى من عند الله (فمن أظلم ممن افترى على الله كذبا)

أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْمُجْرِمُونَ ۝ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَضُرُّهُمْ وَلَا يَنفَعُهُمْ وَيَقُولُونَ هَٰؤُلَاءِ شُفَعَاؤُنَا عِندَ اللَّهِ قُلْ أَتُنَبِّئُونَ اللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ وَمَا كَانَ النَّاسُ إِلَّا أُمَّةً وَاحِدَةً فَاخْتَلَفُوا وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِيَ بَيْنَهُمْ فِيمَا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ وَيَقُولُونَ لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ فَقُلْ إِنَّمَا الْغَيْبُ لِلَّهِ فَانتَظِرُوا إِنِّي مَعَكُم مِّنَ الْمُنتَظِرِينَ ۝ وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً مِّن بَعْدِ ضَرَّاءَ مَسَّتْهُمْ إِذَا لَهُم مَّكْرٌ فِي آيَاتِنَا قُلِ اللَّهُ أَسْرَعُ مَكْرًا إِنَّ رُسُلَنَا يَكْتُبُونَ مَا تَمْكُرُونَ ۝ هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنتُمْ فِي الْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ ۝ فَلَمَّا أَنجَاهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰ أَنفُسِكُم مَّتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ

تنصل من الافتراء على الله وبيان لبراءته صلى الله عليه وآله وسلم مما نسبوه إليه من الكذب وإشارة إلى كذبهم على الله فى نسبة الشركاء له (أو كذب بآياته) بيان لظلمهم فى تكذيبهم رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم) الضمير فى يعبدون لكفار العرب، ومالا يضرهم ولا ينفعهم هى الأصنام (ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) كانوا يزعمون أن الأصنام تشفع لهم (قل أتنبؤن الله بما لا يعلم) رد عليهم فى قولهم بشفاعة الأصنام، والمعنى أن شفاعة الأصنام ليست بمعلومة لله الذى هو عالم بما فى السموات والأرض، وكل ماليس بمعلوم لله فهو عدم محض ليس بشىء فقوله أتنبئون الله تقرير لهم على وجه التوبيخ والتهكم أى كيف تعلمون الله بما لا يعلم (وما كان الناس إلا أمة واحدة) تقدم فى البقرة فى قوله كان الناس أمة واحدة (ولولا كلمة سبقت) يعنى القضاء (ويقولون لولا أنزل عليه آية) كانوا يطلبون آية من الآيات التى اقترحوها، ولقد نزل عليه آيات عظام فما اعتدوا بها لعنادهم وشدة ضلالهم (قل إنما الغيب لله) إن شاء فعل وإن شاء لم يفعل لا يطلع على ذلك أحد (فانتظروا) أى انتظروا نزول ما اقترحتموه (إنى معكم من المنتظرين) أى منتظر لعقابكم على كفركم (وإذا أذقنا الناس رحمة من بعد ضراء) هذه الآية فى الكفار وتضمنت النهى لمن كان كذلك من غيرهم، والمكر هنا الطعن فى آيات الله وترك شكره، ومكر الله الموصوف بالسرعة هو عقابه لهم سماه مكرا مشاكلة لفعلهم، وتسمية للعقوبة باسم الذنب (وجرين بهم) الضمير المؤنث فى جرين للفلك، والضمير فى بهم للناس، وفيه الخروج من الخطاب إلى الغيبة، وهو يسمى الالتفات، وجواب إذا كنتم: قوله جاءتها ريح عاصف، وقوله دعوا الله، قال الزمخشرى هو بدل من ظنوا، ومعناه دعوا الله وحده وكفروا بمن دونه (متاع الحياة الدنيا) رفع على أنه خبر ابتداء مضمر تقديره: وذلك

ٱلْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلْأَنْعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتْ وَظَنَّ أَهْلُهَآ أَنَّهُمْ قَٰدِرُونَ عَلَيْهَآ أَتَىٰهَآ أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَٰهَا حَصِيدًا كَأَن لَّمْ تَغْنَ بِٱلْأَمْسِ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿﴾ وَٱللَّهُ يَدْعُوٓا۟ إِلَىٰ دَارِ ٱلسَّلَٰمِ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿﴾ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ وَلَا يَرْهَقُ وُجُوهَهُمْ قَتَرٌ وَلَا ذِلَّةٌ أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿﴾ وَٱلَّذِينَ كَسَبُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ جَزَآءُ سَيِّئَةٍۭ بِمِثْلِهَا وَتَرْهَقُهُمْ ذِلَّةٌ مَّا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مِنْ عَاصِمٍ كَأَنَّمَآ أُغْشِيَتْ وُجُوهُهُمْ قِطَعًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مُظْلِمًا أُو۟لَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿﴾ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ مَكَانَكُمْ أَنتُمْ وَشُرَكَآؤُكُمْ فَزَيَّلْنَا بَيْنَهُمْ وَقَالَ شُرَكَآؤُهُم مَّا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ ﴿﴾ فَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ إِن كُنَّا عَنْ عِبَادَتِكُمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿﴾ هُنَالِكَ تَبْلُوا۟ كُلُّ نَفْسٍ مَّآ أَسْلَفَتْ وَرُدُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ مَوْلَىٰهُمُ ٱلْحَقِّ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿﴾ قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أَمَّن يَمْلِكُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَمَن يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَمَن يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ

متاع ، أو يكون خبر إنما بغيكم ، ويختلف الوقف باختلاف الإعراب (إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء) معنى الآية تحقير الدنيا وبيان سرعة فنائها وشبهها بالمطر الذى يخرج به النبات ، ثم تصيب ذلك النبات آفة عند حسنه وكماله (مما يأكل الناس) كالزرع والفواكه (والأنعام) يعنى المرعى التى ترعاها من العشب وغيره (أخذت الأرض زخرفها) تمثيل بالعروس إذا تزينت بالحلى والثياب (قادرون عليها) أى متمكنون من الانتفاع بها (أتاها أمرنا) أى بعض الجوائح كالريح ، والصر، وغير ذلك (فجعلناها حصيدا) أى جعلنا زرعها كالذى حصد وإن كان لم يحصد (كأن لم تغن) كأن لم تنعم (والله يدعو إلى دار السلام) أى إلى الجنة ، وسميت دار السلام أى دار السلامة من العناء والتعب ، وقيل السلام هنا اسم الله : أى يدعو إلى داره (ويهدى من يشاء) ذكر الدعوة إلى الجنة عامة مطلقة والهدايا خاصة بمن يشاء (للذين أحسنوا الحسنى وزيادة) الحسنى الجنة ، والزيادة النظر إلى وجه الله ، وقيل الحسنى جزاء الحسنة بعشر أمثالها والزيادة التضعيف فوق ذلك إلى سبعمائة ، والأول أصح لوروده فى الحديث وكثرة القائلين به (قتر) أى غبار يغير الوجه (والذين كسبوا السيئات) مبتدأ على حذف مضاف تقديره جزاء الذين كسبوا السيئات جزاء سيئة بمثلها أو على تقدير لهم جزاء سيئة بمثلها ، أو معطوفا على الذين أحسنوا ، ويكون جزاء سيئة مبتدأ وخبره بمثلها (مالهم من الله من عاصم) أى لا يعصمهم أحد من عذاب الله (قطعا من الليل مظلما) من قرأ بفتح الطاء فهو جمع قطعة وإعراب مظلما على هذه القراءة : حال من الليل ، ومن قرأ قطعا بإسكان الطاء ، فظلما صفة له أو حال من الليل (مكانكم) تقديره الزموا مكانكم أى لا تبرحوا حتى تنظروا ما يفعل الله بكم (فزيلنا بينهم) أى فرقنا (تبلو كل نفس ما أسلفت) أى تختبر بما قدمت من الأعمال وقرئ تتلو بتاءين بمعنى تتبع أو تقرأه فى المصاحف (قل من يرزقكم) الآية : احتجاج على الكفار بحجج كثيرة واضحة

فَسَيَقُولُونَ ٱللَّهُ فَقُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ ۞ فَذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمُ ٱلْحَقُّ فَمَاذَا بَعْدَ ٱلْحَقِّ إِلَّا ٱلضَّلَٰلُ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ ۞ كَذَٰلِكَ حَقَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ عَلَى ٱلَّذِينَ فَسَقُوٓا۟ أَنَّهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ قُلِ ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ فَأَنَّىٰ تُؤْفَكُونَ ۞ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ۞ وَمَا يَتَّبِعُ أَكْثَرُهُمْ إِلَّا ظَنًّا إِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ۞ وَمَا كَانَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ أَن يُفْتَرَىٰ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ ٱلَّذِى بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِسُورَةٍ مِّثْلِهِۦ وَٱدْعُوا۟ مَنِ ٱسْتَطَعْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۞ بَلْ كَذَّبُوا۟ بِمَا لَمْ يُحِيطُوا۟ بِعِلْمِهِۦ وَلَمَّا يَأْتِهِمْ تَأْوِيلُهُۥ كَذَٰلِكَ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ وَمِنْهُم مَّن يُؤْمِنُ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن لَّا يُؤْمِنُ بِهِۦ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِٱلْمُفْسِدِينَ ۞ وَإِن كَذَّبُوكَ فَقُل لِّى عَمَلِى وَلَكُمْ عَمَلُكُمْ أَنتُم بَرِيٓـُٔونَ مِمَّآ أَعْمَلُ وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا

لامحيص لهم عن الإقرار بها (يخرج الحي من الميت) مذكور فى آل عمران (ربكم الحق) أى الثابت الربوبية بخلاف ماتعبدون من دونه (فماذا بعد الحق إلا الضلال) أى عبادة غير الله ضلال بعد وضوح الحق، وتدل الآية على أنه ليس بين الحق والباطل منزلة فى علم الاعتقادات، إذ الحق فيها فى طرف واحد، بخلاف مسائل الفروع (كذلك حقت كلمت ربك على الذين فسقوا) المعنى كما حق الحق فى الاعتقادات كذلك حقت كلمة ربك على الذين عتوا وتمردوا فى كفرهم أنهم لايؤمنون، والكلمات يراد بها القدر والقضاء (قل هل من شركائكم من يبدؤا الخلق ثم يعيده) الآية: احتجاج على الكفار، فإن قيل: كيف يحتج عليهم بإعادة الخلق، وهم لايعترفون بها؟ فالجواب، أنهم معترفون أن شركاءهم لا يقدرون على الابتداء ولا على الإعادة، وفى ذلك إبطال لربوبيتهم، وأيضاً فوضعت الإعادة موضع المتفق عليه لظهور برهانها (أمن لايهدى) بتشديد الدال معناه لايهتدى فى نفسه، فكيف يهدى غيره، وقرئ بالتخفيف بمعنى يهدى غيره والقراءة الأولى أبلغ فى الاحتجاج (فما لكم) مااستفهامية معناها تقرير وتوبيخ ولكم خبرها ويوقف عليه (كيف تحكمون) أى تحكمون بالباطل فى عبادتكم لغير الله (ومايتبع أكثرهم إلا ظنا) أى غير تحقيق، لأنه لايستند إلى برهان (إن الظن لايغنى من الحق شيئا) ذلك فى الاعتقادات إذ المطلوب فيها اليقين بخلاف الفروع (تصديق الذى بين يديه) مذكور فى البقرة (أم يقولون) أم هنا بمعنى بل والهمزة (فأتوا بسورة) تعجيز لهم وإقامة حجة عليهم (من استطعتم) يعنى من شركائكم وغيرهم من الجن والإنس (من دون الله) أى غير الله (بل كذبوا بما لم يحيطوا بعلمه) أى سارعوا إلى التكذيب بما لم يفهموه ولم يعلموا تفسيره (ولما يأتهم تأويله) أى علم تأويله ويعنى بتأويله الوعيد الذى لهم فيه (ومنهم من يؤمن به) الآية: فيها قولان أحدهما إخبار بما يكون منهم فى المستقبل وأن بعضهم يؤمن وبعضهم يتمادى على الكفر، والآخر أنها إخبار عن حالهم أن منهم من هو مؤمن به ويكتم إيمانه، ومنهم من هو مكذب (فقل لى عملى) الآية: موادعة منسوخة بالقتال (من يستمعون إليك)

تعملون * ومنهم من يستمعون إليك أفأنت تسمع الصم ولو كانوا لا يعقلون * ومنهم من ينظر إليك أفأنت تهدى العمى ولو كانوا لا يبصرون * إن الله لا يظلم الناس شيئا ولكن الناس أنفسهم يظلمون * ويوم يحشرهم كأن لم يلبثوا إلا ساعة من النهار يتعارفون بينهم قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله وما كانوا مهتدين * وإما نرينك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فإلينا مرجعهم ثم الله شهيد على ما يفعلون * ولكل أمة رسول فإذا جاء رسولهم قضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ويقولون متى هذا الوعد إن كنتم صادقين * قل لا أملك لنفسى ضرا ولا نفعا إلا ما شاء الله لكل أمة أجل إذا جاء أجلهم فلا يستأخرون ساعة ولا يستقدمون * قل أرأيتم إن أتاكم عذابه بياتا أو نهارا ماذا يستعجل منه المجرمون * أثم إذا ما وقع آمنتم به آلآن وقد كنتم به تستعجلون * ثم قيل للذين ظلموا ذوقوا عذاب الخلد هل تجزون إلا بما كنتم تكسبون * ويستنبئونك أحق هو قل إى وربى إنه لحق وما أنتم بمعجزين * ولو أن لكل نفس ظلمت ما فى الأرض لافتدت به وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضى بينهم بالقسط وهم لا يظلمون * ألا إن لله ما فى السموات والأرض ألا إن وعد الله حق ولكن أكثرهم لا يعلمون * هو يحيى ويميت وإليه ترجعون * يا أيها الناس قد جاءتكم موعظة من ربكم وشفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين *

أى يستمعون القرآن ، وجمع الضمير بالحمل على معنى من (أفأنت تسمع الصم) المعنى أتريد أن تسمع الصم وذلك لا يكون . لا سيما إذا انضاف إلى الصمم عدم العقل (أفأنت تهدى العمى) المعنى أتريد أن تهدى العمى ، وذلك لا يكون لا سيما إذا انضاف إلى عدم البصر عمى البصيرة ، والصمم والعمى عبارة عن قلة فهمهم (لم يلبثوا إلا ساعة) تقليل لمدة بقائهم فى الدنيا أو فى القبور (ويتعارفون بينهم) يعنى يوم الحشر فهو على هذا حال من الضمير فى يلبثوا (وإما نرينك) شرط جوابه وإلينا مرجعهم. والمعنى إن أريناك بعض عذابهم فى الدنيا فذلك وإن توفيناك قبل ذلك فإلينا مرجعهم (ثم الله شهيد) ذكرت ثم لترتيب الأخبار، لا لترتيب الأمر، قاله ابن عطية، وقال الزمخشرى: ذكرت الشهادة والمراد مقتضاها وهو العقاب ، فالترتيب على هذا صحيح (فإذا جاء رسولهم) قيل مجيئه فى الآخرة للفصل ، وقيل مجيئه فى الدنيا وبعثه (ويقولون متى هذا الوعد) كلام فيه استبعاد واستخفاف (بياتا) أى بالليل (ماذا يستعجل منه المجرمون) المعنى أى شىء يستعجلون من العذاب وهو لا طاقة لكم به ، وقوله ماذا جواب إن أتاكم، والجملة متعلقة بأرأيتم (أثم إذا ما وقع آمنتم به) دخلت همزة التقرير على ثم العاطفة ، والمعنى إذا وقع العذاب وعاينتموه آمنتم به الآن، وذلك لا ينفعكم لأنكم كنتم تستعجلونه ومكذبين به (ويستنبئونك أحق هو) أى يسألونك هل الوعيد حق أو هل الشرع والدين حق، والأول أرجح، لقوله وما أنتم بمعجزين : أى لا تفوتون من الوعيد (قل إى) أى نعم (ظلمت) صفة لنفس أى لو ملك الظالم الدنيا لافتدى بها من عذاب الآخرة (وأسروا الندامة) أى أخفوها

قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝ قُلْ أَرَءَيْتُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ لَكُم مِّن رِّزْقٍ فَجَعَلْتُم مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَٰلًا قُلْ ءَآللَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَمْ عَلَى ٱللَّهِ تَفْتَرُونَ ۝ وَمَا ظَنُّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ ۝ وَمَا تَكُونُ فِى شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِن قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ۝ أَلَآ إِنَّ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۝ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ۝ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ

فى نفوسهم ، وقيل أظهروها (موعظة من ربكم) يعنى القرآن (وشفاء لما فى الصدور) أى يشفى مافيها من الجهل والشك (قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا) يتعلق بفضل بقوله فليفرحوا ، وكرر الباء فى قوله فبذلك تأكيدا والمعنى الأمر أن يفرحوا بفضل الله وبرحمته لا بغيرهما ، والفضل والرحمة عموم ، وقد قيل الفضل الإسلام ، والرحمة القرآن (هو خير مما يجمعون) أى فضل الله ورحمته خير مما يجمعون من حطام الدنيا (قل أرأيتم ما أنزل الله لكم من رزق) الآية : مخاطبة لكفار العرب الذين حرموا البحيرة والسائبة وغير ذلك (قل آلله أذن لكم) متعلق بأرأيتم ، وكرر قل للتأكيد ، ولما قسم الأمر إلى إذن الله لهم وافترائهم ثبت افتراؤهم ، لأنهم معترفون أن الله لم يأذن لهم فى ذلك (وما ظن) وعيد للذين يفترون (يوم القيامة) ظرف منصوب بالظن ، والمعنى : أى شىء يظنون أن يفعل بهم فى ذلك اليوم (وما تكون فى شأن) الشأن الأمر ، والخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم ، والمراد هو وجميع الخلق ، ولذلك قال فى آخرها : وما تعملون من عمل بمخاطبة الجماعة ، ومعنى الآية إحاطة علم الله بكل شىء (وما تتلوا منه من قرآن) الضمير عائد على القرآن وإن لم يتقدم ذكره لدلالة مابعده عليه ، كأنه قال : ماتتلوا شيئا من القرآن ، وقيل يعود على الشأن ، والأول أرجح ، لأن الإضمار قبل الذكر تفخيم للشىء (إذ تفيضون فيه) يقال أفاض الرجل فى الأمر إذا أخذ فيه بجد (وما يعزب) مايغيب (مثقال ذرة) وزنها والذرة صغار النمل ، قال الزمخشرى ، إن قلت لم قدمت الأرض على السماء بخلاف سورة سبأ ، فالجواب أن السماء تقدمت فى سبأ لأن حقها التقديم ، وقدمت الأرض هنا لما ذكرت الشهادة على أهل الأرض (ولا أصغر من ذلك ولا أكبر) من قرأهما بالفتح فهو عطف على لفظ مثقال ، ومن قرأهما بالرفع فهو عطف على موضعه أو رفع بالابتداء أولياء الله اختلف الناس فى معنى الولى اختلافا كثيرا ، والحق فيه مافسره الله بعد هذا بقوله . الذين آمنوا وكانوا يتقون ، فمن جمع بين الإيمان والتقوى فهو الولى ، وإعراب الذين آمنوا صفة للأولياء ، أو منصوب على التخصيص ، أو مرفوع بإضمارهم الذين ولا يكون ابتداء مستأنفا لئلا ينقطع مما قبله (لهم البشرى فى الحيوة الدنيا وفى الآخرة) أما بشرى الآخرة فهى الجنة اتفاقا ، وأما بشرى الدنيا فهى الرؤيا الصالحة يراها الرجل الصالح أو ترى له ، روى ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل محبة الناس للرجل الصالح ، وقيل مابشر به فى القرآن من الثواب (لا تبديل لكلمات الله)

لِكَلِمَـٰتِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ۞ وَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ ٱلْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ۞ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُرَكَآءَ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۞ هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ لِتَسْكُنُوا۟ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبْصِرًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۞ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا سُبْحَـٰنَهُۥ هُوَ ٱلْغَنِىُّ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنْ عِندَكُم مِّن سُلْطَـٰنٍۭ بِهَـٰذَآ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۞ قُلْ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ۞ مَتَـٰعٌ فِى ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ ثُمَّ نُذِيقُهُمُ ٱلْعَذَابَ ٱلشَّدِيدَ بِمَا كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ ۞ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ۞ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِىَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ۞ فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَعَلْنَـٰهُمْ خَلَـٰٓئِفَ وَأَغْرَقْنَا ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱنظُرْ

أى لا تغيير لأقواله ولا خلف لمواعيده ، وقد استدل ابن عمر على أن القرآن لا يقدر أحد أن يبدله (ولا يحزنك قولهم) يعنى مايقوله الكفار من التكذيب (إن العزة لله) إخبار فى ضمنه وعد للنبى صلى الله عليه وسلم بالنصر ، وتسلية له (وما يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء إن يتبعون إلا الظن) فيها وجهان : أحدهما أن تكون مانافية وأوجبت بقوله إلا الظن وكرر إن يتبعون توكيدا ، والمعنى مايتبع الكفار إلا الظن ، والوجه الثانى أن تكون ما استفهامية ، ويتم الكلام عند قوله شركاء ، والمعنى أى شىء يتبعون على وجه التحقير لما يتبعونه ، ثم ابتدأ الإخبار بقوله إن يتبعون إلا الظن ، والعامل فى شركاء على الوجهين يدعون (لتسكنوا فيه) من السكون وهو ضد الحركة (والنهار مبصرا) أى مضيئا تبصرون فيه الأشياء (قالوا اتخذ الله ولدا) الضمير للنصارى ولمن قال إن الملائكة بنات الله (هو الغنىّ) وصف يقتضى نفى الولد والرد على من نسبه إليه ، لأن الغنى المطلق لا يفتقر إلى اتخاذ ولد (له مافى السموات ومافى الأرض) بيان وتأكيد للغنى ، وباقى الآية توبيخ للكفار ووعيد لهم (متاع فى الدنيا) تقديره لهم متاع فى الدنيا (نوح) روى أن اسمه عبد الغفار ، وإنما سمى نوحا لكثرة نوحه على نفسه من خوف الله (كبر عليكم) أى صعب وشق (مقامى) أى قيامى لوعظكم والكلام معكم ، وقيل معناه كانى يعنى نفسه ، كقولك فعلت ذلك لمكان فلان (وأجمعوا) بقطع الهمزة من أجمع الأمر إذا عزم عليه ، وقرئ بألف وصل من الجمع (وشركاؤكم) أى ماتعبدون من دون الله وإعرابه مفعول معه أو مفعول بفعل مضمر تقديره ادعوا شركاءكم ، وهذا على القراءة بقطع الهمزة وأما على الوصل فهو معطوف (ثم لايكن أمركم عليكم غمة) أى لا يكون قصدكم إلى هلاكى مستورا ولكن مكشوفا تجاهروننى به وهو من قولك غم الهلال إذا لم يظهر ، والمراد بقوله أمركم فى الموضعين إهلاككم لنوح عليه السلام ، أى لا تقصروا فى إهلاكى إن قدرتم على ذلك (ثم اقضوا إلىّ) أى انفذوا فيما تريدون . ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه إن صعب عليكم دعائى لكم إلى الله فاصنعوا بى غاية ماتريدون وإنى لا أبالى بكم لتوكلى

كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلْمُنذَرِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَمَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِن قَبْلُ كَذَٰلِكَ نَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلْمُعْتَدِينَ * ثُمَّ بَعَثْنَا مِن بَعْدِهِم مُّوسَىٰ وَهَـٰرُونَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ بِـَٔايَـٰتِنَا فَٱسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُّجْرِمِينَ * فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوٓا إِنَّ هَـٰذَا لَسِحْرٌ مُّبِينٌ * قَالَ مُوسَىٰٓ أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَكُمْ أَسِحْرٌ هَـٰذَا وَلَا يُفْلِحُ ٱلسَّـٰحِرُونَ * قَالُوٓا أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا نَحْنُ لَكُمَا بِمُؤْمِنِينَ * وَقَالَ فِرْعَوْنُ ٱئْتُونِى بِكُلِّ سَـٰحِرٍ عَلِيمٍ * فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰٓ أَلْقُوا مَآ أَنتُم مُّلْقُونَ * فَلَمَّآ أَلْقَوْا قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئْتُم بِهِ ٱلسِّحْرُ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبْطِلُهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ ٱلْمُفْسِدِينَ * وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَـٰتِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُجْرِمُونَ * فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ وَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَالٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْمُسْرِفِينَ * وَقَالَ مُوسَىٰ يَـٰقَوْمِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلُوٓا إِن كُنتُم مُّسْلِمِينَ * فَقَالُوا عَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْنَا

على الله وثقى به سبحانه (وجعلناهم خلائف) أى يخلفون من هلك بالغرق (ثم بعثنا من بعده رسلا) يعنى هودا وصالحا وإبراهيم وغيرهم (أسحر هذا) قيل إنه معمول أتقولون ، فهو من كلام قوم فرعون وهذا ضعيف لأنهم كانوا يصممون على أنه سحر لقولهم : إن هذا السحر مبين ، فكيف يستفهمون عنه ، وقيل إنه من كلام موسى تقريرا أو توبيخا لهم فيوقف على قوله أتقولون للحق لما جاءكم ، ويكون معمول أتقولون محذوف تقديره أتقولون للحق لما جاءكم إنه لسحر ويدل على هذا المحذوف ما حكى عنهم من قولهم إن هذا لسحر مبين ، فلما تم الكلام ابتدأ موسى توبيخهم بقوله : أسحر هذا ولا يفلح الساحرون ، وهذا هو اختيار شيخنا الأستاذ أبى جعفر ابن الزبير رحمه الله (لتلفتنا) أى لتصرفنا وتردنا عن دين آبائنا (وتكون لكما الكبرياء) أى الملك ، والخطاب لموسى وأخيه عليهما السلام (ماجئتم به السحر) ما موصولة مرفوعة بالابتداء والسحر الخبر وقرئ آلسحر بالاستفهام فما على هذا استفهامية ، والسحر خبر ابتداء مضمر (ويحق الله الحق) يحتمل أن يكون من كلام موسى أو إخبار من الله تعالى (فما آمن لموسى إلا ذرية من قومه) الضمير عائد على موسى ومعنى الذرية شبان وفتيان من بنى إسرائيل آمنوا به على خوف من فرعون ، وقيل إن الضمير عائد على فرعون ، فالذرية على هذا من قوم فرعون ، وروى فى هذا أنها امرأة فرعون وخازنته وامرأة خازنه ، وهذا بعيد ، لأن هؤلاء لا يقال لهم ذرية ، ولأن الضمير ينبغى أن يعود على أقرب مذكور (على خوف من فرعون وملئهم) الضمير يعود على الذرية أى آمنت الذرية من بنى إسرائيل على خوف من فرعون وملإ من بنى إسرائيل لأن الأكابر من بنى إسرائيل كانوا يمنعون أولادهم من الإيمان خوفا من فرعون ، وقيل يعود على فرعون بمعنى آل فرعون كما يقال ربيعة ومضر أو لأنه ذو أصحاب يأتمرون له (أن يفتنهم) بدل من فرعون (لعال فى الأرض) أى

ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين ٭ ونجنا برحمتك من القوم الكافرين ٭ وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتا واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين ٭ وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالا في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم ٭ قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتبعان سبيل الذين لا يعلمون ٭ وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغيا وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنوا إسرائيل وأنا من المسلمين ٭ آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين ٭ فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيرا من الناس عن آياتنا لغافلون ٭ ولقد بوأنا بني إسرائيل مبوأ صدق ورزقناهم من الطيبات فما اختلفوا حتى جاءهم العلم إن ربك يقضي بينهم يوم القيامة فيما كانوا فيه يختلفون ٭ فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك فسئل

متكبر قاهر (ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين) أى لا تمكنهم من عذابنا فيقولون لو كان هؤلاء على الحق ماعذبناهم فيفتنون بذلك (أن تبوآ لقومكما بمصر بيوتاً) أى اتخذ لهم بيوتاً للصلاة والعبادة ، وقيل إنه أراد الإسكندرية (واجعلوا بيوتكم قبلة) أى مساجد وقيل موجهة إلى جهة القبلة ، فان قيل لم خص موسى وهارون بالخطاب فى قوله أن تبوآ . ثم خاطب معهما بنو إسرائيل فى قوله واجعلوا ، فالجواب أن قوله تبوآ من الأمور التى يختص بها الأنبياء وأولوا الأمر (وبشر المؤمنين) أمر لموسى عليه السلام ، وقيل لمحمد صلى الله عليه وسلم (ربنا ليضلوا عن سبيلك) دعاء بلفظ الأمر ، وقيل اللام لام كى وتتعلق بقوله آتيت (اطمس على أموالهم) أى أهلكها (واشدد على قلوبهم) أى اجعلها شديدة القسوة (فلا يؤمنوا) جواب للدعاء الذى هو اشدد ، ودعاء بلفظ النفى (قال قد أجيبت دعوتكما) الخطاب لموسى وهارون على أنه لم يذكر الدعاء إلا عن موسى وحده لكن كان موسى يدعو وهارون يؤمن على دعائه ، (فاستقيما) أى اثبتا على ما أنتما عليه من الدعوة إلى الله (فأتبعهم فرعون) أى لحقهم يقال تبعه حتى أتبعه ، هكذا قال الزمخشرى ، وقال ابن عطية أتبع بمعنى تبع ، وأما اتبع بالتشديد فهو طلب الأثر سواء أدرك أو لم يدرك (لا إله إلا الذى آمنت به بنو إسرائيل) يعنى الله عز وجل ، وفى لفظ فرعون بجهلة وتعنت لأنه لم يصرح باسم الله (آلآن وقد عصيت قبل) أى قيل له أتؤمن الساعة فى وقت الاضطرار وذلك لا يقبل منك (ننجيك)أى نبعدك مما جرى لقومك من الوصول إلى قعر البحر، وقيل نلقيك على نجوة من الأرض أى على موضع مرتفع (ببدنك)أى بجسدك جسدا بدون روح، وقيل بدرعك، وكانت له درع من ذهب يعرف بها والمحذوف فى موضع الحال والباء للمصاحبة (لتكون لمن خلفك آية) أى لمن وراءك آية وهم بنو إسرائيل (مبوأ صدق) منزلا حسناً وهو مصر والشام (فما اختلفوا حتى جاءهم العلم) قيل يريد اختلافهم فى دينهم وقيل اختلافهم فى أمر محمد صلى

ٱلَّذِينَ يَقْرَءُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكَ لَقَدْ جَآءَكَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ ﴿﴾ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿﴾ إِنَّ ٱلَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ وَلَوْ جَآءَتْهُمْ كُلُّ ءَايَةٍ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿﴾ فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿﴾ وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَءَامَنَ مَن فِى ٱلْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَمِيعًا أَفَأَنتَ تُكْرِهُ ٱلنَّاسَ حَتَّىٰ يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ﴿﴾ وَمَا كَانَ لِنَفْسٍ أَن تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ ﴿﴾ قُلِ ٱنظُرُوا۟ مَاذَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا تُغْنِى ٱلْءَايَٰتُ وَٱلنُّذُرُ عَن قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿﴾ فَهَلْ يَنتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِهِمْ قُلْ فَٱنتَظِرُوٓا۟ إِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُنتَظِرِينَ ﴿﴾ ثُمَّ نُنَجِّى رُسُلَنَا

الله عليه وسلم (فإن كنت فى شك) قيل الخطاب للنبى صلى الله عليه و آله وسلم ، والمراد غيره ، وقيل ذلك كقول القائل لابنه : إن كنت ابنى فبرنى مع أنه لايشك أنه ابنه ، ولكن من شأن الشك أن يزول بسؤال أهل العلم، فأمره بسؤالهم ، قال ابن عباس لم يشك النبى صلى الله عليه وسلم ولم يسأل ، وقال الزمخشرى إن ذلك على وجه الفرض والتقدير ، أى إن فرضت أن تقع فى شك فاسأل (مما أنزلنا إليك) قيل يعنى القرآن أو الشرع بجملته ، وهذا أظهر ، وقيل يعنى ماتقدم من أن بنى إسرائيل مااختلفوا إلا من بعد ماجاءهم الحق (فاسئل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك) يعنى الذين يقرؤن التوراة والانجيل ، قال السهيلى هم عبد الله بن سلام ومخيرق ومن أسلم من الأحبار ، وهذا بعيد ، لأن الآية مكية ، وإنما أسلم هؤلاء بالمدينة ، فحمل الآية على الإطلاق أولى (فلا تكونن) خطاب للنبى صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (حقت كلمة ربك) أى قضى أنهم لايؤمنون (فلولا كانت قرية آمنت) لولا هنا للتحضيض بمعنى هلا ، وقرئ فى الشاذ هلا ، والمعنى هلا كانت قرية من القرى المتقدمة آمنت قبل نزول العذاب فنفعها إيمانها : إذ لاينفع الإيمان بعد معاينة العذاب كما جرى لفرعون (إلا قوم يونس) استثناء من القرى ، لأن المراد أهلها ، وهو استثناء منقطع بمعنى : ولكن قوم يونس لما آمنوا كشفنا عنهم العذاب ، ويجوز أن يكون متصلا ، والجملة فى معنى النفى كأنه قال ما آمنت قرية إلا قوم يونس ، وروى فى قصصهم أن يونس عليه السلام أنذرهم بالعذاب ، فلما رأوه قد خرج من بين أظهرهم علموا أن العذاب ينزل بهم فتابوا وتضرعوا إلى الله تعالى فرفعه عنهم (ومتعناهم الى حين) يريد إلى آجالهم المكتوبة فى الأزل (أفأنت تكره الناس حتى يكونوا مؤمنين) الهمزة للإنكار أى أتريد أنت أن تكره الناس فى إدخال الإيمان فى قلوبهم وتضطرهم إلى ذلك ، وليس ذلك إليك إنما هو بيد الله ، وقيل المعنى أفأنت تكره الناس بالقتال حتى يؤمنوا أو كان هذا فى صدر الإسلام قبل الأمر بالجهاد ثم نسخت بالسيف (انظروا) أمر بالاعتبار والنظر فى آيات الله (وماتغنى الآيات والنذر عن قوم لايؤمنون) يعنى من قضى الله عليه أنه لايؤمن ، وما نافية أو استفهامية يراد بها النفى (فهل ينتظرون) الآية : تهديد (حقا علينا) اعتراض بين العامل

وَالَّذِينَ ءَامَنُوا كَذَٰلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنجِ الْمُؤْمِنِينَ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِى شَكٍّ مِّن دِينِى فَلَآ أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَلَـٰكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِى يَتَوَفَّىٰكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ * وَأَنْ أَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ * وَلَا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِن فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِّنَ الظَّـٰلِمِينَ * وَإِن يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِن يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَآدَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ * قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَآءَكُمُ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِى لِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَآ أَنَا عَلَيْكُم بِوَكِيلٍ * وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّىٰ يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَـٰكِمِينَ *

سورة هود

مكية إلا الآيات ١٢ و ١٧ و ١١٤ فمدنية وآياتها ١٢٣ نزلت بعد سورة يونس

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ * الٓر كِتَـٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَـٰتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ * أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا اللَّهَ إِنَّنِى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ * وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَـٰعًا حَسَنًا إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَيُؤْتِ كُلَّ ذِى فَضْلٍ فَضْلَهُ وَإِن تَوَلَّوْا فَإِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ * إِلَى اللَّهِ مَرْجِعُكُمْ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ *

ومعموله وهما كذلك ، وننج المؤمنين (وأن أقم وجهك) الوجه هنا بمعنى القصد والدين (وما أنا عليكم بوكيل) منسوخ بالقتال ، وكذلك قوله واصبر حتى يحكم الله وعد بالنصر والظهور على الكفار

سورة هود عليه السلام

(الر) (كتاب) يعنى القرآن ، وهو خبر ابتداء مضمر (أحكمت) أى أتقنت فهو من الإحكام للشىء (ثم فصلت) قيل معناه بينت وقيل قطعت سورة سورة ، وثم هنا ليست للترتيب فى الزمان ، وإنما هى لترتيب الأحوال : كقولك فلان كريم الأصل ثم كريم الفعل (ألا تعبدوا إلا الله) أن مفسرة وقيل مصدرية فى موضع مفعول من أجله ، أو بدل من الآيات أو يكون كلاما مستأنفا منقطعا عما قبله على لسان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، ويدل على ذلك قوله إننى لكم منه نذير وبشير (وأن استغفروا ربكم ثم توبوا إليه) أى استغفروه مما تقدم من الشرك والمعاصى ، ثم ارجعوا إليه بالطاعة والاستقامة عليها (يمتعكم متاعا حسنا) أى ينفعكم فى الدنيا بالأرزاق ، والنعم ، والخيرات ، وقيل هو طيب عيش المؤمن برجائه فى الله ورضاه بقضائه ، لأن الكافر قد يتمتع فى الدنيا بالأرزاق (إلى أجل مسمى) يعنى إلى الموت (ويؤت كل ذى فضل فضله) أى يعطى فى الآخرة كل ذى عمل جزاء عمله ، والضمير يحتمل أن يعود على الله تعالى أو على ذى فضل (وإن تولوا) خطاب

أَلَا إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ * وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقَرَّهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلٌّ فِي كِتَـٰبٍ مُّبِينٍ ○ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَآءِ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَلَئِن قُلْتَ إِنَّكُم مَّبْعُوثُونَ مِن بَعْدِ الْمَوْتِ لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوٓا إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ * وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَىٰٓ أُمَّةٍ مَّعْدُودَةٍ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحْبِسُهُ أَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ○ وَلَئِنْ أَذَقْنَا الْإِنسَـٰنَ مِنَّا رَحْمَةً ثُمَّ نَزَعْنَـٰهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَـُٔوسٌ كَفُورٌ * وَلَئِنْ أَذَقْنَـٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ○ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّـٰلِحَـٰتِ أُولَـٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ * فَلَعَلَّكَ تَارِكٌ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌ بِهِ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُ مَلَكٌ إِنَّمَآ

للناس وهو فعل مستقبل حذفت منه إحدى التاءين (عذاب يوم كبير) يعني يوم القيامة أوغيره كيوم بدر (ألا إنهم يثنون صدورهم ليستخفوا منه) قيل كان الكفار إذا لقيهم رسول الله صلى الله عليه وسلم يردون إليه ظهورهم لئلا يرونه من شدة البغض والعداوة ، والضمير فى منه على هذا يعود إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل إن ذلك عبارة عما تنطوى عليه صدورهم من البغض والغل ، وقيل هو عبارة عن إعراضهم لأن من أعرض عن شيء انثنى عنه وانحرف والضمير فى منه على هذا يعود على الله تعالى أى يريدون أن يستخفوا من الله تعالى فلا يطلع رسوله ولا المؤمنون على ما فى قلوبهم (ألا حين يستغشون ثيابهم) أى يجعلونها أغشية وأغطية كراهية لاستماع القرآن ، والعامل فى حين يعلم مايسرون ، وقيل المعنى يريدون أن يستخفوا حين يستغشون ثيابهم ، فيوقف عليه على هذا ، ويكون يعلم استئنافا (وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها) وعد وضمان صادق ، فإن قيل : كيف قال على الله بلفظ الوجوب ، وإنما هو تفضل ، لأن الله لايجب عليه شيء ؟ فالجواب : أنه ذكره كذلك تأكيدا فى الضمان ، لأنه لما وعد به صار واقعا لامحالة لأنه لايخلف الميعاد (ويعلم مستقرها ومستودعها) المستودع صلب الأب والمستقر بطن المرأة وقيل المستقر المكان فى الدنيا والمستودع القبر (وكان عرشه على الماء) دليل على أن العرش والماء كانا موجودين قبل خلق السموات والأرض (ليبلوكم) أى ليختبركم اختبارا تقوم به الحجة عليكم ، لأنه كان عالما بأعمالكم قبل خلقكم ويتعلق ليبلوكم بخلق (سحر مبين) يحتمل أن يشيروا إلى القرآن ، أو إلى القول بالبعث يعنون أنه باطل كبطلان السحر (ولئن أخرنا عنهم العذاب) يحتمل أن يريد عذاب الدنيا أو الآخرة (إلى أمة معدودة) أى إلى وقت محدود (ليقولن مايحبسه) أى أى شيء يمنع هذا العذاب الموعود به ، وقولهم ذلك على وجه التكذيب والاستخفاف (ولئن أذقنا) الآية : ذم لمن يقنط عند الشدائد ، ولمن يفتخر ويتكبر عند النعم ، والرحمة هنا والنعماء يراد بهما الخيرات الدنيوية ، والإنسان عام يراد به الجنس والاستثناء على هذا متصل ، وقيل المراد بالإنسان الكافر فالاستثناء منقطع (فلعلك تارك بعض مايوحى إليك)

أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ * أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوَرٍ مِثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ * فَإِلَّمْ يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ بِعِلْمِ اللَّهِ وَأَنْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَهَلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ * مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ * أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِنْ

الآية: كان الكفار يقترحون على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يأتى بكنز أو يأتى معه ملك، وكانوا يستهزءون بالقرآن فقال الله تعالى له: فلعلك تارك أن تلقى إليهم بعض ما أنزل إليك ويثقل عليك تبليغهم من أجل استهزائهم، أو لعلك يضيق صدرك من أجل أن يقولوا لولا أنزل عليه كنز أو جاء معه ملك، والمقصود بالآية تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن قولهم حتى يبلغ الرسالة، ولا يبالى بهم، وإنما قال ضائق، ولم يقل ضيق ليدل على اتساع صدره عليه السلام وقلة ضيقه (إنما أنت نذير) أى ليس عليك إلا الإنذار والتبليغ والله هو الوكيل الذى يقضى بما شاء من إيمانهم أو كفرهم (أم يقولون افتراه) أم هنا منقطعة بمعنى بل والهمزة والضمير فى افتراه لما يوحى إليه (قل فأتوا بعشر سور مثله) تحداهم أولا بعشر سور فلما بان عجزهم تحداهم بسورة واحدة فقال فأتوا بسورة من مثله، والمماثلة المطلوبة فى فصاحته وعلومه (مفتريات) صفة لعشر سور، وذلك مقابلة لقولهم افتراه، وليست المماثلة فى الافتراء (وادعوا من استطعتم) أى استعينوا بمن شئتم (فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله) فيها وجهان: أحدهما أن تكون مخاطبة من الله للنبى صلى الله عليه وآله وسلم وللمؤمنين: أى إن لم يستجب الكفار إلى ما دعوتموهم إليه من معارضة القرآن فاعلموا أنه من عند الله، وهذا على معنى دوموا على علمكم بذلك أو زيدوا يقينا به، والثانى أن يكون خطابا من النبى صلى الله عليه وآله وسلم للكفار أى إن لم يستجب من تدعونه من دون الله إلى شىء من المعارضة ولا قدر جميعكم عليه؛ فاعلموا أنه من عند الله، وهذا أقوى من الأول لقوله: فهل أنتم مسلمون، ومعنى بعلم الله: بإذنه، أو بما لا يعلمه إلا الله من الغيوب وقوله فهل أنتم مسلمون لفظه استفهام، ومعناه استدعاء إلى الإسلام وإلزام للكفار أن يسلموا لما قام الدليل على صحة الإسلام لعجزهم عن الإتيان بمثل القرآن (من كان يريد الحياة الدنيا وزينتها) الآية: نزلت فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يريدون الآخرة إذ هم لا يصدقون بها، وقيل نزلت فى أهل الربا من المؤمنين الذين يريدون بأعمالهم الدنيا حسبما ورد فى الحديث فى القارئ والمنفق والمجاهد الذين أرادوا أن يقال لهم ذلك إنهم أول من تسعر بهم النار، والأول أرجح لتقدم ذكر الكفار المناقضين للقرآن وإنما قصد بهذه الآية أولئك (نوف إليهم أعمالهم فيها) نوف إليهم أجور أعمالهم بما يغبطهم فيها من الصحة والرزق، والضمير فى فيها يعود على الدنيا والمجرور متعلق بقوله نوف أو بأعمالهم (وحبط ما صنعوا فيها) الضمير فى فيها هنا يعود على الآخرة إن تعلق المجرور بحبط ويعود على الدنيا إن تعلق بصنعوا (أفمن كان على بينة من ربه) الآية معادلة لما تقدم، والمعنى أفمن كان يريد الحياة الدنيا كمن كان على بينة من ربه، والمراد بمن كان على بينة من ربه: النبى صلى الله عليه وسلم والمؤمنون لقوله بعد ذلك: أولئك يؤمنون به، ومعنى البينة البرهان العقلى والأمر

رَبِّهِ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ وَمِن قَبْلِهِ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً أُولَٰٓئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَمَن يَكْفُرْ بِهِ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّنْهُ إِنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۞ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أُولَٰٓئِكَ يُعْرَضُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَٰدُ هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ۞ ٱلَّذِينَ يَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ لَمْ يَكُونُوا مُعْجِزِينَ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِنْ أَوْلِيَآءَ يُضَٰعَفُ لَهُمُ ٱلْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ ٱلسَّمْعَ وَمَا كَانُوا يُبْصِرُونَ ۞ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْأَخْسَرُونَ ۞ إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَأَخْبَتُوٓا إِلَىٰ رَبِّهِمْ أُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ۞ مَثَلُ ٱلْفَرِيقَيْنِ كَٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْأَصَمِّ وَٱلْبَصِيرِ وَٱلسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِ إِنِّى لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ۞ أَن لَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ أَلِيمٍ ۞ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَوْمِهِ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا

الجلى (ويتلوه شاهد منه) الضمير فى يتلوه للبرهان وهو البينة ولمن كان على بينة من ربه، والضمير فى منه للرب تعالى، ويتلوه هنا بمعنى يتبعه والشاهد يريد به القرآن فالمعنى يتبع ذلك البرهان شاهد من الله وهو القرآن، فيزيد وضوحه وتعظم دلالته، وقيل إن الشاهد المذكور هنا هو علىّ بن أبى طالب (ومن قبله كتاب موسى) أى ومن قبل ذلك الكتاب الشاهد كتاب موسى، وهو أيضاً دليل آخر متقدم، وقد قيل أقوال كثيرة فى معنى هذه الآية وأرجحها ماذكرنا (ومن الأحزاب) أى من أهل مكة (ويقول الأشهاد) جمع شاهد كأصحاب، ويحتمل أن يكون من الشهادة فيراد به الملائكة والأنبياء أو من الشهود بمعنى الحضور، فيراد به كل من حضر الموقف (ويبغونها عوجا) أى يطلبون اعوجاجها أو يصفونها بالاعوجاج (لم يكونوا معجزين) أى لا يفلتون (يضاعف لهم العذاب) إخبار عن تشديد عذابهم وليس بصفة لأولياء (ما كانوا يستطيعون السمع) الآية: ما نافية والضمير للكفار، والمعنى وصفهم بأنهم لا يسمعون ولا يبصرون كقوله: ختم الله على قلوبهم الآية، وقيل غير ذلك، وهو بعيد (لا جرم) أى لابد ولاشك (أخبتوا) أى خشعوا وقيل أنابوا (مثل الفريقين) يعنى المؤمنين والكافرين (كالأعمى والأصم والبصير والسميع) شبه الكفار بالأعمى والأصم، وشبه المؤمنين بالبصير والسميع فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثالين، وتمثيل للكافرين بمثالين، وقيل التقدير كالأعمى والأصم، والبصير والسميع، قالوا ولعطف الصفات فهو على هذا تمثيل للمؤمنين بمثال واحد وهو من جمع بين السمع والبصر، وتمثيل للكفار بمثال واحد وهو من جمع بين العمى والصمم (عذاب يوم أليم) وصف اليوم بالأليم على وجه المجاز لوقوع الألم فيه (أراذلنا) جمع أرذل وهم سفلة الناس، وإنما وصفوهم بذلك لفقرهم جهلا منهم واعتقاد أن الشرف هو بالمال

بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ ۞ قَالَ يَا قَوْمِ أَرَأَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَآتَانِي رَحْمَةً مِّنْ عِندِهِ فَعُمِّيَتْ عَلَيْكُمْ أَنُلْزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمْ لَهَا كَارِهُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّهُم مُّلَاقُو رَبِّهِمْ وَلَٰكِنِّي أَرَاكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ۞ وَيَا قَوْمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ۞ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِندِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزْدَرِي أَعْيُنُكُمْ لَن يُؤْتِيَهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ ۞ قَالُوا يَا نُوحُ قَدْ جَادَلْتَنَا فَأَكْثَرْتَ جِدَالَنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَا إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ۞ قَالَ إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ إِن شَاءَ وَمَا أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ۞ وَلَا يَنفَعُكُمْ نُصْحِي إِنْ أَرَدتُّ أَنْ أَنصَحَ لَكُمْ إِن كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغْوِيَكُمْ هُوَ رَبُّكُمْ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۞ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ إِنِ افْتَرَيْتُهُ فَعَلَيَّ إِجْرَامِي وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ۞ وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن

والجاه ، وليس الأمر كما اعتقدوا ، بل المؤمنون كانوا أشرف منهم على حال فقرهم وخمولهم فى الدنيا ، وقيل إنهم كانوا حاكة وحجامين ، واختار ابن عطية أنهم أرادوا أنهم أراذل فى أفعالهم لقول نوح : وماعلمى بما كانوا يعملون (بادى الرأى) أى أول الرأى من غير نظر ولا تدبير ، وبادى منصوب على الظرفية . أصله وقت حدوث أول رأيهم ، والعامل فيه اتبعوك على أصح الأقوال ، والمعنى اتبعك الأراذل من غير نظر ولا تثبت ، وقيل هو صفة لبشرا مثلنا : أى غير مثبت فى الرأى (ومانرى لكم علينا من فضل) أى من مزية وشرف ، والخطاب لنوح عليه السلام ومن معه (على بينة من ربى) أى على برهان وأمر جلىّ ، وكذلك فى قصة صالح وشعيب (وآتانى رحمة من عنده) يعنى النبوة (فعميت عليكم) أى خفيت عليكم ، والفاعل على هذا البينة أو الرحمة (أنلزمكموها) أى أنكرهكم على قبولها قهرا وهذا هو جواب أرأيتم : ومعنى الآية أن نوحا عليه السلام قال لقومه أرأيتم إن هدانى الله وأضلكم أأجبركم على الهدى وأنتم له كارهون (لاأسألكم عليه مالا) الضمير فى عليه عائد على التبليغ (وما أنا بطارد الذين آمنوا) يقتضى أنهم طلبوا منه طرد الضعفاء (إنهم ملاقوا ربهم) المعنى أنه يجازيهم على إيمانهم (من ينصرنى من الله إن طردتهم) أى من يدفع عنى عقاب الله إن ظلمتهم بالطرد (ولا أقول لكم عندى خزائن الله) الآية : أى لاأدعى ماليس لى فتنكرون قولى (تزدرى) أى تحتقر من قولك زريت الرجل إذا قصرت به ، والمراد بالذين تزدرى أعينهم ضعفاء المؤمنين (إنى إذاً لمن الظالمين) أى إن قلت للمؤمنين لن يؤتيهم الله خيرا ، والخير هنا يحتمل أن يريد به خير الدنيا والآخرة (جادلتنا) الجدال هو المخاصمة والمراجعة فى الحجة (فأتنا بما تعدنا) أى بالعذاب (ولا ينفعكم نصحى) الآية : جزاء قوله إن أردت أن أنصح لكم ، هو مادل عليه قوله نصحى وجزاء قوله إن كان الله يريد أن يغويكم : هو مادل عليه قوله لاينفعكم نصحى ، فتقديرها : إن أراد الله أن يغويكم لن ينفعكم نصحى إن نصحت لكم ، ثم استأنف قوله هو ربكم ، ولايجوز أن يكون ربكم هو جواب الشرط (أم يقولون افتراه) الآية : الضمير فى يقولون لكفار قريش ، وفى افتراه لمحمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، هذا قول جميع المفسرين ، واختار

قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ فَلَا تَبْتَئِسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ۞ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلَا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ ۞ وَيَصْنَعُ الْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ قَالَ إِن تَسْخَرُوا مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ۞ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ۞ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُّورُ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ وَمَنْ ءَامَنَ وَمَا ءَامَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ ۞ وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ وَهِيَ تَجْرِي بِهِمْ فِي مَوْجٍ

ابن عطية أن تكون فى شأن نوح عليه السلام ، فيكون الضمير فى يقولون لقوم نوح ، وفى افترائه لنوح لئلا يعترض مابين قصة نوح بغيرها وهو بعيد (إجرامى) أى ذنبى (فلا تبتئس) أى فلا تحزن (واصنع الفلك بأعيننا) أى تحت نظرنا وحفظنا (ووحينا) أى وتعليمنا لك كيف تصنع الفلك (ولا تخاطبنى فى الذين ظلموا) أى لاتشفع لى فيهم ، فإنى قد قضيت عليهم بالغرق (كلما) يحتمل أن يكون جوابها سخروا منه ، أو قال إن تسخروا (فسوف تعلمون) تهديد ومن يأتيه منصوب بتعلمون (عذاب يخزيه) هو الغرق والعذاب المقيم عذاب النار (حتى إذا جاء أمرنا) غاية لقوله ويصنع الفلك (وفار التنور) أى فار بالماء وجعل الله تلك العلامة لنوح ليركب حينئذ فى السفينة ، والمراد بالتنور الذى يوقد فيه عند ابن عباس وغيره ، وروى أنه كان تنور آدم خلص إلى نوح ، وقيل التنور وجه الأرض (قلنا احمل فيها من كل زوجين اثنين) المراد بالزوجين الذكر والأنثى من الحيوان ، وقرئ من كل بغير تنوين فعمل احمل فى اثنين ومن قرأ بالتنوين عمل احمل فى زوجين وجعل اثنين نعت له على جهة التأكيد (وأهلك) أى قرابتك ، وهو معطوف على ماعمل فيه احمل (إلا من سبق عليه القول) أى من قضى عليه بالعذاب فهو مستثنى من أهله ، والمراد بذلك ابنه الكافر وامرأته (ومن آمن) معطوف على أهلك ، أى احمل أهلك ومن آمن من غيرهم (وما آمن معه إلا قليل) قيل كانوا ثمانين وقيل عشرة وقيل ثمانية (وقال اركبوا فيها) الضمير فى قال لنوح ، والخطاب لمن كان معه ، والضمير فى فيها للسفينة ، وروى أنهم ركبوا فيها أول يوم من رجب ، واستقرت على الجودى يوم عاشوراء (بسم الله مجراها ومرساها) اشتقاق مجراها من الجرى ، واشتقاق مرساها من الإرساء ، وهو الثبوت . أومن وقوف السفينة ، ويمكن أن يكونا ظرفين للزمان أو المكان ، أو مصدرين ، ويحتمل الإعراب من وجهين : أحدهما أن يكون اسم الله فى موضع الحال من الضمير فى اركبوا ، والتقدير اركبوا متبركين باسم الله أو قائلين بسم الله ، فيكون مجراها ومرساها على هذا ظرفين للزمان بمعنى وقت إجرائها وإرسائها أو ظرفين للمكان ، ويكون العامل فيه مافى قوله بسم الله من معنى الفعل فى موضع خبر ويكون قوله بسم الله متصلا مع ماقبله ، والجملة كلام واحد ، والوجه الثانى : أن يكون كلامين فيوقف على اركبوا فيها ويكون بسم الله فى موضع خبر ، ومجراها ومرساها مبتدأ بمعنى المصدر أى إجراؤها وإرساؤها ويكون بسم الله على هذا مستأنفا غير متصل بما قبله ولكنه من كلام نوح حسبما روى أن نوحا كان إذا أراد أن يجرى بالسفينة قال بسم الله فتجرى ، وإذا أراد وقوفها قال بسم الله فتقف (وهى تجرى بهم فى موج كالجبال) روى أن الماء طبق مابين السماء والأرض فصار الكل

كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحٌ ٱبْنَهُ وَكَانَ فِى مَعْزِلٍ يَـٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَـٰفِرِينَ * قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ قَالَ لَا عَاصِمَ ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ * وَقِيلَ يَـٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَـٰسَمَآءُ أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ وَقِيلَ بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّـٰلِمِينَ * وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَـٰكِمِينَ * قَالَ يَـٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيْرُ صَـٰلِحٍ فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَـٰهِلِينَ * قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ وَإِلَّا تَغْفِرْ لِى وَتَرْحَمْنِىٓ أَكُن مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ * قِيلَ يَـٰنُوحُ ٱهْبِطْ بِسَلَـٰمٍ مِّنَّا وَبَرَكَـٰتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ وَأُمَمٌ سَنُمَتِّعُهُمْ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ

كالبحر قال ابن عطية وهذا ضعيف ، وأين كان الموج كالجبال على هذا ، وصوبه الزمخشري ، وقال كانت تجرى في موج كالجبال قبل التطبيق ، وقبل أن يغمر الماء الجبال (ونادى نوح ابنه) كان اسمه كنعان ، وقيل يام وكان له ثلاث بنون سواه وهم سام وحام ويافث ، ومنهم تناسل الخلق (في معزل) أي في ناحية (لاعاصم اليوم من أمر الله إلا من رحم) يحتمل أربعة أوجه : أحدها أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم كذلك بمعنى الراحم فالمعنى لاعاصم إلا الراحم وهو الله تعالى ، والثاني أن يكون عاصم بمعنى ذى عصمة أى معصوم ومن رحم : بمعنى مفعول أى من رحم الله . فالمعنى لامعصوم إلا من رحمه الله ، والاستثناء على هذين الوجهين متصل ، والثالث أن يكون عاصم اسم فاعل ومن رحم بمعنى المفعول ، والمعنى لاعاصم من أمر الله لكن من رحمه الله فهو المعصوم ، والرابع عكسه والاستثناء على هذين منقطع (ابلعي ماءك) عبارة عن جفوف الأرض من الماء (أقلعي) أي أمسكي عن المطر وروى أنها أمطرت من كل موضع منها (وغيض الماء) أي نقص (وقضى الأمر) أي تم وكمل (واستوت على الجودي) أي استقرت السفينة على الجودى وهو جبل بالموصل (وقيل بعداً) أي هلاكا ، وانتصب على المصدر (ونادى نوح ربه) يحتمل أن يكون هذا النداء قبل الغرق فيكون العطف من غير ترتيب ، أو يكون بعده (قال رب إن ابني من أهلي) أي وقد وعدتني أن تنجي أهلي (قال يانوح إنه ليس من أهلك) أي ليس من أهلك الذين وعدتك بنجاتهم ، لأنه كافر ، وقال الزمخشري : لم يكن ابنه ولكنه خانته أمه ، وكان لغير رشده وهذا ضعيف ، لأن الأنبياء عليهم السلام قد عصمهم الله من أن تزنى نساؤهم ولقوله ونادى نوح ابنه (إنه عمل غير صالح) فيه ثلاث تأويلات على قراءة الجمهور : أحدها أن يكون الضمير في إنه لسؤال نوح نجاة ابنه ، والثاني أن يكون الضمير لابن نوح وحذف المضاف من الكلام تقديره إنه ذو عمل غير صالح ، والثالث أن يكون الضمير لابن نوح ، وعمل : مصدر وصف به مبالغة كقولك رجل صوم ، وقرأ الكسائي «عمل» بفعل ماض «غير صالح» بالنصب ، والضمير على هذا لابن نوح بلا إشكال (فلا تسألن ماليس لك به علم) أي لاتطلب مني أمراً لاتعلم أصواب هو أم غير صواب ، حتى تقف على كنهه ، فإن قيل : لم سمى نداءه سؤالا ، ولاسؤال فيه ؟ فالجواب أنه تضمن السؤال وإن لم يصرح به (إني أعظك أن تكون من الجاهلين) أن في موضع مفعول من أجله تقديره أعظك كراهة أن تكون من الجاهلين ، وليس في ذلك وصف له بالجهل ، بل فيه

أَلِيمٌ * تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنتَ تَعْلَمُهَا أَنتَ وَلَا قَوْمُكَ مِن قَبْلِ هَٰذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَاقِبَةَ لِلْمُتَّقِينَ * وَإِلَىٰ عَادٍ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا مُفْتَرُونَ * يَا قَوْمِ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَنِي أَفَلَا تَعْقِلُونَ * وَيَا قَوْمِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا وَيَزِدْكُمْ قُوَّةً إِلَىٰ قُوَّتِكُمْ وَلَا تَتَوَلَّوْا مُجْرِمِينَ * قَالُوا يَا هُودُ مَا جِئْتَنَا بِبَيِّنَةٍ وَمَا نَحْنُ بِتَارِكِي آلِهَتِنَا عَن قَوْلِكَ وَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ * إِن نَّقُولُ إِلَّا اعْتَرَاكَ بَعْضُ آلِهَتِنَا بِسُوءٍ قَالَ إِنِّي أُشْهِدُ اللَّهَ وَاشْهَدُوا أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشْرِكُونَ * مِن دُونِهِ فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنظِرُونِ * إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلَّا هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ * فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ * وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا

ملاطفة وإكرام (اهبط بسلام منا) أى اهبط من السفينة بسلامة (وعلى أمم ممن معك) أى ممن معك فى السفينة واختار الزمخشرى أن يكون المعنى من ذرية من معك ، ويعنى به المؤمنين إلى يوم القيامة ، فمن على هذا لابتداء الغاية ، والتقدير على أمم ناشئة ممن معك ، وعلى الأول تكون من لبيان الجنس (وأمم سنمتعهم) يعنى نمتعهم متاع الدنيا وهم الكفار إلى يوم القيامة (تلك من أنباء الغيب) إشارة إلى القصة ، وفى الآية دليل على أن القرآن من عند الله لأن النبى صلى الله عليه وآله وسلم لم يكن يعلم ذلك قبل الوحى (إن أنتم إلا مفترون) يعنى فى عبادتهم لغير الله (يرسل السماء عليكم مدرارا) السماء هنا المطر ومدرارا بناء تكثير من الدر يقال در المطر واللبن وغيره ، وفى الآية دليل على أن الاستغفار والتوبة سبب لنزول الأمطار ، وروى أن عادا كان حبس عنهم المطر ثلاث سنين ، فأمرهم بالتوبة والاستغفار ووعدهم على ذلك بالمطر ، والمراد بالتوبة هنا الرجوع عن الكفر ، ثم عن الذنوب ، لأن التوبة من الذنوب لا تصح إلا بعد الإيمان (قالوا ياهود ماجئتنا ببينة) أى بمعجزة ، وذلك كذب منهم وجحود أو يكون معناه بآية تضطرنا إلى الإيمان بك ، وإن كان قد أتاهم بآية نظرية (عن قولك) أى بسبب قولك (إن نقول إلا اعتراك بعض آلهتنا بسوء) معناه ما نقول إلا أن بعض آلهتنا أصابك بجنون لما سببتها ونهيتنا عن عبادتها (فكيدونى جميعا ثم لاتنظرون) هذا أمر بمعنى التعجيز أى لا تقدرون أنتم ولا آلهتكم على شىء ، ثم ذكر سبب قوته فى نفسه وعدم مبالاته بهم ، فقال إنى توكلت على الله الآية (مامن دابة إلا هو آخذ بناصيتها) أى هى فى قبضته وتحت قهره ، والأخذ بالناصية تمثيل لذلك ، وهذه الجملة تعليل لقوة توكله على الله وعدم مبالاته بالخلق (إن ربى على صراط مستقيم) يريد أن أفعال الله جميلة وقوله صدق ووعده حق ، فالاستقامة تامة (فإن تولوا فقد أبلغتكم) أصل تولوا هنا تتولوا لأنه فعل مستقبل حذفت منه تاء المضارعة ، فإن قيل : كيف وقع الإبلاغ جوابا للشرط ، وقد كان الإبلاغ قبل التولى ؟ فالجواب : أن المعنى إن تتولوا فلا عتب على لأنى قد أبلغتكم رسالة ربى (ولا تضرونه شيئا) أى لا تنقصونه شيئا : أى إذا أهلككم واستخلف غيركم (ولما جاء أمرنا) إن قيل

هُودًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَنَجَّيْنَٰهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ۞ وَتِلْكَ عَادٌ جَحَدُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَعَصَوْا رُسُلَهُ وَاتَّبَعُوٓا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ ۞ وَأُتْبِعُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ أَلَآ إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّعَادٍ قَوْمِ هُودٍ ۞ وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا قَالَ يَٰقَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُّجِيبٌ ۞ قَالُوا يَٰصَٰلِحُ قَدْ كُنتَ فِينَا مَرْجُوًّا قَبْلَ هَٰذَآ أَتَنْهَىٰنَآ أَن نَّعْبُدَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا وَإِنَّنَا لَفِي شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ ۞ قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَمَن يَنصُرُنِي مِنَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتُهُ فَمَا تَزِيدُونَنِي غَيْرَ تَخْسِيرٍ ۞ وَيَٰقَوْمِ هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ ۞ فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ۞ فَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَٰلِحًا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ۞ وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ ۞ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُنَآ إِبْرَٰهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا سَلَٰمًا قَالَ سَلَٰمٌ فَمَا لَبِثَ أَن

لم قال هنا وفى قصة شعيب ولما بالواو وقال فى قصة صالح ولوط فلما بالفاء ؟ فالجواب على ماقال الزمخشرى أنه وقع ذلك فى قصة صالح ولوط بعد الوعيد فجىء بالفاء التى تقتضى التسبيب كما تقول وعدته فلما جاء الميعاد بخلاف قصة هود وشعيب ، فإنه لم يتقدم ذلك فيهما فعطف بالواو (ونجيناهم من عذاب غليظ) يحتمل أن يريد به عذاب الآخرة ، ولذلك عطفه على النجاة الأولى التى أراد بها النجاة من الريح ، ويحتمل أن يريد بالثانى أيضا الريح ، وكرره إعلاما بأنه عذاب غليظ ، وتعديدا للنعمة فى نجاتهم (وعصوا رسله) فى جميع الرسل هنا وجهان : أحدهما أن من عصى رسولا واحدا لزمه عصيان جميعهم فإنهم متفقون على الإيمان بالله وعلى توحيده ، والثانى أن يراد الجنس كقولك فلان يركب الخيل وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (ألا إن عادا كفروا ربهم) هذا تشنيع لكفرهم وتهويل بحرف التنبيه وبتكرار اسم عاد (ألا بعدا) أى هلاكا وهذا دعاء عليهم وانتصابه بفعل مضمر ، فإن قيل : كيف دعا عليهم بالهلاك بعد أن هلكوا ؟ فالجواب أن المراد أنهم أهل لذلك (لعاد قوم هود) بيان لأن عادا اثنان : إحداهما قوم هود ، والأخرى إرم (هو أنشأكم من الأرض) لأن آدم خلق من تراب (واستعمركم فيها) أى جعلكم تعمرونها ، فهو من العمران للأرض ، وقيل هو من العمر نحو استبقاكم من البقاء (قد كنت فينا مرجوا) أى كنا نرجو أن ننتفع بك حتى قلت ماقلت ، وقيل المعنى كنا نرجو أن تدخل فى ديننا (فى داركم) أى بلدكم (ثلاثة أيام) قيل إنها الخميس والجمعة والسبت ، لأنهم عقروا الناقة يوم الأربعاء ، وأخذهم العذاب يوم الأحد (ومن خزى يومئذ) معطوف على نجينا أى نجيناهم من خزى يومئذ (جاثمين) ذكر فى الأعراف (كأن لم يغنوا فيها) أى كأن لم يقيموا فيها الضمير للدار ، وكذلك فى قصة شعيب (ولقد جاءت رسلنا) الرسل هنا الملائكة (إبراهيم بالبشرى)

جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيذٍ ۝ فَلَمَّا رَءَا أَيْدِيَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أُرْسِلْنَا إِلَىٰ قَوْمِ لُوطٍ ۝ وَامْرَأَتُهُ قَائِمَةٌ فَضَحِكَتْ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ۝ قَالَتْ يَا وَيْلَتَىٰ ءَأَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِي شَيْخًا إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ ۝ قَالُوا أَتَعْجَبِينَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ۝ فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَتْهُ الْبُشْرَىٰ يُجَادِلُنَا فِي قَوْمِ لُوطٍ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ ۝ يَا إِبْرَاهِيمُ أَعْرِضْ عَنْ هَٰذَا إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَإِنَّهُمْ ءَاتِيهِمْ عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ ۝ وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالَ هَٰذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ ۝ وَجَاءَهُ قَوْمُهُ يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ وَمِن قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ قَالَ يَا قَوْمِ هَٰؤُلَاءِ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ فِي ضَيْفِي أَلَيْسَ مِنكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ ۝

بشروه بالولد (قالوا سلاما) نصب على المصدر والعامل فيه فعل مضمر تقديره سلمنا عليكم سلاما (قال سلام) تقديره عليكم سلام وسلام عليكم، وهذا على أن يكون بمعنى التحية، وإنما رفع جوابه ليدل على إثبات السلام، فيكون قد حياهم بأحسن مما حيوه، ويحتمل أن يكون السلام بمعنى السلامة، ونصب الأول لأنه بمعنى الطلب، ورفع الثاني لأنه فى معنى الخبر (فالبث أن جاء) أي مالبث مجيئه بل عجل وما نافية وأن جاء فاعل لبث (بعجل حنيذ) أي مشوي، وفعيل هنا بمعنى مفعول (نكرهم) أي أنكرهم ولم يعرفهم، يقال نكر وأنكر بمعنى واحد (وأوجس منهم خيفة) قيل إنه لم يعرفهم فخاف منهم لما لم يأكلوا طعامه، وقيل عرف أنهم ملائكة ولكن خاف أن يكونوا أرسلوا بما يخاف فأمنوه بقولهم لا تخف (وامرأته قائمة) قيل قائمة خلف الستر، وقيل قائمة فى الصلاة، وقيل قائمة تخدم القوم، واسمها سارة (فضحكت) قيل معناه حاضت وهو ضعيف، وقال الجمهور هو الضحك المعروف واختلفوا من أي شيء ضحكت، فقيل سرورا بالولد الذى بشرت به ففي الكلام على هذا تقديم وتأخير وقيل سرورا بالأمن بعد الخوف، وقيل سرورا بهلاك قوم لوط (فبشرناها بإسحاق) أسند البشارة إلى ضمير الله تعالى، لأنها كانت بأمره (ومن وراء إسحاق يعقوب) أى من بعده وهو ولده، وقيل الوراء ولد الولد ويعقوب بالرفع مبتدأ، وبالفتح معطوف على إسحاق (قالت ياويلتا) الألف فيه مبدلة من ياء المتكلم، وكذلك فى يالهفي ويا أسفي ويا عجبا، ومعناه التعجب من الولادة، وروى أنها كانت حينئذ بنت تسع وتسعين سنة، وإبراهيم ابن مائة سنة (رحمة الله وبركاته عليكم) يحتمل الدعاء والخبر (أهل البيت) أي أهل بيت إبراهيم، وهو منصوب بفعل مضمر على الاختصاص أو منادى (حميد) أي محمود (مجيد) من المجد وهو العلو والشرف (أيجادلنا) هو جواب لما على أن يكون المضارع فى موضع الماضي أو على تقدير ظل أو أخذ يجادلنا ويكون يجادلنا مستأنفا والجواب محذوف، ومعنى جداله كلامه مع الملائكة فى رفع العذاب عن قوم لوط، وقد ذكر فى اللغات (حليم) وفى براءة أواه (يا إبراهيم أعرض عن هذا) أى قلنا يا إبراهيم أعرض عن هذا يعني عن المجادلة فيهم فقد نفذ القضاء بعذابهم (ولما جاءت رسلنا لوطا سيء بهم) الرسل هم الملائكة ومعنى سيء بهم أصابه سوء وضجر لما ظن أنه من بني آدم وخاف عليهم من قومه (يوم عصيب) أي شديد (وجاءه قومه يهرعون إليه) أي يسرعون وكانت امرأة لوط قد أخبرتهم بنزول الأضياف عنده، فأسرعوا ليعملوا بهم عملهم الخبيث (من قبل كانوا يعملون السيئات) أي كانت عادتهم إتيان الفواحش فى الرجال (قال ياقوم هؤلاء بناتي) المعنى فتزوجوهن،

قَالُوا لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَإِنَّكَ لَتَعْلَمُ مَا نُرِيدُ * قَالَ لَوْ أَنَّ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ آوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ * قَالُوا يَا لُوطُ إِنَّا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصِلُوا إِلَيْكَ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِنَ اللَّيْلِ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَأَتَكَ إِنَّهُ مُصِيبُهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبْحُ أَلَيْسَ الصُّبْحُ بِقَرِيبٍ * فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ * مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ * وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنْقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُمْ بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُحِيطٍ * وَيَا قَوْمِ أَوْفُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ وَلَا تَعْثَوْا فِي الْأَرْضِ

وإنما قال ذلك ليقي أضيافه ببناته ، وقيل اسم بناته الواحدة رثيا ، والأخرى غوثا وأن اسم امرأته الهالكة والهة ، واسم امرأة نوح والقة (قالوا لقد علمت مالنا فى بناتك من حق) أى مالنا فيهم أرب (وإنك لتعلم مانريد) يعنون نكاح الذكور (قال لو أن لى بكم قوة) جواب لو محذوف تقديره : لو كانت لى قدرة على دفعكم لفعلت ، ويحتمل أن تكون لو للتمنى (أو آوى إلى ركن شديد) معنى آوى ألجأ ، والمراد بالركن الشديد ما يلجأ إليه من عشيرة وأنصار يحمونه من قومه وكان رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول يرحم الله أخى لوطا لقد كان يأوى إلى ركن شديد : يعنى إلى الله والملائكة (قالوا يالوط إنا رسل ربك) الضمير فى قالوا للملائكة ، والضمير فى لن يصلوا لقوم لوط ، وذلك أن الله طمس على أعينهم حينئذ (فأسر بأهلك) أى اخرج بهم بالليل ، فإن العذاب ينزل بأهل هذه المدائن ، وقرئ فاسر بوصل الألف وقطعها ، وهما لغتان يقال سرى وأسرى (بقطع من الليل) أى قطعة منه (ولا يلتفت منكم أحد) نهوا عن الالتفات لئلا تتفطر أكبادهم على قريتهم ، وقيل يلتفت معناه يلتوى (إلا امرأتك) قرئ بالنصب والرفع ، فالنصب استثناء من قوله فأسر بأهلك ، فيقتضى هذا أنه لم يخرجها مع أهله ، والرفع بدل من ولا يلتفت منكم أحد ، وروى على هذا أنه أخرجها معه ، وأنها التفتت وقالت ياقوماه فأصابها حجر فقتلها (إن موعدهم الصبح) أى وقت عذابهم الصبح (أليس الصبح بقريب) ذكر أنهم لما قالوا إن موعدهم الصبح قال لهم لوط هلا عذبوا الآن ، فقالوا له أليس الصبح بقريب (جعلنا عاليها سافلها) الضمير للمدائن روى أن جبريل أدخل جناحه تحت مدائن قوم لوط واقتلعها فرفعها حتى سمع أهل السماء صراخ الديكة ونباح الكلاب ، ثم أرسلها مقلوبة (وأمطرنا عليها حجارة) أى على المدائن ، والمراد أهلها روى أنه من كان منهم خارج المدائن أصابته حجارة من السماء ، وأما من كان فى المدائن فهلك لما قلبت (من سجيل) قيل معناه من ماء وطين ، وإنما كان من الآجر المطبوخ وقيل من سجله إذا أرسله ، وقيل هو لفظ أعجمى (منضود) أى مضموم بعضه فوق بعض (مسومة عند ربك) معناه معلمة بعلامة ، روى أنه كان فيها بياض وحمرة ، وقيل كان فى كل حجر اسم صاحبه (وماهى من الظالمين ببعيد) الضمير للحجارة والمراد بالظالمين كفار قريش ، فهذا تهديد لهم أى ليس الرمى بالحجارة ببعيد منهم لأجل كفرهم ، وقيل الضمير للمدائن ، فالمعنى ليست ببعيدة منهم أفلا يعتبرون بها كقوله «ولقد أتوا على القرية التى أمطرت مطر السوء» وقيل إن الظالمين على العموم (إنى أراكم بخير) يعنى رخص الأسعار وكثرة الأرزاق (عذاب

مُفْسِدِينَ • بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ وَمَآ أَنَا۠ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ • قَالُوا يَٰشُعَيْبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِىٓ أَمْوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُا إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلْحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ • قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَءَيْتُمْ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّى وَرَزَقَنِى مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَىٰ مَآ أَنْهَىٰكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلَّا ٱلْإِصْلَٰحَ مَا ٱسْتَطَعْتُ وَمَا تَوْفِيقِىٓ إِلَّا بِٱللَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ • وَيَٰقَوْمِ لَا يَجْرِمَنَّكُمْ شِقَاقِىٓ أَن يُصِيبَكُم مِّثْلُ مَآ أَصَابَ قَوْمَ نُوحٍ أَوْ قَوْمَ هُودٍ أَوْ قَوْمَ صَٰلِحٍ وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِّنكُم بِبَعِيدٍ • وَٱسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّى رَحِيمٌ وَدُودٌ • قَالُوا يَٰشُعَيْبُ مَا نَفْقَهُ كَثِيرًا مِّمَّا تَقُولُ وَإِنَّا لَنَرَىٰكَ فِينَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَهْطُكَ لَرَجَمْنَٰكَ وَمَآ أَنتَ عَلَيْنَا بِعَزِيزٍ • قَالَ يَٰقَوْمِ أَرَهْطِىٓ أَعَزُّ عَلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا إِنَّ رَبِّى بِمَا تَعْمَلُونَ مُحِيطٌ • وَيَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّى عَٰمِلٌ سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَمَنْ هُوَ كَٰذِبٌ وَٱرْتَقِبُوٓا إِنِّى مَعَكُمْ رَقِيبٌ • وَلَمَّا جَآءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا شُعَيْبًا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا مَعَهُۥ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخَذَتِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا

يوم محيط) يوم القيامة أو يوم عذابهم في الدنيا (بقيت الله خير لكم) أي ما أبقاه الله لكم من رزقه ونعمته (أصلاتك تأمرك) الصلاة هي المعروفة ونسب الأمر إليها مجاز كقوله «إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر» والمعنى أصلاتك تأمرك أن نترك عبادة الأوثان ، وإنما قال الكفار هذا على وجه الاستهزاء (أو أن نفعل في أموالنا مانشاء) يعنون ما كانوا عليه من بخس المكيال والميزان ، وأن نفعل عطف على أن نترك (إنك لأنت الحليم الرشيد) قيل إنهم قالوا ذلك على وجه التهكم والاستهزاء ، وقيل معناه الحليم الرشيد عند نفسك (ورزقني منه رزقا حسنا) أي سالما من الفساد الذي أدخلتم أنتم في أموالكم ، وجواب أرأيتم محذوف يدل عليه المعنى وتقديره : أرأيتم إن كنت على بينة من ربي أيصلح لي ترك تبليغ رسالته (وما أريد أن أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه) يقال خالفني فلان إلى كذا إذا قصده وأنت مول عنه ، وخالفني عنه إذا ولى عنه وأنت قاصده (وياقوم لا يجرمنكم شقاقي أن يصيبكم مثل ما أصاب قوم نوح) أي لا يكسبنكم عداوتي أن يصيبكم مثل عذاب الأمم المتقدمة ، وشقاقي فاعل ، وأن يصيبكم مفعول (وما قوم لوط منكم ببعيد) يعني في الزمان لأنهم كانوا أقرب الأمم الهالكين إليهم ، ويحتمل أن يراد ببعيد في البلاد (ما نفقه) أي ما نفهم (وإنا لنراك فينا ضعيفا) أي ضعيف الانتصار والقدرة ، وقيل نحيل البدن ، وقيل أعمى (ولولا رهطك لرجمناك) الرهط القرابة والرجم بالحجارة أو بالسب (أرهطي أعز عليكم من الله) هذا توبيخ لهم فإن قيل إنما وقع كلامهم فيه وفي رهطه وأنهم هم الأعزة دونه فكيف طابق جوابه كلامهم؟ فالجواب أن تهاونهم به وهو رسول الله تهاون بالله فلذلك قال أرهطي أعز عليكم من الله (واتخذتموه وراءكم ظهريا) الضمير في اتخذتموه لله تعالى أو لدينه وأمره ، والظهري ما يطرح وراء الظهر ولا يعبأ به ، وهو منسوب إلى الظهر بتغيير النسب (اعملوا على مكانتكم) تهديد ومعنى مكانتكم تمكنكم في الدنيا وعزتكم فيها (من يأتيه عذاب يخزيه) عذاب الدنيا والآخرة (وارتقبوا) تهديد (ولقد أرسلنا موسى بآياتنا) أي

الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِى دِيَٰرِهِمْ جَٰثِمِينَ • كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا فِيهَآ أَلَا بُعْدًا لِّمَدْيَنَ كَمَا بَعِدَتْ ثَمُودُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَا وَسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ • إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِ فَٱتَّبَعُوٓا أَمْرَ فِرْعَوْنَ وَمَآ أَمْرُ فِرْعَوْنَ بِرَشِيدٍ • يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ • وَأُتْبِعُوا فِى هَٰذِهِ لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَٰمَةِ بِئْسَ الرِّفْدُ الْمَرْفُودُ • ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ الْقُرَىٰ نَقُصُّهُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَآئِمٌ وَحَصِيدٌ • وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ فَمَآ أَغْنَتْ عَنْهُمْ ءَالِهَتُهُمُ الَّتِى يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مِن شَىْءٍ لَّمَّا جَآءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَتْبِيبٍ • وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ الْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ • إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّمَنْ خَافَ عَذَابَ الْءَاخِرَةِ ذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَٰلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ • وَمَا نُؤَخِّرُهُۥٓ إِلَّا لِأَجَلٍ مَّعْدُودٍ • يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ • فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فَفِى النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ • خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ • وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فَفِى الْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَٰوَٰتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ • فَلَا تَكُ فِى مِرْيَةٍ مِّمَّا يَعْبُدُ هَٰٓؤُلَآءِ مَا يَعْبُدُونَ إِلَّا كَمَا يَعْبُدُ

بالمعجزات (وسلطان مبين) أى برهان بين (يقدم قومه) أى يتقدّم قدامهم فى النار كما كانوا فى الدنيا يتبعونه على الضلال والكفر (فأوردهم النار) الورود هنا بمعنى الدخول ، وذكره بلفظ الماضى لتحقق وقوعه (ويوم القيامة) عطف على فى هذه فإن المراد به فى الدنيا (بئس الرفد المرفود) أى العطية المعطاة (قائم وحصيد) باق وداثر (فما أغنت عنهم آلهتهم) حجة على التوحيد ونفى الشريك (تتبيب) أى تخسير (يوم مجموع له الناس) أى يجمعون فيه للحساب والثواب والعقاب ، وإنما عبر باسم المفعول دون الفعل ليدل على ثبوت الجمع لذلك اليوم ، لأن لفظ مجموع أبلغ من لفظ يجمع (يوم مشهود) أى يحضره الأولون والآخرون (يوم يأت) العامل فى الظرف لاتكلم أو فعل مضمر ؛ وفاعل يأت ضمير يعود على يوم مشهود وقال الزمخشرى يعود على الله تعالى كقوله «أو يأتى ربك» ويعضده عود الضمير عليه فى قوله بإذنه (فمنهم شقى وسعيد) الضمير يعود على أهل الموقف الذين دل عليهم قوله لاتكلم نفس (زفير وشهيق) الزفير إخراج النفس ، والشهيق ردّه . وقيل الزفير صوت المحزون ، والشهيق صوت الباكى ، وقيل الزفير من الحلق ، والشهيق من الصدر (خالدين فيها ما دامت السموات والأرض) فيه وجهان أحدهما أن يراد به سموات الآخرة وأرضها وهى دائمة أبدا ، والآخر أن يكون عبارة عن التأبيد كقول العرب مالاح كوكب وماناح الحمام وشبه ذلك مما يقصد به الدوام (إلا ما شاء ربك) فى هذا الاستثناء ثلاثة أقوال : قيل إنه على طريق التأدب مع الله كقولك إن شاء الله ، وإن كان الأمر واجبا ، وقيل المراد به زمان خروج المذنبين من النار ، ويكون الذين شقوا على هذا يعم الكفار والمذنبين ، وقيل استثنى مدة كونهم فى الدنيا وفى البرزخ ، وأما الاستثناء فى أهل الجنة فيصح فيه القول الأول والثالث دون الثانى (غير مجذوذ) أى غير مقطوع (فلا تك فى مرية مما يعبد هؤلاء) المرية الشك والإشارة إلى عبدة

ءاباؤهم من قبل وإنا لموفوهم نصيبهم غير منقوص ۞ ولقد ءاتينا موسى الكتاب فاختلف فيه ولولا كلمة سبقت من ربك لقضي بينهم وإنهم لفي شك منه مريب ۞ وإن كلا لما ليوفينهم ربك أعمالهم إنه بما يعملون خبير ۞ فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا إنه بما تعملون بصير ۞ ولا تركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار وما لكم من دون الله من أولياء ثم لا تنصرون ۞ وأقم الصلوة طرفي النهار وزلفا من الليل إن الحسنات يذهبن السيئات ذلك ذكرى للذاكرين ۞ واصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين ۞ فلولا كان من القرون من قبلكم أولوا بقية ينهون عن الفساد في الأرض إلا قليلا ممن أنجينا منهم واتبع الذين ظلموا ما أترفوا فيه وكانوا مجرمين ۞ وما كان ربك ليهلك القرى بظلم وأهلها مصلحون ۞ ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة ولا يزالون مختلفين ۞ إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم وتمت كلمة ربك لأملأن

الأصنام أى لا تشك فى فساد دين هؤلاء (مايعبدون إلا كما يعبد آباؤهم) أى هم متبعون لآبائهم تقليدا من غير برهان (وإنا لموفوهم نصيبهم) يعنى من العذاب (كلمة سبقت) يعنى القدر وذلك أن الله قضى أن يفصل بينهم يوم القيامة فلا يفصل فى الدنيا (وإن كلا) قرئ بتشديد إن وبتخفيفها، وإعمالها عمل الثقيلة، والتنوين فى كل عوضا من المضاف إليه يعنى كلهم، واللام فى لما موطئة للقسم، وما زائدة، وليوفينهم خبر إن، وقرئ لما بالتشديد على أن تكون إن نافية، ولما بمعنى إلا (ليوفينهم ربك أعمالهم) أى جزاء أعمالهم (ولا تركنوا إلى الذين ظلموا) يعنى الكفار، وقيل إنهم الظلمة من الولاة وغيرهم (ثم لا تنصرون) مستأنف غير معطوف، وإنما قال ثم لبعد النصرة (وأقم الصلاة) الآية: يراد بها الصلوات المفروضة، فالطرف الأول الصبح والطرف الثانى الظهر والعصر، والزلف من الليل المغرب والعشاء (إن الحسنات يذهبن السيئات) لفظه عام، وخصصه أهل التأويل بأن الحسنات الصلوات الخمس، ويمكن أن يكون ذلك على وجه التمثيل، روى أن رجلا قبل امرأة ثم ندم فذكر ذلك للنبى صلى الله عليه وسلم وصلى معه الصلاة؛ فنزلت الآية فقال النبى صلى الله عليه وسلم: أين السائل، فقال ها أنذا؛ فقال قد غفر لك، فقال الرجل ألى خاصة أو للمسلمين عامة، فقال بل للمسلمين عامة، والآية على هذا مدنية، وقيل إن الآية كانت قبل ذلك ذكرها النبى صلى الله عليه وسلم للرجل مستدلا بها، فالآية على هذا مكية كسائر السورة، وإنما تذهب الحسنات عند الجمهور الصغائر إذا اجتنبت الكبائر (ذلك) إشارة إلى الصلوات، أو إلى كل ما تقدم من وعظ ووعد ووعيد (فلولا) تحضيض بمعنى هلا (أولوا بقية) أى أولو خير ودين بقى لهم دون غيرهم (إلا قليلا ممن أنجينا منهم) استثناء منقطع معناه ولكن قليلا ممن أنجينا من القرون ينهون عن الفساد فى الأرض، وقيل هو متصل فإن الكلام الذى قبله فى حكم النفى كأنه قال: ما كان فيهم من ينهى عن الفساد فى الأرض إلا قليلا، على أن الوجه فى مثل هذا البدل ويجوز فيه النصب (الذين ظلموا) يعنى الذين لم ينهوا عن الفساد (بظلم) هذا المجرور فى موضع الحال من ربك والمعنى أنه لا يهلك أهل القرى ظالما لهم، تعالى الله عن ذلك (ولو شاء ربك لجعل الناس أمة واحدة) يعنى مؤمنة لا خلاف

جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ * وَكُلًّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَٰذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ * وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنَّا عَامِلُونَ * وَانْتَظِرُوا إِنَّا مُنْتَظِرُونَ * وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ *

ســـورة يوسف

مكية إلا الآيات ١ و ٢ و ٣ و ٧ فمدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد سورة هود

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ * إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ * نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَٰذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ * إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَا أَبَتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ * قَالَ يَا بُنَيَّ لَا تَقْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَانِ عَدُوٌّ مُبِينٌ * وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ آلِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَىٰ أَبَوَيْكَ مِنْ قَبْلُ

بينهم فى الإيمان (ولايزالون مختلفين) يعنى فى الأديان والملل والمداهب (ولذلك خلقهم) قيل الإشارة إلى الاختلاف، وقيل إلى الرحمة وقيل إليهما (وكلا نقص) انتصب كلا بنقص ومابدل من كلا (وجاءك فى هذه الحق) الإشارة إلى السورة (اعملوا، وانتظروا) تهديدلهم وإقامة حجة عليهم

ســـورة يوسف عليه السلام

(الكتاب المبين) يعنى القرآن، والمبين يحتمل أن يكون بمعنى البين، فيكون غير متعد، أويكون متعديا بمعنى أنه أبان الحق أى أظهره (لعلكم) يتعلق بأنزلناه أو بعربيا (أحسن القصص) يعنى قصة يوسف، أوقصص الأنبياء على الإطلاق، والقصص يكون مصدرا أواسم مفعول بمعنى المقصوص، فإن أريدبه هنا المصدر فمفعول نقص محذوف، لأن ذكر القرآن يدل عليه (وإن كنت من قبله لمن الغافلين) الضمير فى قبله للقصص أى من الغافلين عن معرفته، وفى هذا احتجاج على أنه من عند الله لكونه جاء به من غير تعليم (إذ قال) العامل فيه اذكر المضمر، أو القصص (ياأبت) أى ياأبى والتاء للبالغة، وقيل للتأنيث وكسرت دلالة على ياء المتكلم والتاء عوض من ياء المتكلم (رأيتهم لى ساجدين) كرر الفعل لطول الكلام وأجرى الكواكب والشمس والقمر مجرى العقلاء فى ضمير الجماعة لما وصفها بفعل من يعقل، وهوالسجود وتأويل الكواكب فى المنام إخوته، والشمس والقمر أبواه؛ وسجودهم له تواضعهم له ودخولهم تحت كنفه وهو ملك (لاتقصص رؤياك على إخوتك) إنما قال ذلك لأنه علم أن تأويلها ارتفاع منزلته فخاف عليه من الحسد (يجتبيك) يختارك (ويعلمك من تأويل الأحاديث) قيل هى عبارة الرؤيا، واللفظ أعم من ذلك (آل يعقوب)

إبرٰهيم وإسحٰق إن ربك عليم حكيم ۝ لقد كان فى يوسف وإخوته ءايٰت للسآئلين ۝ إذ قالوا ليوسف وأخوه أحب إلىٰ أبينا منا ونحن عصبة إن أبانا لفى ضلٰل مبين ۝ اقتلوا يوسف أو اطرحوه أرضا يخل لكم وجه أبيكم وتكونوا من بعده قوما صٰلحين ۝ قال قآئل منهم لاتقتلوا يوسف وألقوه فى غيٰبت الجب يلتقطه بعض السيارة إن كنتم فٰعلين ۝ قالوا يٰأبانا مالك لاتأمنا علىٰ يوسف وإنا له لنٰصحون ۝ أرسله معنا غدا يرتع ويلعب وإنا له لحٰفظون ۝ قال إنى ليحزننى أن تذهبوا به وأخاف أن يأكله الذئب وأنتم عنه غٰفلون ۝ قالوا لئن أكله الذئب ونحن عصبة إنآ إذا لخٰسرون ۝ فلما ذهبوا به وأجمعوآ أن يجعلوه فى غيٰبت الجب وأوحينآ إليه لتنبئنهم بأمرهم هٰذا وهم لايشعرون ۝ وجآءوآ أباهم عشآء يبكون ۝ قالوا يٰأبانآ إنا ذهبنا نستبق وتركنا يوسف عند متٰعنا فأكله الذئب ومآ أنت بمؤمن لنا ولو كنا صٰدقين ۝

يعنى ذريته (آيات للسائلين) أى لمن سأل عنها ، روى أن اليهود سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قصة يوسف أو أمروا قريشا أن يسألوه عنها ، فهم السائلون على هذا ، واللفظ أعم من ذلك (ليوسف وأخوه) هو بنيامين ، وهو أصغر من يوسف ، ويقال إنه شقيق يوسف ، وكان أصغر أولاد يعقوب (ونحن عصبة) أى جماعة نقدر على النفع والضر بخلاف الصغيرين ، والعصبة : العشرة فما فوقها إلى الأربعين (إن أبانا لفى ضلال مبين) أى خطأ وخروج عن الصواب بإفراط حبه ليوسف وأخيه (يخل لكم وجه أبيكم) أى لا يشارككم غيره فى محبته لكم وإقباله عليكم (قوما صالحين) أى بالتوبة والاستقامة وقيل هو صلاح حالهم مع أبيهم (قال قائل منهم) هو يهوذا ، وقيل روبيل (غيابت الجب) غوره وماغاب منه (السيارة) جمع سيار ، وهم القوم الذين يسيرون فى الأرض للتجارة ، وغيرها (إن كنتم فاعلين) أى هذا هو الرأى إن فعلتموه (مالك لاتأمنا على يوسف) أى لم تخاف عليه منا ، وقرأ السبع تأمنا ، بالإدغام والإشمام ، لأن أصله بضم النون الأولى (يرتع) من قرأه بكسر العين فهو من الرعى أى من رعى الإبل ، أو من رعى بعضهم لبعض ، وحراسته ، ومن قرأه بالإسكان ، فهو من الرتع وهو الإقامة فى الخصب والتنعم ، والتاء على هذا أصلية ، ووزن الفعل يفعل ، ووزنه على الأول نفتعل ، ومن قرأ يرتع ويلعب بالياء فالضمير ليوسف ، ومن قرأ بالنون فالضمير للتكلمين وهم إخوته ، وإنما قالوا نلعب ، لأنهم لم يكونوا حينئذ أنبياء ، وكان اللعب من المباح للتعلم كالمسابقة بالخيل (وأجمعوا) أى عزموا ، وجواب لما محذوف ، وقيل إنه أجمعوا ، أو وأوحينا على زيادة الواو (وأوحينا) يحتمل أن يكون هذا الوحى بواسطة ملك ، أو بإلهام ، والضمير فى إليه ليوسف ، وقيل ليعقوب والأول هو الصحيح ، (وهم لايشعرون) فى موضع الحال من لتنبئنهم أى لايشعرون حين تنبئهم فيكون خطابا ليوسف عليه السلام ، أو من أوحينا أى لايشعرون حين أوحينا إليه فيكون خطابا للنبى صلى الله عليه وسلم (نستبق) أى نجرى على أقدامنا لننظر أينا يسبق (وما أنت بمؤمن لنا) أى بمصدق لمقالتنا (ولو كنا صادقين) أى لاتصدقنا ولو كنا عندك من أهل الصدق ، فكيف وأنت تتهمنا ، وقيل معناه لا تصدقنا وإن

وَجَآءُوا عَلَىٰ قَمِيصِهِ بِدَمٍ كَذِبٍ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ۝ وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَىٰ دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَىٰ هَٰذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ۝ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ ۝ وَقَالَ الَّذِي اشْتَرَاهُ مِن مِّصْرَ لِامْرَأَتِهِ أَكْرِمِي مَثْوَاهُ عَسَىٰ أَن يَنفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلِنُعَلِّمَهُ مِن تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝ وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ آتَيْنَاهُ حُكْمًا وَعِلْمًا وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَن نَّفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ

كنا صادقين فى هذه المقالة ، فذلك على وجه المغالطة منهم ، والأول أظهر (وجاؤا على قميصه بدم كذب أى ذى كذب أو وصف بالمصدر مبالغة ، وروى أنهم لطخوا قميصه بدم جدى ، وقالوا ليعقوب هذا دمه فى قميصه فقال لهم : مال الذئب أكله ولم يخرق قميصه ، فاستدل بذلك على كذبهم (سولت) أى زينت (فصبر جميل) وعد من نفسه بالصبر ، وارتفاعه على أنه مبتدأ تقديره صبر جميل أمثل ، أو خبر مبتدإ تقديره شأنى صبر جميل (وجاءت سيارة) روى أن هؤلاء السيارة من مدين ، وقيل هم أعراب (واردهم) الوارد هو الذى يستقى الماء لجماعة ، ونقل السهيلى أن اسم هذا الوارد مالك بن دعر من العرب العاربة ، ولم يكن له ولد فسأل يوسف أن يدعو له بالولد فدعا له فرزقه الله اثنى عشر ولدا ، أعقب كل واحد منهم قبيلة (قال يابشراى) أى نادى البشرى كقولك ياحسرة ، وأضافها إلى نفسه ، وقرئ يابشرى بحذف ياء المتكلم ، والمعنى كذلك وقيل على هذه القراءة نادى رجلا منهم اسمه بشرى ، وهذا بعيد ، ولما أدلى الوارد الحبل فى الجب تعلق به يوسف فحينئذ قال يابشراى هذا غلام (وأسروه بضاعة) الضمير الفاعل للسيارة والضمير المفعول ليوسف أى أخفوه من الرفقة ، أوقالوا لهم دفعه لنا قوم لنبيعه لهم بمصر (وشروه) أى باعوه ، والضمير أيضا للذين أخذوه ، وقيل الضمير لإخوة يوسف وأنهم رجعوا إليه فقالوا للسيارة هذا عبدنا (بثمن بخس) أى ناقص عن قيمته ، وقيل البخس هنا الظلم (دراهم معدودة) عبارة عن قلتها (وكانوا) الضمير للذين أخذوه أو لإخوته (وقال الذى اشتراه) يعنى العزيز ، وكان حاجب الملك وخازنه ، وقال السهيلى اسمه قطفير (من مصر) هو البلد المعروف ، ولذلك لم ينصرف ، وكان يوسف قد سبق إلى مصر فنودى عليه فى السوق حتى بلغ ثمنه وزنه ذهبا ، وقيل فضة فاشتراه العزيز (تأويل الأحاديث) قدتقدم (والله غالب على أمره) فى عود الضمير وجهان : أحدهما أن يعود على الله فالمعنى أنه يفعل مايشاء لا رادّ لأمره ، والثانى أنه يعود على يوسف أى يدبر الله أمره بالحفظ له والكرامة (بلغ أشدّه) قيل الأشدّ البلوغ ، وقيل ثمان عشرة سنة ؛ وقيل ثلاث وثلاثون ، وقيل أربعون (حكما) هى الحكمة والنبوة (وراودته التى هو فى بيتها عن نفسه) أى طلبت منه مايكون من الرجل إلى المرأة وهى زليخا امرأة العزيز (وغلقت الأبواب) روى أنها كانت سبعة أبواب (هيت لك) اسم فعل معناه تعال وأقبل ، وقرئ بفتح الهاء وكسرها وبفتح التاء وضمها ، والمعنى فى ذلك كله واحد ، وحركة التاء للبناء ، وأمامن قرأ بالهمز فهو فعل من تهيأت كقولك جئت

مَثْوَاىَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّٰلِمُونَ ۞ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوٓءَ وَالْفَحْشَآءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۞ وَاسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَمِيصَهُ مِن دُبُرٍ وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَزَآءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوٓءًا إِلَّآ أَن يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۞ قَالَ هِىَ رَٰوَدَتْنِى عَن نَّفْسِى وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ

(معاذ الله) منصوب على المصدرية ، والمعنى أعوذ بالله (إنه ربى) يحتمل أن يكون الضمير لله تعالى ، أو للذى اشتراه ، لأن السيد يقال له رب ، فالمعنى لا ينبغى لى أن أخونه (إنه لا يفلح الظالمون) الضمير للأمر والشأن، ويحتمل ذلك فى الأول أى الضمير (ولقد همت به وهمّ بها) أكثر الناس الكلام فى هذه الآية حتى ألفوا فيها التآليف ، فنهم مفرط ومفرّط ، وذلك أن منهم من جعل همّ المرأة وهمّ يوسف من حيث الفعل الذى أرادته وذكروا فى ذلك روايات من جلوسه بين رجليها وحله التكة وغير ذلك مما لا ينبغى أن يقال به لضعف نقله ولنزاهة الأنبياء عن مثله ، ومنهم من جعل أنها همت به لتضربه على امتناعه وهم بها ليقتلها أو يضربها ليدفعها وهو بعيد يرده قوله لولا أن رأى برهان ربه ، ومنهم من جعل همها به من حيث مرادها وهمه بها ليدفعها ، وهذا أيضا بعيد لاختلاف سياق الكلام ، والصواب إن شاء الله : أنها همت به من حيث مرادها وهمّ بها كذلك لكنه لم يعزم على ذلك ولم يبلغ إلى ما ذكر من حل التكة وغيرها بل كان همه خطرة خطرت على قلبه لم يطعها ولم يتابعها ، ولكنه بادر بالتوبة والإقلاع عن تلك الخطرة حتى محاها من قلبه لما رأى برهان ربه ، ولا يقدح هذا فى عصمة الأنبياء لأن الهم بالذنب ليس بذنب ولا نقص عليه فى ذلك ، فإنه من همّ بذنب ثم تركه كتبت له حسنة (لولا أن رأى برهان ربه) جوابه محذوف تقديره لولا أن رأى برهان ربه لخالطها ، وإنما حذف لأن قوله همّ بها يدل عليه ، وقد قيل إن «هم بها» هو الجواب ، وهذا ضعيف لأن جواب لولا لا يتقدم عليها ، واختلف فى البرهان الذى رآه ، فقيل ناداه جبريل يا يوسف أتكون فى ديوان الأنبياء وتفعل فعل السفهاء ، وقيل رأى يعقوب ينهاه ، وقيل تفكر فاستبصر ، وقيل رأى زليخا غطت وجه صنم لها حياء منه ، فقال أنا أولى أن أستحى من الله (كذلك لنصرف) الكاف فى موضع نصب متعلقة بفعل مضمر ، التقدير ثبتناه مثل ذلك التثبيت ، أو فى موضع رفع تقديره الأمر مثل ذلك (السوء والفحشاء) خيانة سيده والوقوع فى الزنا (المخلصين) قرئ بفتح اللام حيث وقع أى الذين أخلصهم الله لطاعته ، وبالكسر أى الذين أخلصوا دينهم لله (واستبقا الباب) معناه سبق كل واحد منهما صاحبه إلى الباب فقصد هو الخروج والهروب عنها ، وقصدت هى أن ترده ، فإن قيل كيف قال هنا الباب بالإفراد وقد قال بالجمع وغلقت الأبواب ؟ فالجواب أن المراد هنا الباب البرانى الذى هو المخرج من الدار (وقدت قميصه من دبر) أى قطعته من وراء ، وذلك أنها قبضت قميصه من خلفه لترده فتمزق القميص ، والقدّ القطع بالطول ، والقطع بالعرض (وألفيا سيدها) أى وجدا زوجها عند الباب (قالت ما جزاء من أراد بأهلك سوءا إلا أن يسجن) لما رأت الفضيحة عكست القضية ، وادعت أن يوسف راودها عن نفسها فذكرت جزاء كل من فعل ذلك على العموم ، ولم تصرح بذكر يوسف لدخوله فى العموم ، وبناء على أن الذنب ثابت عليه بدعواها وما جزاء يحتمل أن تكون ما نافية أو استفهامية (قال هى راودتنى عن نفسى) برأ نفسه من دعواها (وشهد

أَهْلِهَآ إِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن قُبُلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ۝ وَإِن كَانَ قَمِيصُهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ فَكَذَبَتْ وَهُوَ مِنَ ٱلصَّـٰدِقِينَ ۝ فَلَمَّا رَءَا قَمِيصَهُۥ قُدَّ مِن دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُۥ مِن كَيْدِكُنَّ إِنَّ كَيْدَكُنَّ عَظِيمٌ ۝ يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَـٰذَا وَٱسْتَغْفِرِى لِذَنۢبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ ٱلْخَاطِـِٔينَ ۝ وَقَالَ نِسْوَةٌ فِى ٱلْمَدِينَةِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ تُرَٰوِدُ فَتَىٰهَا عَن نَّفْسِهِۦ قَدْ شَغَفَهَا حُبًّا إِنَّا لَنَرَىٰهَا فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ۝ فَلَمَّا سَمِعَتْ بِمَكْرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْتَدَتْ لَهُنَّ مُتَّكَـًٔا وَءَاتَتْ كُلَّ وَٰحِدَةٍ مِّنْهُنَّ سِكِّينًا وَقَالَتِ ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ وَقُلْنَ حَـٰشَ لِلَّهِ مَا هَـٰذَا

شاهد) قيل هو ابن عمها وقيل كان طفلا فى المهد فتكلم ، وكونه من أهلها أوجب للحجة عليها وأوثق لبراءة يوسف ، وكونه لم يتكلم قط ، ثم تكلم بذلك كرامة ليوسف عليه السلام ، والتقدير شهد شاهد فقال ، أوضمنت الشهادة معنى القول (إن كان قميصه قد من قبل فصدقت) لأنها كانت تدافعه فتقد قميصه من قبل (وإن كان قميصه قد من دبر فكذبت) لأنها جذبته إلى نفسها حين فر منها فقدت قميصه من دبر (فلما رأى قميصه قد من دبر) فاعل رأى زوجها أو الشاهد (إنه من كيدكن) الضمير للأمر أو لقولها ماجزاء (يوسف أعرض عن هذا) أى اكتمه ولا تحدث به ، ويوسف منادى حذف منه حرف النداء لأنه قريب ، وفى حذف الحرف إشارة إلى تقريبه وملاطفته (واستغفرى لذنبك) خطاب لها ، وذلك من كلام زوجها أو من كلام الشاهد (من الخاطئين) جاء بلفظ التذكير ، ولم يقل من الخاطئات تغليبا للذكور (وقال نسوة فى المدينة) أى فى مصر ، روى أنهن خمس نسوة : امرأة الساقى ، وامرأة الخباز ، وامرأة صاحب الدواب ، وامرأة صاحب السجن وامرأة الحاجب (فتاها) أى غلامها ، والفتى يقال بمعنى الشاب ، وبمعنى الخادم (شغفها) بلغ شغاف قلبها وهو غلافه ، وقيل السويداء منه ، وقيل الشغاف داء يصل إلى القلب (سمعت بمكرهن) أى بقولهن وسماه مكرا لأنه كان فى خفية ، وقيل كانت قد استكتمتهن سرها فأفشينه عليها (وأعتدت لهن متكأ) أى أعتدت لهن مايتكأ عليه من الفرش ونحوها ، وقيل المتكأ طعام ، وقرئ فى الشاذ متكا بسكون التاء وتنوين الكاف ، وهو الأترج ، وإعطاؤها السكاكين لهن يدل على أن الطعام كان مما يقطع بالسكاكين كالأترج ، وقيل كان لحما (وقالت اخرج عليهن) أمر ليوسف ، وإنما أطاعها لأنه كان مملوك زوجها (أكبرنه) أى عظمن شأنه وجماله ، وقيل معنى أكبرن حضن ، والهاء للسكت ، وهذا بعيد جدا (وقطعن أيديهن) أى اشتغلن بالنظر إليه وبهتن من جماله حتى قطعن أيديهن وهن لايشعرن كما يقطع الطعام (حاش لله) معناه براءة وتنزيه : أى تنزيه لله وتعجب من قدرته على خلقة مثله ، وحاش فى باب الاستثناء تخفض على أنها حرف ، وأجاز المبرد النصب بها على أن تكون فعلا ، وأما هنا فقال أبو على الفارسى إنها فعل ، والدليل على ذلك من وجهين : أحدهما أنها دخلت على لام الخبر وهو اللام فى قوله لله ، ولا يدخل الحرف على حرف ، والآخر أنها حذفت منها الألف على قراءة الجماعة والحروف لايحذف منها شىء وقرأها أبو عمرو بالألف على الأصل وإنما تحذف من الأفعال كقولك لم يك ولا أدرى ، والفاعل بحاش ضمير يعود على يوسف تقديره بعد يوسف عن الفاحشة لخوف الله ، وقال الزمخشرى إن حاش وضع موضع المصدر كأنه قال تنزيها ، ثم قال الله ليبين من ينزه قال وإنما حذف منه

بَشَرًا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ۞ قَالَتْ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِى لُمْتُنَّنِى فِيهِ وَلَقَدْ رَٰوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ وَلَئِن لَّمْ يَفْعَلْ مَآ ءَامُرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونًا مِّنَ الصَّٰغِرِينَ ۞ قَالَ رَبِّ السِّجْنُ أَحَبُّ إِلَىَّ مِمَّا يَدْعُونَنِىٓ إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّى كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُن مِّنَ الْجَٰهِلِينَ ۞ فَاسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَفَ عَنْهُ كَيْدَهُنَّ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ۞ ثُمَّ بَدَا لَهُم مِّن بَعْدِ مَا رَأَوُا الْءَايَٰتِ لَيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ حِينٍ ۞ وَدَخَلَ مَعَهُ السِّجْنَ فَتَيَانِ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْءَاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ الطَّيْرُ مِنْهُ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ الْمُحْسِنِينَ ۞ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِهِ إِلَّا نَبَّأْتُكُمَا بِتَأْوِيلِهِ قَبْلَ أَن يَأْتِيَكُمَا ذَٰلِكُمَا مِمَّا عَلَّمَنِى رَبِّىٓ إِنِّى تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَّا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُم بِالْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ۞ وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانَ لَنَآ أَن نُّشْرِكَ بِاللَّهِ مِن شَىْءٍ ذَٰلِكَ مِن فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ۞ يَٰصَٰحِبَىِ السِّجْنِ ءَأَرْبَابٌ مُّتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَٰحِدُ الْقَهَّارُ ۞ مَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِهِٓ إِلَّآ أَسْمَآءً سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ اللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ أَمَرَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا إِلَّآ إِيَّاهُ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ

التنوين مراعاة لأصله من الحرفية (ماهذا بشرا) أخرجنه من البشر وجعلنه من الملائكة مبالغة فى وصف الحسن (إن هذا إلا ملك كريم قالت فذلكن الذى لمتننى فيه) توبيخ لهن على اللوم (فاستعصم) أى طلب العصمة وامتنع مما أرادت منه (أصب إليهن) أى أميل وكلامه هذا تضرع إلى الله (ثم بدا لهم) أى ظهر والفاعل محذوف تقديره رأى والضمير فى لهم لزوجها وأهلها أو من تشاور معه فى ذلك (رأوا الآيات) أى الأدلة على براءته (ودخل معه السجن فتيان) أى شابان ، وقيل هنا محذوف لابد منه وهو فسجنوه ، وكان يوسف قد قال لأهل السجن إنى أعبر الرؤيا ، وكذلك سأله الفتيان عن منامهما ، وقيل إنهما استعملاها ليجرباه ، وقيل رأيا ذلك حقا (أعصر خمرا) قيل فيه سمى العنب خمرا بما يؤول إليه وقيل هى لغة (إنا نراك من المحسنين) قيل معناه فى تأويل الرؤيا ، وقيل إحسانه إلى أهل السجن (قال لا يأتيكما طعام ترزقانه) الآية : تقتضى أنه وصف لهما نفسه بكثرة العلم ليجعل ذلك وصلة إلى دعائهما لتوحيد الله ، وفيه وجهان : أحدهما أنه قال يخبرهما بكل ما يأتيهما فى الدنيا من طعام قبل أن يأتيهما ، وذلك من الإخبار بالغيوب الذى هو معجزة الأنبياء ، والآخر أنه قال لا يأتيكما طعام فى المنام إلا أخبرتكما بتأويله قبل أن يظهر تأويله فى الدنيا (ذلكما مما علمنى ربى) روى أنهما قالا له من أين لك هذا العلم وأنت لست بكاهن ولا منجم ، فقال: ذلكما مما علمنى ربى (إنى تركت ملة قوم لا يؤمنون بالله) يحتمل أن يكون هذا الكلام تعليلا لما قبله من قوله علمنى ربى أو يكون استئنافا (ياصاحبى السجن) نسبهما إلى السجن إما لأنهما سكناه أو لأنهما صاحباه فيه ؛ كأنه قال ياصاحبى فى السجن (ءأرباب متفرقون) الآية : دعاهما إلى توحيد الله ، وأقام عليهما الحجة رغبة فى إيمانهما (ما تعبدون من دونه إلا أسماء) أوقع الأسماء هنا موقع المسميات والمعنى سميتم مالا يستحق الألوهية آلهة ثم عبدتموها

أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * يَٰصَٰحِبَيِ السِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ الطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ٭ وَقَالَ لِلَّذِى ظَنَّ أَنَّهُۥ نَاجٍ مِّنْهُمَا اذْكُرْنِى عِندَ رَبِّكَ فَأَنسَٰهُ الشَّيْطَٰنُ ذِكْرَ رَبِّهِۦ فَلَبِثَ فِى السِّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ * وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّىٓ أَرَىٰ سَبْعَ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعَ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ يَٰٓأَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِى فِى رُءْيَٰىَ إِن كُنتُمْ لِلرُّءْيَا تَعْبُرُونَ ٭ قَالُوٓا أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَحْلَٰمِ بِعَٰلِمِينَ ٭ وَقَالَ الَّذِى نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ أَنَا۠ أُنَبِّئُكُم بِتَأْوِيلِهِۦ فَأَرْسِلُونِ ٭ يُوسُفُ أَيُّهَا الصِّدِّيقُ أَفْتِنَا فِى سَبْعِ بَقَرَٰتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ وَسَبْعِ سُنۢبُلَٰتٍ خُضْرٍ وَأُخَرَ يَابِسَٰتٍ لَّعَلِّىٓ أَرْجِعُ إِلَى النَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ * قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِى سُنۢبُلِهِۦٓ إِلَّا قَلِيلًا

(من سلطان) أى حجة وبرهان (فيسقى ربه خمراً) يعنى الملك (وقال للذى ظن أنه ناج منهما) الظن هنا يحتمل أن يكون بمعنى اليقين ، لأن قوله قضى الأمر يقتضى ذلك ، أو يكون على بابه ، لأن عبارة الرؤيا ظن (اذكرنى عند ربك) يعنى الملك (فأنساه الشيطان ذكر ربه) قيل الضمير ليوسف أى نسى فى ذلك الوقت أن يذكر الله ، ورجا غيره فعاقبه الله على ذلك بأن لبث فى السجن ، وقيل الضمير للذى نجا منهما وهو الساقى أى نسى ذكر يوسف عند ربه ، فأضاف الذكر إلى ربه إذ هو عنده ، والرب على هذا التأويل الملك (بضع سنين) البضع من الثلاثة إلى العشرة ، وقيل إلى التسعة ، وروى أن يوسف عليه السلام سجن خمس سنين أولا ثم سجن بعد قوله ذلك سبع سنين (وقال الملك) هو ملك مصر الذى كان العزيز خادما له واسمه ريان بن الوليد ، وقيل مصعب بن الريان ، وكان من الفراعنة ، وقيل إنه فرعون موسى عمر أربعمائة سنة حتى أدركه موسى وهذا بعيد (إنى أرى سبع بقرات سمان) يعنى فى المنام (عجاف) أى ضعاف فى غاية الهزال (ياأيها الملأ) خطاب لجلسائه وأهل دولته (للرؤيا تعبرون) أى تعرفون تأويلها ، يقال عبرت الرؤيا بتخفيف الباء وأنكر بعضهم التشديد ، وهو مسموع من العرب ، وأدخلت اللام على المفعول به لما تقدم عن الفعل (قالوا أضغاث أحلام) أى تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ووسوسة شيطان بحيث لا يعبر ، وأصل الأضغاث ماجمع من أخلاط النبات ، واحده ضغث ، فإن قيل: لم قال أضغاث أحلام بالجمع ، وإنما كانت الرؤيا واحدة ؟ فالجواب أن هذا كقولك فلان يركب الخيل وإن ركب فرسا واحدا (وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين) إما أن يريدوا تأويل الأحلام الباطلة أو تأويل الأحلام على الإطلاق وهو الأظهر (وقال الذى نجا منهما) هو ساقى الملك (وادكر بعد أمة) أى بعد حين (يوسف أيها الصديق) يقدر قبله محذوف لابد منه وهو فأرسلوه فقال يايوسف ، وسماه صديقا لأنه كان قد جرب صدقه فى تعبير الرؤيا وغيرها ، والصديق مبالغة من الصدق (أفتنا فى سبع بقرات) أى فيمن رأى سبع بقرات وكان الملك قد رأى سبع بقرات سمان أكلتهن سبع عجاف فعجب كيف علتهن وكيف وسعت فى بطونهن ، ورأى سبع سنبلات خضر ، وقد التفت بها سبع يابسات حتى غطت خضرتها (تزرعون سبع سنين) هذا تعبير للرؤيا ،

مِمَّا تَأْكُلُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ * ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ ارْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَاسْأَلْهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ اللَّاتِي قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّي بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ * قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَاوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِ قُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوءٍ قَالَتِ امْرَأَتُ الْعَزِيزِ الْآنَ حَصْحَصَ الْحَقُّ أَنَا رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ وَإِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ * ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخُنْهُ بِالْغَيْبِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ * وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ

وذلك أنه عبر البقرات السمان بسبع سنين مخصبة وعبر البقرات العجاف بسبع سنين مجدبة فكذلك السنبلات الخضر واليابسة (دأبا) بسكون الهمزة وفتحها مصدر دأب على العمل إذا داوم عليه ، وهو مصدر فى موضع الحال (فما حصدتم فذروه فى سنبله) هذا رأى أرشدهم يوسف إليه ، وذلك أن أرض مصر لا يبقى فيها الطعام عامين ، فعلمهم حيلة يبقى بها من السنين المخصبة إلى السنين المجدبة ، وهى أن يتركوه فى سنبله غير مدروس ، فإن الحبة إذا بقيت فى غشائها انحفظت (إلا قليلا مما تأكلون) أى لا تدرسوا منه إلا ما يحتاج إلى الأكل خاصة (سبع شداد) يعنى سبع سنين ذات شدة وجوع (يأكلن ما قدمتم لهن) أى تأكلون فيهن ما اخترتم من الطعام فى سنبله ، وأسند الأكل إلى السنين مجازا (مما تحصنون) أى تخزنون وتخبئون (ثم يأتى من بعد ذلك عام) هذا زيادة على ما تقتضيه الرؤيا ، وهو الإخبار بالعام الثامن (يغاث الناس) يحتمل أن يكون من الغيث أى يمطرون ، أو من الغوث : أى يفرج الله عنهم (وفيه يعصرون) أى يعصرون الزيتون والعنب والسمسم وغير ذلك مما يعصر (وقال الملك ائتونى به) قيل هنا محذوف ، وهو فرجع الرسول إلى الملك فقص عليه مقالة يوسف فرأى علمه وعقله ، فقال ائتونى به (قال ارجع إلى ربك فاسأله) لما أمر الملك بإخراج يوسف من السجن وإتيانه إليه أراد يوسف أن يبرئ نفسه مما نسب إليه من مراودة امرأة العزيز عن نفسها ، وأن يعلم الملك وغيره أنه سجن ظلما فذكر طرفا من قصته لينظر الملك فيها فيتبين له الأمر ، وكان هذا الفعل من يوسف صبرا وحلما ، إذ لم يجب إلى الخروج من السجن ساعة دعى إلى ذلك بعد طول المدة ، ومع ذلك فإنه لم يذكر امرأة العزيز رعيا لذمام زوجها وسترا لها ، بل ذكر النسوة اللاتى قطعن أيديهن (قال ما خطبكن) الآية جمع الملك النسوة وامرأة العزيز معهن ، فسألهن عن قصة يوسف ، وأسند المراودة إلى جميعهن ، لأنه لم يكن عنده علم بأن امرأة العزيز هى التى راودته وحدها (قلن حاش لله) تبرئة ليوسف أو تبرئة لأنفسهن من مراودته وتكون تبرئة ليوسف بقولهن : ما علمنا عليه من سوء (الآن حصحص الحق) أى تبين وظهر ، ثم اعترفت على نفسها بالحق (ذلك ليعلم أنى لم أخنه بالغيب) قيل إنه من كلام امرأة العزيز متصلا بما قبله ، والضمير فى يعلم وأخنه على هذا ليوسف عليه السلام أى ليعلم يوسف أنى لم أكذب عليه فى حال غيبته ، والإشارة بذلك إلى توبتها وإقرارها ، وقيل إنه من كلام يوسف عليه السلام ، فالضمير للعزيز أى لم أخنه فى زوجته فى غيبته ، بل تعففت عنها والإشارة بذلك إلى توقفه عن الخروج من السجن حتى تظهر براءته (وما أبرئ نفسى) اختلف أيضا هل هو من كلام امرأة العزيز ، أو من كلام يوسف ، فإن كان من كلامها فهو اعتراف

النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّيَ إِنَّ رَبِّي غَفُورٌ رَحِيمٌ * وَقَالَ الْمَلِكُ ائْتُونِي بِهِ أَسْتَخْلِصْهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَّمَهُ قَالَ إِنَّكَ الْيَوْمَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ * قَالَ اجْعَلْنِي عَلَىٰ خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلِيمٌ * وَكَذَٰلِكَ مَكَّنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَوَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ نَشَاءُ وَلَا نُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ * وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ * وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفَهُمْ وَهُمْ لَهُ مُنْكِرُونَ * وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ

بعد الاعتراف ، وإن كان من كلامه فهو اعتراف بما هم به على وجه خطوره على قلبه ، لا على وجه العزم والقصد ، وقاله فى عموم الأحوال على وجه التواضع (إن النفس لأمارة بالسوء) النفس هنا للجنس والنفوس ثلاثة أنواع : أمارة بالسوء ، ولوّامة وهى التى تلوم صاحبها ومطمئنة (إلا مارحم ربى) استثناء من النفس إذ هى بمعنى النفوس أى الأنفس المرحومة وهى المطمئنة ، فما على هذا بمعنى الذى ، ويحتمل أن تكون ظرفية أى إلا حين رحمة الله (أستخلصه لنفسى) أى أجعله خاصتى وخلاصتى قال أولا ائتونى به فلما تبين له حاله قال أستخلصه لنفسى (فلما كلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين) أى فلما رأى حسن كلامه وعرف وفور عقله وعلمه قال إنك اليوم لدينا مكين أمين ، والمكين من التمكين ، والأمين من الأمانة (قال اجعلنى على خزائن الأرض) لما فهم يوسف من الملك أنه يريد تصريفه والاستعانة به قال له ذلك ، وإنما طلب منه الولاية رغبة منه فى العدل وإقامة الحق والإحسان ، وكان هذا الملك كافرا ، ويستدل بذلك على أنه يجوز للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر إذا علم أنه يصلح بعض الأحوال ، وقيل إن الملك أسلم ، وأراد بقوله خزائن الأرض : أرض مصر إذ لم يكن للملك غيرها ، والخزائن كل مايخزن من طعام ومال وغير ذلك (إنى حفيظ عليم) صفتان تعمان وجوه المعرفة والضبط للخزائن وقيل حفيظ للحساب عليم بالألسن ، واللفظ أعم من ذلك ، ويستدل بذلك أنه يجوز للرجل أن يعرف بنفسه ويمدح نفسه بالحق إذا جهل أمره وإذا كان فى ذلك فائدة (وكذلك مكنا ليوسف فى الأرض) الإشارة بذلك إلى ماتقدم من جميل صنع الله به ، وروى أن الملك ولاه فى موضع العزيز وأسند إليه جميع الأمور حتى تغلب على أمره وأن امرأة العزيز شاخت وافتقرت فتزوجها يوسف ودعا الله فرد عليها جمالها وشبابها وأنه باع من أهل مصر فى أعوام القحط الطعام بالدنانير والدراهم فى السنة الأولى حتى لم يبق لهم شىء منها ، ثم بالحلى ، ثم بالدواب ثم بالضياع والعقار ثم برقابهم حتى تملكهم جميعا ثم أعتقهم ورد عليهم أملاكهم (نصيب برحمتنا من نشاء) الرحمة هنا يراد بها الدنيا وكذلك الأجر فى قوله ولا نضيع أجر المحسنين بدليل قوله بعد ذلك ولأجر الآخرة خير ، فأخبر تعالى أن رحمته فى الدنيا يصيب بها من يشاء من مؤمن و كافر ومطيع وعاص ، وأن المحسن لابد له من أجره فى الدنيا ، فالأول فى المشيئة ، والثانى واقع لامحالة ، ثم أخبر أن أجر الآخرة خير من ذلك كله : للذين آمنوا ، وكانوا يتقون ، وفى الآية إشارة إلى أن يوسف عليه السلام جمع الله له بين خيرى الدنيا والآخرة (وجاء إخوة يوسف) كان سبب مجيئهم أنهم أصابتهم مجاعة فى بلادهم ، فخرجوا إلى مصر ليشتروا بها من الطعام الذى ادخره يوسف (فعرفهم وهم له منكرون) إنما أنكروه لبعد العهد به وتغيير سنه أو لأنه كان متلثما ، روى أنهم دخلوا عليه وهو على هيئة عظيمة من الملك وأنه سألهم

بِجَهَازِهِمْ قَالَ ائْتُونِي بِأَخٍ لَكُمْ مِنْ أَبِيكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنِّي أُوفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ • فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا تَقْرَبُونِ • قَالُوا سَنُرَاوِدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَّا لَفَاعِلُونَ • وَقَالَ لِفِتْيَانِهِ اجْعَلُوا بِضَاعَتَهُمْ فِي رِحَالِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَعْرِفُونَهَا إِذَا انْقَلَبُوا إِلَى أَهْلِهِمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ • فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَى أَبِيهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مُنِعَ مِنَّا الْكَيْلُ فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ • قَالَ هَلْ آمَنُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمِنْتُكُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلُ فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ • وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ وَجَدُوا بِضَاعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي هَٰذِهِ بِضَاعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ • قَالَ لَنْ أُرْسِلَهُ مَعَكُمْ حَتَّىٰ تُؤْتُونِ مَوْثِقًا مِنَ اللَّهِ لَتَأْتُنَّنِي بِهِ إِلَّا أَنْ يُحَاطَ بِكُمْ فَلَمَّا آتَوْهُ مَوْثِقَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ • وَقَالَ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمَرَهُمْ أَبُوهُمْ مَا كَانَ يُغْنِي عَنْهُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَإِنَّهُ لَذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَّمْنَاهُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ • وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ

عن أحوالهم ، وأخبروه أنهم تركوا أخاً لهم ، فحينئذ قال لهم ائتونى بأخ لكم من أبيكم وهو بنيامين شقيق يوسف (ولما جهزهم بجهازهم) الجهاز مايحتاج إليه المسافر من زاد وغيره ، والمراد به هنا الطعام الذى باع منهم (خير المنزلين) أى المضيفين (وإنا لفاعلون) أى نفعل ذلك لامحالة (وقال لفتيانه) جمع فتى وهو الخادم سواء كان حرا أو عبدا (اجعلوا بضاعتهم فى رحالهم) أمر أن يجعلوا البضاعة التى اشتروا منه بها الطعام فى أوعيتهم (لعلهم يعرفونها) أى لعلهم يعرفون اليد والكرامة فى ردّ البضاعة إليهم ، وليس الضمير للبضاعة (لعلهم يرجعون) أى لعل معرفتهم بها تدعوهم إلى الرجوع وقصد برد البضاعة إليهم مع الطعام استئلافهم بالإحسان إليهم (منع منا الكيل) إشارة إلى قولهم وإن لم تأتونى به فلا كيل لكم عندى فهو خوف من المنع فى المستقبل (نكتل) وزنه نفتعل من الكيل (مانبغى) ما استفهامية ونبغى بمعنى نطلب ، والمعنى أى شىء نطلبه بعد هذه الكرامة وهى ردّ البضاعة مع الطعام ، ويحتمل أن تكون ما نافية ونبغى من البغى : أى لا نتعدى على أخينا ولا نكذب على الملك (ونمير أهلنا) أى نسوق لهم الطعام (ونزداد كيل بعير) يريدون بعير أخيهم إذ كان يوسف لايعطى إلا كيل بعير من الطعام لإنسان فأعطاهم عشرة أبعرة ومنعهم الحادى عشر لغيبة صاحبه حتى يأتى والبعير الجمل (ذلك كيل يسير) إن كانت الإشارة إلى الأحمال فالمعنى أنها قليلة لاتكفيهم حتى يضاف إليها كيل بعير ، وإن كانت الإشارة إلى كيل بعير ، فالمعنى أنه يسير على يوسف أى قليل عنده أو سهل عليه ، فلا يمنعهم منه (حتى تؤتون موثقا من الله) أراد أن يحلفوا له ولتأتنّنى به جواب اليمين (إلا أن يحاط بكم) أى إلا أن تغلبوا فلا تطيقون الإتيان به (يابنىّ لاتدخلوا من باب واحد) خاف عليهم من العين إن دخلوا مجتمعين إذ كانوا أهل جمال وهيبة (ماكان يغنى عنهم) جواب لما والمعنى أن ذلك

ءاوى إليه أخاه قال إنى أنا أخوك فلا تبتئس بما كانوا يعملون ۝ فلما جهزهم بجهازهم جعل السقاية فى رحل أخيه ثم أذن مؤذن أيتها العير إنكم لسارقون ۝ قالوا وأقبلوا عليهم ماذا تفقدون ۝ قالوا نفقد صواع الملك ولمن جاء به حمل بعير وأنا به زعيم ۝ قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض وما كنا سارقين ۝ قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين ۝ قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه كذلك نجزى الظالمين ۝ فبدأ بأوعيتهم قبل وعاء أخيه ثم استخرجها من وعاء أخيه كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا

لايدفع ماقضاه الله (إلا حاجة) استثناء منقطع ، والحاجة هنا هى شفقته عليهم ووصيته لهم (آوى إليه أخاه) أى ضمه (قال إنى أنا أخوك) أخبره بأنه أخوه، واستكتمه ذلك (فلا تبتئس) أى لاتحزن فهو من البؤس (بما كانوا يعملون) الضمير لإخوة يوسف ، ويعنى مافعلوا بيوسف وأخيه ، ويحتمل أن يكون لفتيانه : أى لاتبالى بما تراه من تحيلى فى أخذك (جعل السقاية فى رحل أخيه) السقاية هى الصواع ، وهى إناء يشرب فيه الملك ويأكل فيه الطعام، وكان من فضة، وقيل من ذهب، وقصد بجعله فى رحل أخيه أن يحتال على إمساكه معه إذ كان شرع يعقوب أن من سرق استعبده المسروق له (ثم أذن مؤذن) أى نادى مناد (أيتها العير) أى أيتها الرفقة (إنكم لسارقون) خطاب لإخوة يوسف ، وإنما استحل أن يرميهم بالسرقة لما فى ذلك من المصلحة من إمساك أخيه ، وقيل إن حافظ السقاية نادى: إنكم لسارقون ، بغير أمر يوسف وهذا بعيد لتفتيش الأوعية (ولمن جاء به حمل بعير) أى لمن جبره ورده حمل بعير من طعام على وجه الجعل (وأنا به زعيم) أى ضامن لحمل البعير لمن ردّ الصواع، وهذا من كلام المنادى (قالوا تالله لقد علمتم ما جئنا لنفسد فى الأرض) أى استشهدوا بعلمهم لما ظهر لهم من دياناتهم فى دخولهم أرضهم حتى كانوا يجعلون الأكمة فى أفواه إبلهم لئلا تنال زروع الناس (قالوا فما جزاؤه إن كنتم كاذبين) أى قال فتيان يوسف ماجزاء آخذ الصواع إن كنتم كاذبين فى قولكم وما كنا سارقين ، فالضمير فى قوله جزاؤه يعود على الآخذ المفهوم من الكلام (قالوا جزاؤه من وجد فى رحله فهو جزاؤه) المعنى أن إخوة يوسف أفتوا فيما سئلوا عنه فقالوا جزاء السارق أن يستعبد ، ويؤخذ فى السرقة ، وأما الإعراب فيحتمل وجهين : الأول : أن يكون جزاؤه الأول مبتدأ ومن مبتدأ ثان وهى شرطية أو موصولة ، وخبرها فهو جزاؤه، والجملة خبر جزاؤه الأول، والوجه الثانى : أن يكون من خبر المبتدأ الأول على حذف مضاف، وتقديره جزاؤه أخذ من وجد فى رحله وتم الكلام. ثم قال فهو جزاؤه أى هذا الحكم جزاؤه (وكذلك نجزى الظالمين) من كلام إخوة يوسف أى هذا حكمنا فى السراق ، وقد كان هذا الحكم فى أول الإسلام ، ثم نسخ بقطع الأيدى (فبدأ بأوعيتهم) هذا تمكين للحيلة ورفع للتهمة (ثم استخرجها من وعاء أخيه) ليصح له بذلك إمساكه معه، وإنما أنث الصواع فى هذا الموضع لأنه سقاية، أو لأن الصواع يذكر ويؤنث (كذلك كدنا ليوسف) أى صنعنا له هذا الصنع (ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك) أى فى شرعه أو عادته ، لأنه إنما كان جزاء السارق عنده أن يضرب ويضاعف عليه الغرم ، ولكن حكم فى هذه القضية آل يعقوب (نرفع درجات من نشاء) يعنى الرفعة بالعلم بدليل مابعده (وفوق كل ذى علم عليم) أى

أَن يَشَاءَ اللَّهُ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ وَفَوْقَ كُلِّ ذِى عِلْمٍ عَلِيمٌ . قَالُوٓا۟ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِى نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ . قَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْعَزِيزُ إِنَّ لَهُۥٓ أَبًا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَحَدَنَا مَكَانَهُۥٓ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ . قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ أَن نَّأْخُذَ إِلَّا مَن وَجَدْنَا مَتَٰعَنَا عِندَهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّظَٰلِمُونَ . فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ خَلَصُوا۟ نَجِيًّا قَالَ كَبِيرُهُمْ أَلَمْ تَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُم مَّوْثِقًا مِّنَ ٱللَّهِ وَمِن قَبْلُ مَا فَرَّطتُمْ فِى يُوسُفَ فَلَنْ أَبْرَحَ ٱلْأَرْضَ حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِىٓ أَبِىٓ أَوْ يَحْكُمَ ٱللَّهُ لِى وَهُوَ خَيْرُ ٱلْحَٰكِمِينَ . ٱرْجِعُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَبِيكُمْ فَقُولُوا۟ يَٰٓأَبَانَآ إِنَّ ٱبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَآ إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَٰفِظِينَ . وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا

فوق كل عالم من هو أعلم منه من البشر ، أو الله عز وجل (قالوا إن يسرق فقد سرق أخ له من قبل) الضمير فى قالوا لإخوة يوسف ، وأشاروا الى يوسف ، ومعنى كلامهم إن يسرق بنيامين ، فقد سرق أخوه يوسف من قبل ، فهذا الأمر إنما صدر من ابنى راحيل لامنا ، وقصدوا بذلك رفع المعرة عن أنفسهم ، ورموا بها يوسف وشقيقه ، واختلف فى السرقة التى رموا بها يوسف على ثلاثة أقوال : الأول أن عمته ربته ، فأراد والده أن يأخذه منها ، وكانت تحبه ولا تصبر عنه ، فجعلت عليه منطقة لها ، ثم قالت إنه أخذها فاستعبدته بذلك وبقى عندها إلى أن ماتت ، والثانى أنه أخذ صنما لجده والد أمه فكسره ، والثالث أنه كان يأخذ الطعام من دار أبيه ويعطيه المساكين (فأسرها يوسف فى نفسه) قال الزمخشرى الضمير للجملة التى بعد ذلك وهى قوله أنتم شرّ مكانا ، والمعنى قال فى قوله أنتم شر مكانا وقال ابن عطية : الضمير للحرارة التى وجد فى نفسه من قولهم فقد سرق أخ له من قبل وأسر كراهية مقالتهم ثم جاهرهم بقوله أنتم شر مكانا أى لسوء أفعالكم (والله أعلم بما تصفون) إشارة إلى كذبهم فيما وصفوه به من السرقة (إن له أبا شيخا كبيرا) استعطافا وكانوا قد أعلموه بشدّة محبة أبيه فيه (فخذ أحدنا مكانه) على وجه الضمان والاسترهان ، والانقياد ، وهذا هو الأظهر لقوله معاذ الله أن نأخذ إلا من وجدنا متاعنا عنده (من المحسنين) أى أحسنت إلينا فيما فعلت معنا من قبل أو على الإطلاق (استيئسوا) أى يئسوا (خلصوا نجيا) أى انفردوا عن غيرهم يناجى بعضهم بعضا ، والنجى يكون بمعنى المناجى أو مصدرا (قال كبيرهم) قيل كبيرهم فى السن وهو روبيل ، وقيل كبيرهم فى الرأى وهو شمعون ، وقيل يهوذا (ومن قبل ما فرطتم فى يوسف) تحتمل ما ، وجوها : الأول أن تكون زائدة ، والثانى أن تكون مصدرية ومحلها الرفع بالابتداء تقديره وقع من قبل تفريطكم فى يوسف ، والثالث أن تكون موصولة ومحلها أيضا الرفع كذلك ، والأول أظهر (فلن أبرح الأرض) يريد الموضع الذى وقعت فيه القصة (ارجعوا إلى أبيكم) من قول كبيرهم ، وقيل من قول يوسف وهو بعيد (إن ابنك سرق) قرأ الجمهور بفتح الراء والسين ، وروى عن الكسائى سرق بضم السين وكسر وتشديد الراء أى نسبت له السرقة (وما شهدنا إلا بما علمنا) أى قولنا لك إن ابنك : إنما هو شهادة بما علمنا من ظاهر ما جرى (وما كنا للغيب حافظين) أى لا نعلم الغيب هل ذلك حق فى نفس الأمر ، أم لا ، إذ يمكن أن يدس الصواع فى رحله من غير علمه وقال الزمخشرى المعنى ما شهدنا إلا بما علمنا من سرقته وتيقناه ، لأن الصواع استخرج من وعائه ، وما كنا للغيب حافظين

فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا وَإِنَّا لَصَادِقُونَ • قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ • وَتَوَلَّى عَنْهُمْ وَقَالَ يَا أَسَفَى عَلَى يُوسُفَ وَابْيَضَّتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ • قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَأُ تَذْكُرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ • قَالَ إِنَّمَا أَشْكُو بَثِّي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ • يَا بَنِيَّ اذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَيْأَسُوا مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ • فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَا أَيُّهَا الْعَزِيزُ مَسَّنَا وَأَهْلَنَا الضُّرُّ وَجِئْنَا بِبِضَاعَةٍ مُزْجَاةٍ فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَجْزِي الْمُتَصَدِّقِينَ • قَالَ هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ

أى ماعلمنا أنه سيسرق حين أعطيناك الميثاق ، وقراءة سرق بالفتح تعضد قول الزمخشرى ، والقراءة بالضم تعضد القول الأول (واسأل القرية) تقديره واسأل أهل القرية ، وكذلك أهل العير . يعنون الرفقة ، هذا هو قول الجمهور وقيل المراد سؤال القرية بنفسها والعير بنفسها ولا يبعد أن تخبره الجمادات لأنه نبي والأول أظهر وأشهر على أنه مجاز ، والقرية هنا هى مصر (قال بل سولت لكم) قبله محذوف تقديره : فرجعوا إلى أبيهم فقالوا له هذا الكلام فقال بل سولت الآية (بهم جميعا) يعنى يوسف وأخاه بنيامين ، وأخاهم الكبير الذى قال لن أبرح الأرض (وتولى عنهم) لما لم يصدقهم ، أعرض عنهم ورجع إلى التأسف (وقال ياأسفى على يوسف) تأسف على يوسف دون أخيه الثانى والثالث ، الذاهبين ، لأن حزنه عليه كان أشد لإفراط محبته ولأن مصيبته كانت السابقة (وابيضت عيناه من الحزن) أى من البكاء الذى هو ثمرة الحزن ، فقيل إنه عمى ، وقيل إنه كان يدرك إدراكا ضعيفا ، وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أن يعقوب حزن حزن سبعين ثكلى وأعطى أجر مائة شهيد ، وماساء ظنه بالله قط (فهو كظيم) قيل إنه فعيل بمعنى فاعل أي كاظم لحزنه لايظهره لأحد ، ولايشكو إلا لله وقيل بمعنى مفعول كقوله « إذ نادى وهو مكظوم » أى مملوء القلب بالحزن ، أو بالغيظ على أولاده ، وقيل الكظيم : الشديد الحزن (تالله تفتؤ) أى لا تفتؤ . والمعنى لاتزال ، وحذف حرف النفي لأنه لايلتبس بالإثبات : لأنه لو كان إثباتا لكان مؤكدا باللام والنون (حرضا) أى مشرفا على الهلاك (قال إنما أشكو بثى وحزنى إلى الله) ردّ عليهم فى تفنيدهم له : أى إنما أشكو إلى الله لا إليكم ولا إلى غيركم ، والبث : أشد الحزن (وأعلم من الله مالا تعلمون) أى أعلم من لطفه ورأفته ورحمته مايوجب حسن ظنى به وقوة رجائى فيه (يابنىّ اذهبوا) يعنى إلى الأرض التى تركتم بها أخويكم (فتحسسوا من يوسف وأخيه) أى تعرفوا خبرهما ، والتحسس طلب الشىء بالحواس السمع والبصر . وإنما لم يذكر الولد الثالث ، لأنه بقى هناك اختيارا منه ، ولأن يوسف وأخاه كانا أحب إليه (ولا تيئسوا من روح الله) أى من رحمة الله (إنه لاييأس من روح الله إلا القوم الكافرون) إنما جعل اليأس من صفة الكافر ، لأن سببه تكذيب الربوبية أوجهلا بصفات الله من قدرته وفضله ورحمته (فلما دخلوا عليه) أى على يوسف وقيل هذا محذوف تقديره فرجعوا إلى مصر (الضر) يريدون به المجاعة أوالهم على إخوتهم (ببضاعة مزجاة) يعنون الدراهم التى جاءوا بها لشراء الطعام ، والمزجاة القليلة ، وقيل الرديئة ، وقيل الناقصة ، وقيل إن بضاعتهم كانت عروضا

يُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْتُمْ جَٰهِلُونَ ﴿ قَالُوٓا أَءِنَّكَ لَأَنتَ يُوسُفُ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَٰذَآ أَخِى قَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَآ إِنَّهُۥ مَن يَتَّقِ وَيَصْبِرْ فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿ قَالُوا تَٱللَّهِ لَقَدْ ءَاثَرَكَ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَإِن كُنَّا لَخَٰطِـِٔينَ ﴿ قَالَ لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿ ٱذْهَبُوا بِقَمِيصِى هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿ وَلَمَّا فَصَلَتِ ٱلْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّى لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ ﴿ قَالُوا تَٱللَّهِ إِنَّكَ لَفِى ضَلَٰلِكَ ٱلْقَدِيمِ ﴿ فَلَمَّآ أَن جَآءَ ٱلْبَشِيرُ أَلْقَىٰهُ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ فَٱرْتَدَّ بَصِيرًا قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿ قَالُوا يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿ قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ

فلذلك قالوا هذا (وتصدق علينا) قيل يعنون بما بين الدراهم الجياد ودراهمهم ، وقيل أوف لنا الكيل الذى هو حقنا وزدنا على حقنا ، وسموا الزيادة صدقة ، ويقتضى هذا أن الصدقة كانت حلالا للأنبياء قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقيل تصدق علينا برد أخينا إلينا (إن الله يجزى المتصدقين) قال النقاش : هو من المعاريض وذلك أنهم كانوا يعتقدون أنه كافر ، لأنهم لم يعرفوه ، فظنوا أنه على دين أهل مصر ، فلو قالوا إن الله يجزيك بصدقتك كذبوا ، فقالوا لفظا يوهم أنهم أرادوه وهم لم يريدوه (قال هل علمتم ما فعلتم بيوسف وأخيه) لما شكوا إليه رق لهم وعرفهم بنفسه ، وروى أنه كان يكلمهم وعلى وجهه لثام ، ثم أزال اللثام ليعرفوه ، وأراد بقوله ما فعلتم بيوسف وأخيه : التفريق بينهما فى الصغر ، ومضرتهم ليوسف وإذايتهم أخيه من بعده ، فإنهم كانوا يذلونه ويشتمونه (إذ أنتم جاهلون) اعتذار عنهم ، فيحتمل أن يريد الجهل بقبح ما فعلوه أو جهل الشباب (قالوا أئنك لأنت يوسف) قرئ بالاستفهام والخبر ، فالخبر على أنهم عرفوه ؛ والاستفهام على أنهم توهموا أنه هو ولم يحققوه (من يتق ويصبر) قيل إنه أراد من يتق فى ترك المعصية ، ويصبر على السجن ، واللفظ أعم من ذلك (آثرك الله علينا) أى فضلك (لخاطئين) أى عاصين ، وفى كلامهم استعطاف واعتراف (لا تثريب عليكم) عفو جميل ، والتثريب التعنيف والعقوبة ، وقوله اليوم راجع إلى ما قبله فيوقف عليه ، وهو يتعلق بالتثريب أو بالمقدر فى عليكم من معنى الاستقرار ؛ وقيل إنه يتعلق بيغفر ، وهذا بعيد لأنه تحكم على الله ؛ وإنما يغفر دعاء ، فكأنه أسقط حق نفسه بقوله لا تثريب عليكم اليوم ، ثم دعا إلى الله أن يغفر لهم حقه (اذهبوا بقميصى) روى أن هذا القميص كان لإبراهيم كساه الله له حين أخرج من النار ، وكان من ثياب الجنة ، ثم صار لإسحاق ، ثم ليعقوب ، ثم دفعه يعقوب ليوسف ، وهذا يحتاج إلى سند يوثق به ، والظاهر أنه كان قميص يوسف الذى بمنزلة قميص كل أحد (يأت بصيرا) الظاهر أنه علم ذلك بوحى من الله (فصلت العير) أى خرجت من مصر متوجهة إلى يعقوب (قال أبوهم إنى لأجد ريح يوسف) كان يعقوب ببيت المقدس ، ووجد ريح القميص وبينهما مسافة بعيدة (لولا أن تفندون) أى تلوموننى أو تردون على قولى ، وقيل معناه تقولون ذهب عقلك لأن الفند هو الخرف (فى ضلالك القديم) أى ذهابك عن الصواب بإفراط محبتك فى يوسف قديما (فلما أن جاء البشير) روى أن البشير يهوذا لأنه كان جاء بقميص الدم فقال لإخوته : إنى ذهبت إليه بقميص القرحة فدعونى أذهب إليه بقميص الفرحة (قال سوف أستغفر لكم ربى) وعدهم بالاستغفار لهم ، فقيل سوفهم إلى السحر لأن

ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ * فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَىٰ يُوسُفَ ءَاوَىٰ إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ٱدْخُلُوا مِصْرَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ * وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا لَهُۥ سُجَّدًا وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ * رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِى مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِى مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ فَاطِرَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِىِّۦ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ تَوَفَّنِى مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِى بِٱلصَّـٰلِحِينَ * ذَٰلِكَ مِنْ أَنۢبَآءِ ٱلْغَيْبِ نُوحِيهِ إِلَيْكَ وَمَا كُنتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوٓا أَمْرَهُمْ وَهُمْ يَمْكُرُونَ * وَمَآ أَكْثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ * وَمَا تَسْـَٔلُهُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَـٰلَمِينَ * وَكَأَيِّن مِّنْ ءَايَةٍ فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ * وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشْرِكُونَ * أَفَأَمِنُوٓا أَن تَأْتِيَهُمْ غَـٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ أَوْ تَأْتِيَهُمُ

الدعاء يستحاب فيه ، وقيل إلى ليلة الجمعة (فلما دخلوا على يوسف) هنا محذوفات يدل عليها الكلام ، وهى فرحل يعقوب بأهله حتى بلغوا يوسف (آوى إليه أبويه) أى ضمهما ، وأراد بالأبوين أباه وأمه ، وقيل أباه وخالته لأن أمه كانت قدماتت ، وسمى الخالة على هذا أمًا (إن شاء الله) راجع إلى الأمن الذى فى قوله آمنين (رفع أبويه على العرش) أى على سرير الملك (وخروا له سجدا) كان السجود عندهم تحية وكرامة لا عبادة (وقال يا أبت هذا تأويل رؤياى من قبل) يعنى حين رأى أحدعشر كوكبا والشمس والقمر يسجدون له ، وكان بين رؤياه وبين ظهور تأويلها ثمانون عاما ، وقيل أربعون (أحسن بى) يقال أحسن إليه وبه (أخرجنى من السجن) إنما لم يقل أخرجنى من الجب لوجهين : أحدهما أن فى ذكر الجب خزى لإخوته وتعريفهم بما فعلوه فترك ذكره توقير الهم والآخر أنه خرج من الجب إلى الرق ، ومن السجن إلى الملك ، فالنعمة به أكثر (وجاء بكم من البدو) أى من البادية وكانوا أصحاب إبل وغنم فعدّ من النعم مجيئهم للحاضرة (نزغ الشيطان) أى أفسد وأغوى (لطيف لما يشاء) أى لطيف التدبير لما يشاء من الأمور (من الملك) من للتبعيض ، لأنه لم يعطه إلا بعض ملك الدنيا بل بعض ملك مصر (توفنى مسلما) لما عدد النعم التى أنعم الله بها عليه اشتاق إلى لقاء ربه ولقاء الصالحين من سلفه وغيرهم ، فدعا بالموت وقيل ليس ذلك دعاء بالموت ، وإنما دعا أن الله يتم عليه النعم بالوفاة على الإسلام إذا حان أجله (ذلك من أنباء الغيب) احتجاج على صحة نبوة محمد صلى الله عليه وآله وسلم بإخباره بالغيوب (وما كنت لديهم) الخطاب للنبى صلى الله عليه وآله وسلم تأكيدا لحجته والضمير لإخوة يوسف (إذ أجمعوا) أى عزموا (وهم يمكرون) يعنى فعلهم بيوسف (وما أكثر الناس) عموم لأن الكفار أكثر من المؤمنين وقيل أراد أهل مكة (ولو حرصت بمؤمنين) اعتراض أى لا يؤمنون ولو حرصت على إيمانهم (وما تسئلهم عليه من أجر) أى لست تسألهم أجرا على الإيمان فيثقل عليهم بسبب ذلك وهكذا معناه حيث وقع (وكأى من آية) يعنى المخلوقات والحوادث الدالة على الله سبحانه (وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون) نزلت فى كفار العرب الذين يقرون بالله ويعبدون معه غيره ، وقيل فى أهل الكتاب لقولهم عزير ابن الله والمسيح ابن الله (غاشية) هى ما يغشى ويعم (قل هذه

السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ۝ قُلْ هَٰذِهِ سَبِيلِي أَدْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ الْقُرَىٰ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ اتَّقَوْا أَفَلَا تَعْقِلُونَ ۝ حَتَّىٰ إِذَا اسْتَيْأَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ ۝ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَىٰ وَلَٰكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝

ســورة الرعد

مدنية وآياتها ٤٣ نزلت بعد سورة محمد

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ المر تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ وَالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ ۝ اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ

سبيلي) إشارة إلى شريعة الإسلام (أدعو إلى الله على بصيرة) أى أدعو الناس إلى عبادة الله وأنا على بصيرة من أمرى وحجة واضحة (أنا ومن اتبعنى) أنا تأكيد للضمير فى أدعو، ومن اتبعنى معطوف عليه وعلى بصيرة فى موضع الحال وقيل أنا مبتدأ وعلى بصيرة خبره فعلى هذا يوقف على قوله أدعو إلى الله، وهذا ضعيف (وسبحان الله) تقديره وأقول سبحان الله (وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا) ردّ على من أنكر أن يكون النبى من البشر، وقيل فيه إشارة إلى أنه لم يبعث رسولا من النساء (من أهل القرى) أى من أهل المدن لا من أهل البوادى، فإن الله لم يبعث رسولا من أهل البادية لجفائهم (حتى إذا استيأس الرسل) متصل بالمعنى بقوله وما أرسلنا من قبلك إلا رجالا إلى قوله عاقبة الذين من قبلهم، ويأسهم يحتمل أن يكون من إيمان قومهم أو من النصر، والأول أحسن (وظنوا أنهم قد كذبوا) قرئ بتشديد الذال وتخفيفها، فأما التشديد فالضمير فى ظنوا وكذبوا للرسل، والظن يحتمل أن يكون على بابه، أو بمعنى اليقين: أى علم الرسل أن قومهم قد كذبوهم فيئسوا من إيمانهم، وأما التخفيف، فالضميران فيه للقوم المرسل إليهم أى ظنوا أن الرسل قد كذبوهم فيما ادعوه من الرسالة، أو من النصرة عليهم (فى قصصهم) الضمير للرسل على الإطلاق أو ليوسف وإخوته (ما كان حديثاً يفترى) يعنى القرآن (ولكن تصديق الذى بين يديه) تقدم معناه فى البقرة

ســورة الرعد

(تلك آيات الكتاب) أى آيات هذه السورة ويحتمل أن يريد آيات الكتب على الإطلاق ويحتمل أن يريد القرآن على الإطلاق وهذا بعيد لتكرار القرآن بعد ذلك (والذى أنزل إليك) يعنى القرآن وإعرابه مبتدأ وخبره الحق (بغير عمد) أى بغير شىء تقف عليه إلا قدرة الله (ترونها) قيل الضمير للسموات وترونها على هذا فى موضع الحال أو استئنافا

كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ * وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ يُسْقَى بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَى بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَإِذَا كُنَّا تُرَابًا أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ

وقيل الضمير للعمد أى ليس لها عمد مرئية فيقتضى المفهوم من أن لها عمدا لاترى وقيل إن عمدها جبل قاف المحيط بالدنيا ، وقال الجمهور لاعمد لها البتة فالمراد نفى العمد ونفى رؤيتها (ثم استوى على العرش) ثم هنا لترتيب الأخبار لالترتيب وقوع الأمر ، فإن العرش كان قبل خلق السموات ، وتقدم الكلام على الاستواء فى الأعراف (يدبر الأمر) يعنى أمر الملكوت (يفصل الآيات) يعنى آيات كتبه (مد الارض) يقتضى أنها بسيطة لا مكورة ، وهو ظاهر الشريعة ، وقد يترتب لفظ البسط والمد مع التكوير لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حدتها ، وإنما التكوير لجملة الأرض (رواسى) يعنى الجبال الثابتة (زوجين اثنين) يعنى صنفين من الثمر : كالأسود والأبيض ، والحلو والحامض ، فإن قيل : تقتضى الآية أنه تعالى خلق من كل ثمرة صنفين ، وقد خلق من كثير من الثمرات أصناف كثيرة ، والجواب : أن ذلك زيادة فى الاعتبار وأعظم فى الدلالة على القدرة ، فذكر الاثنين ، لأن دلالة غيرهما من باب أولى ، وقيل إن الكلام تم فى قوله من كل الثمرات ثم ابتدأ بقوله جعل فيها زوجين يعنى الذكر والأنثى والأول أحسن (يغشى الليل النهار) أى يلبسه إياه فيصير له كالغشاء ، وذلك تشبيه (قطع متجاورات) يعنى قطع متلاصقة ومع تلاصقها ، فإن أرضها تتنوع إلى طيب ورديء وصلب ورخو ، وغير ذلك ، وكل ذلك دليل على الصانع المختار المريد القادر (صنوان وغير صنوان) الصنوان هى النخلات الكثيرة ويكون أصلها واحد وغير الصنوان المفترق فردا فردا ، وواحد الصنوان صنو (يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل) حجة وبرهان على أنه تعالى قدير ومريد لأن اختلاف مذاقها وأشكالها وألوانها مع اتفاق الماء الذى تسق به : دليل على القدرة والإرادة ، وفى ذلك رد على القائلين بالطبيعة (وإن تعجب فعجب قولهم) أى إن تعجب يا محمد فإن إنكارهم للبعث حقيق أن يتعجب منه ، فإن الذى قدر على إنشاء ماذكرنا من السموات والأرض والثمار قادر على إنشاء الخلق بعد موتهم (أئذا كنا ترابا أئنا لفى خلق جديد) هذا هو قول الكفار المنكرين للبعث ، واختلف القراء فى هذا الموضع وفى سائر المواضع التى فيها استفهامان ، وهى أحد عشر موضعا ، أولها هذا ، وفى الإسراء موضعان ، وفى المؤمنين موضع ، وفى النمل موضع ، وفى العنكبوت موضع ، وفى الم السجدة موضع ، وفى الصافات موضعان وفى الواقعة موضع ، وفى النازعات موضع ، فمنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول والثانى ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الأول فقط وهو نافع ومنهم من قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط ، وأصل الاستفهام فى المعنى ، وإنما هو عن الثانى فى مثل هذا الموضع ، فإن همزة الاستفهام معناها الإنكار ، وإنما أنكروا أن يكونوا خلقا جديدا ولم ينكروا أن يكونوا ترابا ، فمن قرأ بالاستفهام فى الثانى فقط فهو على الأصل ومن قرأ بالاستفهام فى

فِيٓ أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ • وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلسَّيِّئَةِ قَبْلَ ٱلْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ ٱلْمَثُلَٰتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ ٱلْعِقَابِ • وَيَقُولُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦٓ إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرٌ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ • ٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَىْءٍ عِندَهُۥ بِمِقْدَارٍ • عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْكَبِيرُ ٱلْمُتَعَالِ • سَوَآءٌ مِّنكُم مَّنْ أَسَرَّ ٱلْقَوْلَ وَمَن جَهَرَ بِهِۦ وَمَنْ هُوَ مُسْتَخْفٍۭ بِٱلَّيْلِ وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ • لَهُۥ مُعَقِّبَٰتٌ مِّنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦ يَحْفَظُونَهُۥ مِنْ أَمْرِ

الأول ، فالقصد بالاستفهام الثانى ، ومن قرأ بالاستفهام فيهما فذلك للتأكيد (وأولئك الأغلال فى أعناقهم) يحتمل أن يريد الأغلال فى الآخرة فيكون حقيقة أو يريد أنهم ممنوعون من الإيمان كقولك إنا جعلنا فى أعناقهم أغلالا ، فيكون مجازاً يجرى مجرى الطبع والختم على القلوب (ويستعجلونك بالسيئة قبل الحسنة) أى بالنقمة قبل العافية ، والمعنى أنهم طلبوا العذاب على وجه الاستخفاف (وقد خلت من قبلهم المثلات) جمع مثلة على وزن ثمرة وهى العقوبة العظيمة التى تجعل الإنسان مثلا ، والمعنى كيف يطلبون العذاب وقد أصابت العقوبات الأمم الذين كانوا قبلهم أفلا يخافون مثل ذلك (وإن ربك لذوا مغفرة للناس على ظلمهم) يريد ستره وإمهاله فى الدنيا للكفار والعصاة ، وقيل يريد مغفرته لمن تاب ، والأول أظهر هنا (ويقول الذين كفروا) الآية : اقترحوا نزول آية على النبى صلى الله عليه وآله وسلم من نزول ملك معه أوشبه ذلك ، ولم يعتبروا بالقرآن ولا بغيره من الآيات العظام التى جاء بها ، وذلك منهم معاندة (إنما أنت منذر) أى إنما عليك إنذارهم ، وليس عليك أن تأتيهم بآية إنما ذلك إلى الله (ولكل قوم هاد) فيه ثلاثة أقوال أحدها أن يراد بالهادى الله تعالى ، فالمعنى إنما عليك الإنذار والله هو الهادى لمن يشاء إذا شاء ، والوجه الثانى أن يريد بالهادى النبى صلى الله عليه وسلم ، فالمعنى إنما أنت نبى منذر ، ولكل قوم هاد من الأنبياء ينذرهم فليس أمرك ببدع ولا مستنكر . الثالث روى أنها لما نزلت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أنا المنذر وأنت يا علىّ الهادى (الله يعلم ماتحمل كل أنثى) كقوله يعلم مافى الأرحام ، وهى من الخمس التى لا يعلمها إلا الله ، ويعنى يعلم هل هو ذكر أو أنثى أو تام أو خداج أو حسن أو قبيح ، أو غير ذلك (وما تغيض الأرحام وما تزداد) معنى تغيض تنقص ، ومعنى تزداد من الزيادة ، وقيل إن الإشارة بدم الحيض فإنه يقل ويكثر وقيل للولد فالغيض السقط ، أو الولادة لأقل من تسعة أشهر ، والزيادة إبقاؤه أكثر من تسعة أشهر ، ويحتمل أن تكون مافى قوله ماتحمل وماتغيض وما تزداد : موصولة أو مصدرية (سواء منكم من أسر القول ومن جهر) المعنى إن الله يسمع كل شيء ، فالجهر والإسرار عنده سواء وفى هذا وما بعده تقسيم ، وهو من أدوات البيان ، فإنه ذكر أربعة أقسام ، وفيه أيضاً مطابقة (ومن هو مستخف بالليل وسارب بالنهار) المعنى سواء عند الله المستخفى بالليل وهو فى غاية الاختفاء مع السارب بالنهار وهو فى غاية الظهور ومعنى السارب المتصرف فى سربه بالفتح : أى فى طريقه ووجهه ، والسارب والمستخفى اثنان قصد التسوية بينهما فى اطلاع الله عليهما مع تباين حالهما ، وقيل إن المستخفى بالليل والسارب بالنهار : صفتان لموصوف

ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ وَإِذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِقَوْمٍ سُوٓءًا فَلَا مَرَدَّ لَهُۥ وَمَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَالٍ ، هُوَ ٱلَّذِى يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنشِئُ ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ ، وَيُسَبِّحُ ٱلرَّعْدُ بِحَمْدِهِۦ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِۦ وَيُرْسِلُ ٱلصَّوَٰعِقَ فَيُصِيبُ بِهَا مَن يَشَآءُ وَهُمْ يُجَٰدِلُونَ فِى ٱللَّهِ وَهُوَ شَدِيدُ ٱلْمِحَالِ ، لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ وَمَا دُعَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ إِلَّا فِى ضَلَٰلٍ ، وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْآصَالِ ،

واحد يستخفى بالليل ويظهر بالنهار ، ويعضد هذا كونه قال وسارب ، فعطفه عطف الصفات ولم يقل ومن هو سارب بتكرار من كما قال ، من أسر القول ومن جهر به ، إلا أن جعلهما اثنين أرجح ليقابل من أسر القول ومن جهر به ، فيكمل التقسيم إلى أربعة على هذا ، ويكون قوله وسارب عطف على الجملة وهو قوله ومن هو مستخف لا على مستخف وحده (له معقبات) المعقبات هنا جماعة الملائكة ، وسميت معقبات لأن بعضهم يعقب بعضاً ، والضمير فى له يعود على من المتقدمة ، كأنه قال لمن أسر ومن جهر ، ولمن استخفى ومن ظهر له معقبات ، وقيل يعود على الله وهو قول ضعيف لأن الضمائر التى بعده تعود على العبد باتفاق (يحفظونه) صفة للمعقبات ، وهذا الحفظ يحتمل أن يراد به حفظ أعماله أو حفظه وحراسته من الآفات (من أمر الله) صفة للمعقبات أى معقبات من أجل أمر الله أى أمرهم بحفظه ، وقرئ بأمر الله ، وهذه القراءة تعضد ذلك ، ولا يتعلق من أمر الله على هذا ليحفظونه ، وقيل يتعلق به على أنهم يحفظونه من عقوبة الله إذا أذنب بدعائهم له واستغفارهم (إن الله لا يغير ما بقوم) من العافية والنعم (حتى يغيروا ما بأنفسهم) بالمعاصى فيقتضى ذلك أن الله لا يسلب النعم ولا يترك النقم إلا بالذنوب (يريكم البرق خوفاً وطمعاً) الخوف يكون مع البرق من الصواعق والأمور الهائلة ، والطمع فى المطر الذى يكون معه (السحاب الثقال) وصفها بالثقل ، لأنها تحمل الماء (ويسبح الرعد بحمده) الرعد اسم ملك وصوته المسموع تسبيح ، وقد جاء فى الأثر أن صوته زجر للسحاب ، فعلى هذا يكون تسبيحه غير ذلك (ويرسل الصواعق) قيل إنه إشارة إلى الصاعقة التى نزلت على أربد الكافر وقتلته حين هم بقتل النبى صلى الله عليه وآله وسلم هو وأخوه عامر بن الطفيل واللفظ أعم من ذلك (وهم يجادلون فى الله) يعنى الكفار ، والواو للاستئناف أو للحال (شديد المحال) أى شديد القوة ، والمحال مشتق من الحيلة ، فالميم زائدة ، ووزنه مفعل ، وقيل معناه شديد المكر من قولك : محل بالرجل إذا مكر به ، فالميم على هذا أصلية ووزنه فعال وتأويل المكر على هذا القول كتأويله فى المواضع التى وردت فى القرآن (له دعوة الحق) قيل هى لا إله إلا الله ، والمعنى أن دعوة العباد بالحق لله ودعوتهم بالباطل لغيره (والذين يدعون من دونه لا يستجيبون لهم بشىء) يعنى بالذين : ما عبدوا من دون الله من الأصنام وغيرها ، والضمير فى يدعون للكفار ، والمعنى أن المعبودين لا يستجيبون لمن عبدهم (إلا كباسط كفيه إلى الماء ليبلغ فاه وما هو ببالغه) شبه إجابة الأصنام لمن عبدهم بإجابة الماء لمن بسط إليه كفيه وأشار إليه بالإقبال إلى فيه ولا يبلغ فمه على هذا أبداً لأن الماء جماد لا يعقل المراد ، فكذلك

قُلْ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ قُلْ أَفَٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ لَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ نَفْعًا وَلَا ضَرًّا قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِى ٱلظُّلُمَٰتُ وَٱلنُّورُ أَمْ جَعَلُوا۟ لِلَّهِ شُرَكَآءَ خَلَقُوا۟ كَخَلْقِهِۦ فَتَشَٰبَهَ ٱلْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا فَٱحْتَمَلَ ٱلسَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِى ٱلنَّارِ ٱبْتِغَآءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْحَقَّ وَٱلْبَٰطِلَ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ ٱلْأَمْثَالَ ۝ لِلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا۟

الأصنام ، والضمير فى قوله وما هو للماء ، وفى ببالغه للفم (ولله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها) من لا تقع إلا على من يعقل فهى هنا يراد بها الملائكة والإنس والجن فإذا جعلنا السجود بمعنى الانقياد لأمر الله وقضائه فهو عام فى الجميع : من شاء منهم ومن أبى ، ويكون طوعا لمن أسلم وكرها لمن كره وسخط ، وإن جعلنا السجود هو المعروف بالجسد ، فيكون لسجود الملائكة والمؤمنين من الإنس والجن طوعا ، وأما الكره فهو سجود المنافق وسجود ظل الكافر (وظلالهم) معطوف على من والمعنى أن الظلال تسجد غدوة وعشية وسجودها انقيادها للتصرف بمشيئة الله سبحانه وتعالى (قل الله) جواب عن السؤال المتقدم ، وهو من رب السموات والأرض ، وإنما جاء الجواب والسؤال من جهة واحدة ، لأنه أمر واضح لا يمكن جحده ولا المخالفة فيه ، ولذلك أقام به الحجة على المشركين بقوله : أفاتخذتم من دونه أولياء (قل هل يستوى الأعمى والبصير) الأعمى تمثيل للكافر والبصير تمثيل للمؤمن (الظلمات) الكفر (والنور) الإيمان، وذلك كله على وجه التشبيه والتمثيل (أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم) أم هنا بمعنى بل والهمزة ، وخلقوا صفة لشركاء ، والمعنى أن الله وقفهم هل خلق شركاؤهم خلقا كخلق الله فحملهم ذلك واشتباهه بما خلق الله على أن جعلوا إلها غير الله ، ثم أبطل ذلك بقوله «قل الله خالق كل شىء» فحصل الرد عليهم (أنزل من السماء ماء فسالت أودية بقدرها) الآية : هذا مثل ضربه الله للحق وأهله والباطل وحزبه ، فمثل الحق وأهله بالماء الذى ينزل من السماء فتسيل به الأودية ، وينتفع به أهل الأرض ، وبالذهب والفضة والحديد والصفر وغيرها من المعادن التى ينتفع بها الناس ، وشبه الباطل فى سرعة اضمحلاله وزواله بالزبد الذى يرى به السيل وبزبد تلك المعادن التى يطفو فوقها إذا أذيبت ، وليس فى الزبد منفعة ، وليس له دوام (بقدرها) يحتمل أن يريد ماقدر لها من الماء ، ويحتمل أن يريد بقدر ماتحتمله على قدر صغرها وكبرها (زبدا رابيا) الزبد مايحمله السيل من غثاء ونحوه والرابى المنتفخ الذى ربى ومنه الربوة (ومما يوقدون) المجرور فى موضع خبر المقدم ، والمبتدأ زبد مثله : أى ينشأ من الأشياء التى يوقد عليها زبد مثل زبد السيل (ابتغاء حلية أومتاع) الذى يوقد عليه ابتغاء الحلى : هو الذهب والفضة ، والذى يوقد عليه ابتغاء متاع هو الحديد والرصاص والنحاس والصفر وشبه ذلك ، والمتاع مايستمتع الناس به فى مرافقهم وحوائجهم (يضرب الله الحق والباطل) أى يضرب أمثال الحق والباطل (جفاء) بجفاء السيل أى يرمى به (وأما ماينفع الناس فيمكث فى الأرض) يريد الخالص من الماء ومن تلك الأحجار (للذين استجابوا لربهم الحسنى) الذين استجابوا هم المؤمنون ، وهذا

لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ۞ أَفَمَن يَعْلَمُ أَنَّمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ الْحَقُّ كَمَنْ هُوَ أَعْمَىٰ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُو الْأَلْبَابِ ۞ الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلَا يَنقُضُونَ الْمِيثَاقَ ۞ وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ وَيَخَافُونَ سُوءَ الْحِسَابِ ۞ وَالَّذِينَ صَبَرُوا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً وَيَدْرَءُونَ بِالْحَسَنَةِ السَّيِّئَةَ أُولَٰئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ ۞ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَن صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّن كُلِّ بَابٍ ۞ سَلَامٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ ۞ وَالَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ اللَّهِ مِن بَعْدِ مِيثَاقِهِ وَيَقْطَعُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ أُولَٰئِكَ لَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ ۞ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ ۞ وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا أُنزِلَ عَلَيْهِ آيَةٌ مِّن رَّبِّهِ قُلْ إِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ

استئناف كلام ، والحسنى الجنة ، وإعرابها مبتدأ وخبرها للذين استجابوا ، وللذين استجابوا مبتدأ وخبره لوأن لهم مافى الأرض الآية فيوقف على الأمثال ، وعلى الحسنى ، وقيل للذين استجابوا يتعلق بيضرب ، والحسنى مصدر من معنى استجابوا : أى استجابوا الاستجابة الحسنى ، والذين لم يستجيبوا معطوف على الذين استجابوا ، والمعنى : يضرب الله الأمثال للطائفتين ، وعلى هذا إنما يوقف على والذين لم يستجيبوا له (سوء الحساب) أى المناقشة والاستقصاء (أفمن يعلم) تقرير . والمعنى أسواء من آمن ومن لم يؤمن ، والأعمى هنا من لم يؤمن بالنبى صلى الله عليه وسلم ، وقيل إنها نزلت فى حمزة بن عبد المطلب رضى الله عنه ، وأبى جهل لعنه الله (يصلون ماأمر الله به أن يوصل) القرابات وغيرها (ويدرءون بالحسنة السيئة) قيل يدفعون الشرك بقول لا إله إلا الله ، وقيل يدفعون من أساء إليهم بالتى هى أحسن ، والأظهر يفعلون الحسنات فيدرؤن بها السيئات كقوله إن الحسنات يذهبن السيئات ، وقيل إن هذه الآية نزلت فى الأنصار ، ثم هى عامة فى كل مؤمن اتصف بهذه الصفات (عقبى الدار) يعنى الجنة ، ويحتمل أن يريد بالدار : الآخرة وأضاف العقبى إليها لأنها فيها ، ويحتمل أن يريد بالدار الدنيا ، وأضاف العقبى إليها لأنها عاقبتها (جنات عدن) بدل من عقبى الدار أو خبر ابتداء مضمر تفسير العقبى الدار (ومن صلح) أى من كان صالحاً (سلام عليكم) أى يقولون لهم سلام عليكم (بماصبرتم) يتعلق بمحذوف تقديره هذا بما صبرتم ويجوز أن يتعلق بسلام أى ليسلم عليكم بماصبرتم (والذين ينقضون عهد الله) إلى آخر الآية أوصاف مضادة كما تقدم وقيل إنها فى الخوارج ، والأظهر أنها فى الكفار (سوء الدار) يحتمل أن يراد بها الدنيا والآخرة (الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء وهذا تفسيره حيث وقع (وفرحوا بالحياة الدنيا) إخبار فى ضمنه ذم وتسفيه لمن فرح بالدنيا لذلك حقرها بقوله وما الحياة الدنيا فى الآخرة إلا متاع ، أى قليل بالنظر إلى الآخرة (قل إن الله يضل من يشاء) خرج به مخرج التعجب منهم لما طلبوا آية أى قد جاءكم محمد

مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَنْ أَنَابَ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكْرِ ٱللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۞ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَـَٔابٍ ۞ كَذَٰلِكَ أَرْسَلْنَٰكَ فِىٓ أُمَّةٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهَآ أُمَمٌ لِّتَتْلُوَا عَلَيْهِمُ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَهُمْ يَكْفُرُونَ بِٱلرَّحْمَٰنِ قُلْ هُوَ رَبِّى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ۞ وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّىٰ يَأْتِىَ وَعْدُ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُخْلِفُ ٱلْمِيعَادَ ۞ وَلَقَدِ ٱسْتُهْزِئَ بِرُسُلٍ مِّن قَبْلِكَ فَأَمْلَيْتُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ فَكَيْفَ كَانَ عِقَابِ ۞ أَفَمَنْ هُوَ قَآئِمٌ عَلَىٰ كُلِّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَجَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَآءَ قُلْ سَمُّوهُمْ أَمْ

صلى الله عليه وسلم بالقرآن وآيات كثيرة فعميتم عنها ، وطلبتم غيرها وتماديتم على الكفر لأن الله يضل من يشاء مع ظهور الآيات وقد يهدى من يشاء دون ذلك (الذين آمنوا وتطمئن قلوبهم بذكر الله) بدل من من أناب ، أو خبر ابتداء مضمر والذين آمنوا وعملوا الصالحات بدل ثان ، أو مبتدأ (طوبى) مصدر من طاب كبشرى ومعناها أصابت خيراً وطيباً ، وقيل هى شجرة فى الجنة ، وإعرابها مبتدأ (كذلك أرسلناك) الكاف تتعلق بالمعنى الذى فى قوله يضل من يشاء ويهدى من يشاء (وهم يكفرون بالرحمن) قيل إنها نزلت فى أبى جهل وقيل نزلت فى قريش حين عاهدهم رسول الله صلى الله عليه وسلم عام الحديبية ، فكتب الكاتب بسم الله الرحمن الرحيم ، فقال قائلهم نحن لا نعرف الرحمن ، وهذا ضعيف ، لأن الآية نزلت قبل ذلك ولأن تلك القصة إنما أنكروا فيها التسمية فقط ، ومعنى الآية أنهم يكفرون بالله مع تلاوة القرآن عليهم (متاب) مفعل من التوبة وهو اسم مصدر (ولو أن قرآنا سيرت به الجبال) الآية : جواب لو محذوف تقديره لو أن قرآنا على هذه الصفة من تسيير الجبال ، وتقطيع الأرض وتكليم الموتى لم يؤمنوا به ، فالمعنى كقوله لا يؤمنوا ولو جاءتهم كل آية ، وقيل تقديره : ولو أن قرآنا على هذه الصفة لكان هذا القرآن الذى هو غاية فى التذكير ونهاية فى الإنذار كقوله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل لرأيته خاشعا متصدعا ، وقيل هو متعلق بما قبله والمعنى ، وهم يكفرون بالرحمن ولو أن قرآنا سيرت به الجبال (أفلم ييأس) معناه أفلم يعلم وهى لغة هوازن (ولا يزال الذين كفروا) يعنى كفار قريش (قارعة) يعنى مصيبة فى أنفسهم وأولادهم وأموالهم ، أو غزوات المسلمين إليهم (أو تحل) الفاعل ضمير القارعة . والمعنى إما أن تصيبهم ، وإما أن تقرب منهم ، وقيل التاء للخطاب ، والفاعل ضمير المخاطب وهو النبى صلى الله عليه وسلم ، والأول أظهر (حتى يأتى وعد الله) هو فتح مكة ، وقيل قيام الساعة (ولقد استهزئ) الآية مقصدها تأنيس وتسلية النبى صلى الله عليه وسلم وهكذا حيث وقع (فأمليت) أى أمهلتهم (أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت) هو الله تعالى أى حفيظ رقيب على عمل كل أحد ، والخبر محذوف تقديره : أفمن هو قائم على كل نفس بما كسبت أحق أن يعبد أم غيره ، ويدل على ذلك قوله أم جعلوا لله شركاء (قل سموهم) أى اذكروا أسماءهم (أم تنبؤنه بما لا يعلم فى الأرض) المعنى أن الله لا يعلم

تُنَبِّئُونَهُ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِي الْأَرْضِ أَمْ بِظَاهِرٍ مِنَ الْقَوْلِ بَلْ زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مَكْرُهُمْ وَصُدُّوا عَنِ السَّبِيلِ وَمَن يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ۞ لَهُمْ عَذَابٌ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَقُّ وَمَا لَهُم مِّنَ اللَّهِ مِن وَاقٍ ۞ مَثَلُ الْجَنَّةِ الَّتِي وُعِدَ الْمُتَّقُونَ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ أُكُلُهَا دَائِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى الَّذِينَ اتَّقَوا وَّعُقْبَى الْكَافِرِينَ النَّارُ ۞ وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَفْرَحُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمِنَ الْأَحْزَابِ مَن يُنكِرُ بَعْضَهُ قُلْ إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ وَلَا أُشْرِكَ بِهِ إِلَيْهِ أَدْعُوا وَإِلَيْهِ مَآبِ ۞ وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَاهُ حُكْمًا عَرَبِيًّا وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم بَعْدَ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا وَاقٍ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ وَجَعَلْنَا لَهُمْ أَزْوَاجًا وَذُرِّيَّةً وَمَا كَانَ لِرَسُولٍ أَن يَأْتِيَ بِآيَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ۞ يَمْحُوا اللَّهُ مَا يَشَاءُ وَيُثْبِتُ وَعِندَهُ أُمُّ

لنفسه شركاء وإذا لم يعلمهم هوفليسوا بشيء ، فكيف تفترون الكذب فى عبادتهم ، وتعبدون الباطل ، وذلك كقولك : قل لى من زيد أم هو أقل من أن يعرف فهو كالعدم (أم بظاهر من القول) المعنى أتسمونهم شركاء بظاهر اللفظ من غير أن يكون لذلك حقيقة كقوله إن هى إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم (لهم عذاب فى الحياة الدنيا) يعنى بالقتل والأسر والخوف وغير ذلك (مثل الجنة) هنا وفى القتال صفتها وليس بضرب مثل لها والخبر عند سيبويه محذوف مقدم تقديره فيما يتلى عليكم صفة الجنة ، وقال الفراء الخبر مؤخر وهو تجرى من تحتها الأنهار (أكلها دائم) يعنى ما يؤكل فيها من الثمرات وغيرها والأكل بضم الهمزة المأكول ، ويجوز فيه ضم الكاف وإسكانها ، والأكل بفتح الهمزة المصدر (والذين آتيناهم الكتاب يفرحون بما أنزل إليك) يعنى من أسلم من اليهود والنصارى كعبد الله بن سلام والنجاشي وأصحابه وقيل يعنى المؤمنين والكتاب على هذا القرآن (ومن الأحزاب) قيل هم بنو أمية ، وبنو المغيرة من قريش والأظهر أنها فى سائر كفار العرب ، وقيل هم اليهود والنصارى لأنهم لا ينكروا القصاص والأشياء التى فى كتبهم ، وإنما ينكرون البعض مما لا يعرفونه أو حرفوه (قل إنما أمرت أن أعبد الله) وجه اتصاله بما قبله أنه جواب المنكرين ، ورد عليهم كأنه قال إنما أمرت بعبادة الله وتوحيده ، فكيف تنكرون هذا (مآب) مفعل من الأوب وهو الرجوع ، أى مرجعى فى الآخرة أو مرجعى بالتوبة (وجعلنا لهم أزواجا وذرية) رد على من أنكر أن يكون الرسول من البشر أو يحتاج إلى ما يحتاج إليه البشر من النساء والذرية ، فالمعنى لست ببدع فى ذلك ، بل أنت كمن تقدم من الرسل (وما كان لرسول أن يأتى بآية إلا بإذن الله) رد على الذين اقترحوا الآيات (لكل أجل كتاب) قال الفراء لكل كتاب أجل بالعكس وهذا لا يلزم بل المعنى صحيح من غير عكس أى لكل أجل كتاب كتبه الله فى اللوح المحفوظ (يمحوا الله ما يشاء ويثبت) قيل يعنى ينسخ ما يشاء من القرآن والأحكام ، ويثبت منها ما يشاء ، وقيل هى فى آجال بنى آدم ، وذلك أن الله تعالى قدر فى ليلة القدر وقيل فى ليلة النصف من شعبان بكتب أجل من يموت فى ذلك العام فيمحوه من ديوان الأحياء ، ويثبت من لا يموت فى ذلك العام ، وقيل إن المحو والإثبات على العموم فى جميع الأشياء ، وهذا ترده القاعدة المتقررة أن القضاء لا يبدل ، وأن علم الله لا يتغير ، فقال بعضهم المحو والإثبات

الْكِتَٰبِ * وَإِن مَّا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعِدُهُمْ أَوْ نَتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَٰغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ * أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ وَهُوَ سَرِيعُ الْحِسَابِ * وَقَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَلِلَّهِ الْمَكْرُ جَمِيعًا يَعْلَمُ مَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ وَسَيَعْلَمُ الْكُفَّٰرُ لِمَنْ عُقْبَى الدَّارِ * وَيَقُولُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَسْتَ مُرْسَلًا قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًا بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَمَنْ عِندَهُ عِلْمُ الْكِتَٰبِ *

سورة إبراهيم عليه السلام

مكية إلا آيتى ٢٨ و ٢٩ فمدنيتان وآياتها ٥٢ نزلت بعد سورة نوح

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ * الر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَٰتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ * اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَوَيْلٌ لِّلْكَٰفِرِينَ مِنْ عَذَابٍ شَدِيدٍ * الَّذِينَ يَسْتَحِبُّونَ الْحَيَوٰةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَيَبْغُونَهَا عِوَجًا أُولَٰئِكَ فِي ضَلَٰلٍ بَعِيدٍ * وَمَا أَرْسَلْنَا مِن رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ

فى كل شيء إلا فى السعادة والشقاوة الآخروية ، والآجال (وعنده أم الكتاب) أصل كل كتاب، وهو اللوح المحفوظ الذى كتب الله فيه مقادير الأشياء كلها (وإن ما نرينك) إن شرط دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها، فإنما . (أولم يروا أنا نأتى الأرض ننقصها من أطرافها) الاتيان هنا بالقدرة والأمر ، والأرض أرض الكفار ونقصها هو بما يفتح الله على المسلمين منها والمعنى أو لم يروا ذلك فيخافوا أن نمكنك منهم ، وقيل الأرض جنس ، ونقصها بموت الناس ، وهلاك الثمرات وخراب البلاد وشبه ذلك (لا معقب لحكمه) المعقب الذى يكر على الشيء فيبطله (فلله المكر جميعا) تسمية للعقوبة باسم الذنب (وسيعلم الكافر) تهديد ، والمراد بالكافر الجنس بدليل قراءة الكفار بالجمع ، وعقبى الدار الدنيا والآخرة (قل كفى بالله شهيدا بينى وبينكم) أمره الله أن يستشهد الله على صحة نبوته وشهادة الله له هى علمه بذلك وإظهاره الآيات الدالة على ذلك (ومن عنده علم الكتاب) معطوف على اسم الله على وجه الاستشهاد به ، وقيل المراد عبد الله بن سلام ومن أسلم من اليهود والنصارى الذين يعلمون صفته صلى الله عليه وسلم من التوراة والإنجيل ، وقيل المراد المؤمنون الذين يعلمون علم القرآن ودلالته على النبوة ، وقيل المراد الله تعالى فهو الذى عنده علم الكتاب ، ويضعف هذا ، لأنه عطف صفة على موصوف ، ويقويه قراءة ومن عنده بمن الجارة وخفض عنده

سورة إبراهيم عليه السلام

(لتخرج الناس من الظلمات إلى النور) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والظلمات الكفر والجهل ، والنور الإيمان والعلم (بإذن ربهم) أى بأمره وهو إرساله (إلى صراط العزيز الحميد) بدل من إلى النور (الله) قرئ بالرفع وهو مبتدأ أو خبر مبتدأ مضمر ، وبالخفض بدل (يستحبون) أى يؤثرون (ويبغونها) قد ذكر (بلسان قومه) أى بلغتهم وكلامهم (أن

ٱلْحَكِيمُ • وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَـٰتِنَآ أَنْ أَخْرِجْ قَوْمَكَ مِنَ ٱلظُّلُمَـٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ • وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ • وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِن كَفَرْتُمْ إِنَّ عَذَابِى لَشَدِيدٌ • وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِن تَكْفُرُوٓا أَنتُمْ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا فَإِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ حَمِيدٌ • أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَادٍ وَثَمُودَ وَٱلَّذِينَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا ٱللَّهُ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَرَدُّوٓا أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ وَقَالُوٓا إِنَّا كَفَرْنَا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ وَإِنَّا لَفِى شَكٍّ مِّمَّا تَدْعُونَنَآ إِلَيْهِ مُرِيبٍ • قَالَتْ رُسُلُهُمْ أَفِى ٱللَّهِ شَكٌّ فَاطِرِ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَدْعُوكُمْ لِيَغْفِرَ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُؤَخِّرَكُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى قَالُوٓا إِنْ أَنتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَن تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُنَا

أخرج) أن مفسرة أومصدرية على تقدير بأن (وذكرهم بأيام الله) أى عقوباته للأمم المتقدمة ، وقيل إنعامه على بنى إسرائيل ، واللفظ يعم النعم والنقم ، وعبر عنها بالأيام لأنها كانت فى أيام ، وفى ذلك تعظيم لها كقولهم يوم كذا ويوم كذا (ويذبحون أبناءكم) ذكرها بالواو ، ليدل على أن سوء العذاب غير الذبح أو أعم من ذلك ثم جر الذبح كقوله وملائكته وجبريل وميكال ذكر فى البقرة بغير واو تفسير للعذاب (وإذ تأذن ربكم) من كلام موسى ، وتأذن بمعنى أذن أى أعلم كقولك توعد وأوعد وإعلام الله مقترن بإنفاذ ما أعلم به (لئن شكرتم لأزيدنكم) هذا معمول تأذن لأنه يتضمن معنى قال ، ويحتمل أن تكون الزيادة من خير الدنيا أو من الثواب فى الآخرة أو منهما (ولئن كفرتم) يحتمل أن يريد كفر النعم أو الكفر بالإيمان والأول أرجح لمقابلته بالشكر (لا يعلمهم إلا الله) عبارة عن كثرتهم كقوله، وقرونا بين ذلك كثيرا (فردوا أيديهم فى أفواههم) فيه ثلاثة أقوال : أحدها أن الضمائر لقوم الرسل ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم غيظا من الرسل كقوله، عضوا عليكم الأنامل من الغيظ ، أو استهزاء وضحكا : كمن غلبه الضحك فوضع يده على فمه ، والثانى أن الضمائر لهم ، والمعنى أنهم ردوا أيديهم فى أفواه أنفسهم إشارة على الأنبياء بالسكوت ، والثالث أنهم ردوا أيديهم فى أفواه الأنبياء تسكيتا لهم ، وردا لقولهم (أفى الله شك) المعنى أفى وجود الله شك أو أفى إلهيته شك ، وقيل فى وحدانيته ، والهمزة للتقرير والتوبيخ لأنه لا يحتمل الشك لظهور الأدلة ، ولذلك وصفه بعد بقوله : فاطر السموات والأرض (من ذنوبكم) قيل إن من زائدة ، ومنع سيبويه زيادتها فى الواجب وهى عنده للتبعيض ، ومعناه أن يغفر للكافر إذا أسلم ما تقدم من ذنبه قبل الإسلام ، ويبقى ما يذنب بعده فى المشيئة فوقعت المغفرة فى البعض ولم يأت فى القرآن غفران بعض الذنوب إلا للكافر كهذا الموضع ، والذى فى الأحقاف وسورة نوح وجاء للمؤمنين بغير من كالذى فى الصف (ويؤخركم إلى أجل مسمى) قال الزمخشرى وأهل مذهبه من المعتزلة : معناه يؤخركم إن آمنتم إلى آجالكم ، وإن لم تؤمنوا عاجلكم بالهلاك قبل ذلك الوقت ، وهذا بناء على قولهم بالأجلين ، وأهل السنة يأبون هذا ، فإن الأجل عندهم واحد محتوم ،

فَأْتُونَا بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ * قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِن نَّحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَآ أَن نَّأْتِيَكُم بِسُلْطَٰنٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ * وَمَا لَنَآ أَلَّا نَتَوَكَّلَ عَلَى ٱللَّهِ وَقَدْ هَدَىٰنَا سُبُلَنَا وَلَنَصْبِرَنَّ عَلَىٰ مَآ ءَاذَيْتُمُونَا وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ * وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا فَأَوْحَىٰٓ إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ * وَلَنُسْكِنَنَّكُمُ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِهِمْ ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِى وَخَافَ وَعِيدِ * وَٱسْتَفْتَحُوا وَخَابَ كُلُّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ * مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ * يَتَجَرَّعُهُۥ وَلَا يَكَادُ يُسِيغُهُۥ وَيَأْتِيهِ ٱلْمَوْتُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ وَمِن وَرَآئِهِۦ عَذَابٌ غَلِيظٌ * مَّثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَٰلُهُمْ كَرَمَادٍ ٱشْتَدَّتْ بِهِ ٱلرِّيحُ فِى يَوْمٍ عَاصِفٍ لَّا يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَىٰ

(قالوا إن أنتم إلا بشر مثلنا) يحتمل أن يكون قولهم استبعادا لتفضيل بعض البشر على بعض بالنبوة أو يكون إحالة لنبوة البشر ، والأول أظهر لطلبهم البرهان فى قولهم فأتونا بسلطان مبين ولقول الرسل ، ولكن الله يمن على من يشاء من عباده أى بالتفضيل بالنبوة (وما لنا ألا نتوكل على الله) والمعنى أى شيء يمنعنا من التوكل على الله (وعلى الله فليتوكل المتوكلون) إن قيل لم كرر الأمر ؟ فالجواب عندى أن قوله وعلى الله فليتوكل المؤمنون راجع إلى ما تقدم من طلب الكفار بسلطان مبين أى حجة ظاهرة ، فتوكل الرسل فى ورودها على الله ، وأما قوله فليتوكل المتوكلون : فهو راجع إلى قولهم ولنصبرن على ما آذيتمونا أى نتوكل على الله فى دفع أذاكم وقال الزمخشرى إن هذا الثانى فى معنى الثبوت ، على التوكل (أو لتعودن فى ملتنا) أو هنا بمعنى إلا أن ، أو على أصلها ، لوقوع أحد الشيئين ، والعود هنا بمعنى الصيرورة ، وهو كثير فى كلام العرب ولا يقتضى أن الرسل ، كانوا فى ملة الكفار قبل ذلك (خاف مقامى) فيه ثلاثة أوجه هنا وفى ولمن خاف مقام ربه فى الرحمن فالأول أن معناه مقام الحساب فى القيامة والثانى : أن معناه قيام الله على عباده بأعمالهم والثالث أن معناه خافنى وخاف ربه ، على إقحام المقام أو على التعبير به عن الذات (واستفتحوا) الضمير للرسل أى استنصروا بالله وأصله طلب الفتح وهو الحكم (جبار) أى قاهر أو متكبر (عنيد) مخالف للانقياد (من ورائه) فى الموضعين والوراء هنا بمعنى ما يستقبل من الزمان ، وقيل معناه هنا أمامه وهو بعيد (ويسقى) معطوف على محذوف تقديره من ورائه جهنم يلقى فيها ويسقى، وإنما ذكر هذا السقى تجريدا بعد ذكر جهنم ، لأنه من أشد عذابها (يتجرعه ولا يكاد يسيغه) أى يتكلف جرعه وتصعب عليه إساغته ونفى كاد يقتضى وقوع الإساغة بعد جهد ، ومعنى يسيغه يبتلعه (ويأتيه الموت من كل مكان) أى يجد الماء مثل ألم الموت وكربته من جميع الجهات (وما هو بميت) أى لا يراح بالموت (مثل الذين كفروا) مذهب سيبويه والفراء فيه كقولهما فى مثل الجنة التى فى الرعد والقتال والخبر عند سيبويه محذوف تقديره فيما يتلى عليكم والخبر عند الفراء الجملة التى بعده ، والمثل هنا بمعنى الشبيه (أعمالهم كرماد) تشبيها بالرماد فى ذهابها وتلاشيها (فى يوم عاصف) أى شديد الريح والعصوف فى الحقيقة من صفة الريح (لا يقدرون مما كسبوا على شيء)

شىء ذٰلك هو الضلٰل البعيد ۞ ألم تر أن الله خلق السمٰوٰت والأرض بالحق إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ۞ وما ذٰلك على الله بعزيز ۞ وبرزوا لله جميعا فقال الضعفٰؤا للذين استكبروا إنا كنا لكم تبعا فهل أنتم مغنون عنا من عذاب الله من شىء قالوا لو هدىٰنا الله لهديتٰكم سوآء علينا أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص ۞ وقال الشيطٰن لما قضى الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لى عليكم من سلطٰن إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى إنى كفرت بما أشركتمون من قبل إن الظٰلمين لهم عذاب أليم ۞ وأدخل الذين ءامنوا وعملوا الصٰلحٰت جنٰت تجرى من تحتها الأنهٰر خٰلدين فيها بإذن ربهم تحيتهم فيها سلٰم ۞ ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها فى السماء ۞ تؤتى أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ۞ ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار ۞ يثبت الله الذين ءامنوا بالقول الثابت فى الحيٰوة الدنيا وفى الآخرة ويضل الله الظٰلمين ويفعل الله ما يشاء ۞ ألم

أى لايرون له منفعة (وبرزوا لله) أى ظهروا ومعنى الظهور هنا خروجهم من القبور ، وقيل معناه صاروا بالبراز ، وهى الأرض المتسعة (تبعا) جمع تابع أومصدر وصف بمبالغة ، أو على حذف مضاف (من عذاب الله من شىء) من الأولى للبيان ، والثانية للتبعيض ، ويجوز أن يكونا للتبعيض معاقاله الزمخشرى ، والأظهر أن الأولى للبيان ، والثانية زائدة والمعنى هل أنتم دافعون أو متحملون عنا شيئا من عذاب الله (محيص) أى مهرب حيث وقع ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسم مكان (وقال الشيطان) يعنى إبليس الأقدم ، روى أنه يقوم خطيبا بهذا الكلام يوم القيامة أو فى النار يقوله لأهلها (لما قضى الأمر) إن كان كلام إبليس فى القيامة بمعنى قضى الأمر تعين قوم للنار وقوم للجنة وإن كان فى النار فمعنى قضى الأمر حصل أهل النار فى النار وأهل الجنة فى الجنة (إلا أن دعوتكم) استثناء منقطع (ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخى) أى ما أنا بمغيثكم وما أنتم مغيثين لى (بما أشركتمون) ما مصدرية : أى بإشراككم لى مع الله فى الطاعة (من قبل) يتعلق بأشركتمون ويحتمل أن يتعلق بكفرتم ، والأول أظهر وأرجح (إن الظالمين) استئناف من كلام الله تعالى ، ويحتمل أن يكون حكاية عن إبليس (بإذن ربهم) يتعلق بأدخل أو بخالدين ، والأول أحسن (كلمة طيبة) ابن عباس وغيره هى لا إله إلا الله وقيل كل حسنة (كشجرة طيبة) هى النخلة فى قول الجمهور ، واختار ابن عطية أنها شجرة غير معينة إلا أنها كل ما تصف بتلك الصفات (وفرعها فى السماء) أى فى الهواء ، وذلك عبارة عن طولها (تؤتى أكلها كل حين) الحين فى اللغة وقت غير محدود وقد تقترن به قرينة تحده ، وقيل فى كل حين كل سنة لأن النخلة تطعم فى كل سنة . وقيل غير ذلك (ومثل كلمة خبيثة) هى كلمة الكفر ، وقيل كل كلمة قبيحة (كشجرة خبيثة) هى الحنظلة عند الجمهور . واختار ابن عطية أنها غير معينة (اجتثت) أى اقتلعت وحقيقة

تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ ۞ جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا وَبِئْسَ الْقَرَارُ ۞ وَجَعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلُّوا عَن سَبِيلِهِ قُلْ تَمَتَّعُوا فَإِنَّ مَصِيرَكُمْ إِلَى النَّارِ ۞ قُل لِّعِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا يُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُنفِقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ ۞ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْأَنْهَارَ ۞ وَسَخَّرَ لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنِ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ ۞ وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ ۞ وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ اجْعَلْ هَٰذَا الْبَلَدَ آمِنًا وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعْبُدَ الْأَصْنَامَ ۞ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ رَّبَّنَا إِنِّي أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ۞ رَبَّنَا إِنَّكَ تَعْلَمُ مَا نُخْفِي وَمَا نُعْلِنُ وَمَا يَخْفَىٰ عَلَى

الاجتثاث أخذ الجثة ، وهذا فى مقابلة قوله أصلها ثابت (بالقول الثابت) هو لا إله إلا الله ، والإقرار بالنبوة (فى الحياة الدنيا) أى إذا فتنوا لم يزلوا (وفى الآخرة) هو عند السؤال فى القبر عند الجمهور (بدلوا نعمة الله كفرا) نعمة الله هنا هو محمد صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ودينه : أنعم الله به على قريش فكفروا النعمة ولم يقبلوها ، والتقدير بدلوا شكر نعمة الله كفرا (وأحلوا قومهم) أى من أطاعهم واتبعهم (دار البوار) فسرها بقوله جهنم (يقيموا الصلاة وينفقوا) هى جواب شرط فقد يتضمنه قوله قل تقديره إن تقل لهم أقيموا يقيموا ، ومعمول القول على هذا محذوف ، وقيل جزم بإضمار لام الأمر تقديره ليقيموا (ولا خلال) من الخلة وهى المودة (إن الإنسان) يريد الجنس (البلد آمنا) ذكر فى البقرة (واجنبنى) أى امنعنى ، والماضى منه جنب ، يقال جنب وجنب بالتشديد ، وأجنب بمعنى واحد (وبنىّ) يعنى بنىّ من صلبى وفيهم أجيبت دعوته وأما أعقاب بنيه فعبدوا الأصنام (ومن عصانى) يعنى من عصاه بغير الكفر وبالكفر ثم تاب منه ، فهو الذى يصح أن يدعى له بالمغفرة ولكنه ذكرا للفظ بالعموم لما كان عليه السلام من الرحمة للخلق وحسن الخلق (أسكنت من ذريتى) يعنى ابنه إسماعيل عليه السلام لما ولدته أمه هاجر غارت منها سارة زوجة إبراهيم فحمله مع أمه من الشام إلى مكة (بواد) يعنى مكة ، والوادى ما بين جبلين وإن لم يكن فيه ماء (عند بيتك المحرم) يعنى الكعبة فإما أن يكون البيت أقدم من إبراهيم على ما جاء فى بعض الروايات ، وإما أن يكون إبراهيم قد علم أنه سيبنى هناك بيتا (ليقيموا الصلاة) اللام يحتمل أن تكون لام الأمر بمعنى الدعاء أو لام كى وتتعلق بأسكنت وجمع الضمير يدل على أنه قد كان علم أن ابنه يعقوب هناك نسلا (تهوى إليهم) أى تسير بجد وإسراع ولهذه الدعوة حبب الله حج البيت إلى الناس على أنه قال من الناس بالتبعيض ، قال بعضهم : لو قال أفئدة الناس لحجته فارس والروم (وارزقهم من الثمرات) أى ارزقهم فى ذلك الوادى مع أنه غير ذى زرع وأجاب الله دعوته

ٱللَّهِ من شيء فى ٱلْأَرْضِ وَلَا فى ٱلسَّمَآءِ ۞ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى وَهَبَ لِى عَلَى ٱلْكِبَرِ إِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ إِنَّ رَبِّى لَسَمِيعُ ٱلدُّعَآءِ ۞ رَبِّ ٱجْعَلْنِى مُقِيمَ ٱلصَّلَوٰةِ وَمِن ذُرِّيَّتِى رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَآءِ ۞ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لِى وَلِوَٰلِدَىَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ ٱلْحِسَابُ ۞ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ غَٰفِلًا عَمَّا يَعْمَلُ ٱلظَّٰلِمُونَ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ ٱلْأَبْصَٰرُ ۞ مُهْطِعِينَ مُقْنِعِى رُءُوسِهِمْ لَا يَرْتَدُّ إِلَيْهِمْ طَرْفُهُمْ وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ ۞ وَأَنذِرِ ٱلنَّاسَ يَوْمَ يَأْتِيهِمُ ٱلْعَذَابُ فَيَقُولُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا رَبَّنَآ أَخِّرْنَآ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ نُّجِبْ دَعْوَتَكَ وَنَتَّبِعِ ٱلرُّسُلَ أَوَلَمْ تَكُونُوٓا أَقْسَمْتُم مِّن قَبْلُ مَا لَكُم مِّن زَوَالٍ ۞ وَسَكَنتُمْ فِى مَسَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا أَنفُسَهُمْ وَتَبَيَّنَ لَكُمْ كَيْفَ فَعَلْنَا بِهِمْ وَضَرَبْنَا لَكُمُ ٱلْأَمْثَالَ ۞ وَقَدْ مَكَرُوا مَكْرَهُمْ وَعِندَ ٱللَّهِ مَكْرُهُمْ وَإِن كَانَ مَكْرُهُمْ لِتَزُولَ مِنْهُ ٱلْجِبَالُ ۞ فَلَا تَحْسَبَنَّ ٱللَّهَ مُخْلِفَ وَعْدِهِ رُسُلَهُۥٓ

لجعل مكة يجبى إليها ثمرات كل شيء (وما يخفى على الله) الآية: يحتمل أن تكون من كلام الله تعالى ، أو حكاية عن إبراهيم (وهب لى على الكبر إسماعيل وإسحاق) روى أنه ولد له إسماعيل وهو ابن مائة وسبع عشرة عاما ، وروى أقل من هذا ، وإسماعيل أسن من إسحق (ربنا وتقبل دعاء) إن أراد بالدعاء الطلب والرغبة فمعنى القبول: الاستجابة ، وإن أراد بالدعاء العبادة . فالقبول على حقيقته (ربنا اغفر لى ولوالدى) قيل إنما دعا بالمغفرة لأبويه الكافرين بشرط إسلامهما ، والصحيح أنه دعا لهما قبل أن يتبين له أن أباه عدو لله حسبما ورد فى براءة (ولا تحسبن الله غافلا) هذا وعيد للظالمين وهم الكفار على الأظهر ، فإن قيل لمن هذا الخطاب هنا وفى قوله ولا تحسبن الله مخلف وعده رسله ، فالجواب أنه يحتمل أن يكون خطابا للنبي صلى الله عليه وآله وسلم أو لغيره ، فإن كان لغيره فلا إشكال وإن كان له فهو مشكل لأن النبي صلى الله عليه وسلم لا يحسب أن الله غافلا ، وتأويل ذلك بوجهين: أحدهما أن المراد الثبوت على علمه بأن الله غير غافل وغير مخلف وعده ، والآخر أن المراد إعلامه بعقوبة الظالمين فمقصد الكلام الوعيد لهم (تشخص فيه الأبصار) أى تحد النظر من الخوف (مهطعين) قيل الإهطاع الإسراع ، وقيل شدة النظر من غير أن يطرف (مقنعى رؤسهم) قيل الإقناع هو رفع الرأس ، وقيل خفضه من الذلة (لا يرتد إليهم طرفهم) أى لا يطرفون بعيونهم من الحذر والجزع (وأفئدتهم هواء) أى منحرفة لا تعى شيئا من شدة الجزع فشبهها بالهواء فى تعريفه من الأشياء ، ويحتمل أن يريد مضطربة فى صدورهم (يوم يأتيهم العذاب) يعنى يوم القيامة ، وانتصاب يوم على أنه مفعول ثان لأنذر ، ولا يجوز أن يكون ظرفا (أولم تكونوا) تقديره يقال لهم أولم تكونوا الآية (مالكم من زوال) هو المقسم عليه ، ومعنى من زوال أى من الأرض بعد الموت أى حلفتم أنكم لا تبعثون (وعند الله مكرهم) أى جزاء مكرهم (وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال) إن هنا نافية ، واللام لام الجحود ، والجبال يراد بها الشرائع والنبوات شبهت بالجبال فى ثبوتها ، والمعنى تحقير مكرهم لأنه لا تزول منه تلك الجبال الثابتة الراسخة ؛ وقرأ الكسائى لتزول بفتح اللام ورفع تزول ، وإن على هذه القراءة مخففة من الثقيلة ، واللام للتأكيد ، والمعنى تعظيم مكرهم أى أن مكرهم من شدته تزول منه الجبال ، ولكن

إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ ذُو ٱنتِقَامٍ * يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ وَبَرَزُوا لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ * وَتَرَى ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ مُّقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ * سَرَابِيلُهُم مِّن قَطِرَانٍ وَتَغْشَىٰ وُجُوهَهُمُ ٱلنَّارُ * لِيَجْزِىَ ٱللَّهُ كُلَّ نَفْسٍ مَّا كَسَبَتْ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ * هَٰذَا بَلَٰغٌ لِّلنَّاسِ وَلِيُنذَرُوا بِهِۦ وَلِيَعْلَمُوٓا أَنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ وَلِيَذَّكَّرَ أُولُوا ٱلْأَلْبَٰبِ *

سورة الحجر

مكية إلا آية ٨٧ فمدنية وآياتها ٩٩ نزلت بعد سورة يوسف

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ * الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ وَقُرْءَانٍ مُّبِينٍ * رُّبَمَا يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ * ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ ٱلْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَمَآ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍ إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ

الله عصم ووقى منه (فلا تحسبن الله مخلف وعده رسله) يعنى وعد النصر على الكفار ، فإن قيل هلا قال مخلف رسله وعده ، ولم قدم المفعول الثانى على الأول ؟ فالجواب أنه قدم الوعد ليعلم أنه لا يخلف الوعد أصلا على الإطلاق ، ثم قال رسله ليعلم أنه إذا لم يخلف وعد أحد من الناس ، فكيف يخلف وعد رسله وخيرة خلقه فقدم الوعد أولا بقصد الإطلاق ، ثم ذكر الرسل لقصد التخصيص (يوم تبدل الأرض غير الأرض) العامل فى الظرف ذوا انتقام أو محذوف ، وتبديل الأرض بأن تكون يوم القيامة بيضاء عفراء كقرصة النقى هكذا ورد فى الحديث الصحيح (والسموات) تبديلها بانشقاقها وانتشار كواكبها ، وخسوف شمسها وقمرها وقيل تبدل أرضا من فضة ، وسماء من ذهب وهذا ضعيف (وترى المجرمين) يعنى الكفار (مقرنين فى الأصفاد) أى مربوطين فى الأغلال (سرابيلهم) أى قمصهم والسربال القميص (من قطران) متعلق بمحذوف أى جعل الله فيه ذلك وهو الذى تهيأ به الإبل وللنار فيه اشتعال شديد ، فلذلك جعل الله قمص أهل النار منه (ليجزى) يتعلق بمحذوف أى فعل الله ذلك ليجزى (هذا بلاغ) إشارة إلى القرآن أو إلى ما تضمنته هذه السورة (ولينذروا) معطوف على محذوف تقديره لينصحوا به ولينذروا (وليذكر أولو الألباب) أى هذا الذكر لأولى العقول وهم أهل العلم رضى الله عنهم

سورة الحجر

(تلك آيات الكتاب وقرآن مبين) يحتمل أن يريد بالكتاب الكتب المتقدمة ، وعطف القرآن عليها ، والظاهر أنه القرآن وعطفه عطف الصفات (ربما) قرئ بالتخفيف والتشديد وهما لغتان ، وما حرف كافة لرب ، ومعنى رب التقليل ، وقد تكون للتكثير ، وقيل إن هذه منه ، وقيل إنما عبر عن التكثير بأداة التقليل على وجه التهكم كقوله : قد نرى تقلب وجهك فى السماء ، وقد يعلم ما أنتم عليه ، وقيل إن معنى التقليل فى هذه أنهم لو كانوا يودون الإسلام مرة واحدة لوجب أن يسارعوا إليه ، فكيف وهم يودونه مرارا كثيرة ولا تدخل إلا على الماضى (يود الذين كفروا لو كانوا مسلمين) قيل إن ذلك عند الموت ، وقيل

مَّعْلُومٌ ۞ مَّا تَسْبِقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ ۞ وَقَالُوا يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِى نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ ۞ لَّوْ مَا تَأْتِينَا بِٱلْمَلَٰٓئِكَةِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۞ مَا نُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَا كَانُوٓا۟ إِذًا مُّنظَرِينَ ۞ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ۞ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى شِيَعِ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَمَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ كَذَٰلِكَ نَسْلُكُهُۥ فِى قُلُوبِ ٱلْمُجْرِمِينَ ۞ لَا يُؤْمِنُونَ بِهِۦ وَقَدْ خَلَتْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ ۞ وَلَوْ فَتَحْنَا عَلَيْهِم بَابًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَظَلُّوا۟ فِيهِ يَعْرُجُونَ ۞ لَقَالُوٓا۟ إِنَّمَا سُكِّرَتْ أَبْصَٰرُنَا بَلْ نَحْنُ قَوْمٌ مَّسْحُورُونَ ۞

فى القيامة ، وقيل إذا خرج عصاة المسلمين من النار ، وهذا هو الأرجح لحديث روى فى ذلك (ذرهم) وما بعده تهديد (كتاب معلوم) أى وقت محدود (وقالوا ياأيها الذى نزل عليه الذكر إنك لمجنون) الضمير فى قالوا لكفار قريش ، وقولهم نزل عليه الذكر يعنون على وجه الاستخفاف ، أى بزعمك ودعواك (لو ماتأتينا بالملائكة) لوما عرض وتحضيض ، والمعنى أنهم طلبوا من النبى صلى الله عليه وسلم أن يأتيهم بالملائكة معه (ماننزل الملائكة إلا بالحق) رد عليهم فيما اقترحوا ، والمعنى أن الملائكة لا تنزل إلا بالحق من الوحى والمصالح ، التى يريدها الله ، لا باقتراح مقترح واختيار كافر ، وقيل الحق هنا العذاب (وما كانوا إذاً منظرين) إذاً حرف جواب وجزاء ، والمعنى لو أنزل الملائكة لم يؤخر عذاب هؤلاء الكفار ، الذين اقترحوا نزولهم ، لأن من عادة الله أن من اقترح آية فرآها ولم يؤمن أنه يعجل له العذاب ، وقد علم الله ، أن هؤلاء القوم يؤمن كثير منهم ، ويؤمن أعقابهم فلم يفعل بهم ذلك (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون) الذكر هنا هو القرآن وفى قوله إنا نحن نزلنا الذكر رداً لإنكارهم واستخفافهم فى قولهم : يا أيها الذى نزل عليه الذكر ولذلك أكده بنحن واحتج عليه بحفظه ، ومعنى حفظه حراسته عن التبديل والتغيير كما جرى فى غيره من الكتب ، فتولى الله حفظ القرآن فلم يقدر أحد على الزيادة فيه ولا النقصان منه ولا تبديله بخلاف غيره من الكتب ، فإن حفظها موكول إلى أهلها لقوله بما استحفظوا من كتاب الله (فى شيع الأولين) الشيع جمع شيعة وهى الطائفة التى تتشيع لمذهب أو رجل (كذلك نسلكه فى قلوب المجرمين) معنى نسلكه ندخله ، والضمير فى نسلكه يحتمل أن يكون للاستهزاء الذى دل عليه قوله به يستهزؤن أو يكون للقرآن أى نسلكه فى قلوبهم فيستهزؤا به ، ويكون قوله كذلك تشبيها للاستهزاء المتقدم ، ولا يؤمنون به تفسيرا لوجه إدخاله فى قلوبهم ، والضمير فى به للقرآن (وقد خلت سنة الأولين) أى تقدمت طريقتهم على هذه الحالة من الكفر والاستهزاء حتى هلكوا بذلك ، ففى الكلام تهديد لقريش (ولو فتحنا عليهم بابا من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا إنما سكرت أبصارنا) الضمائر لكفار قريش المعاندين المحتوم عليهم بالكفر وقيل الضمير فى ظلوا وفى يعرجون للملائكة وفى قالوا للكفار ، ومعنى يعرجون يصعدون ، والمعنى أن هؤلاء الكفار لو رأوا أعظم آية لقالوا إنها تخييل أو سحر ، وقرئ سكرت بالتشديد والتخفيف ، ويحتمل أن يكون مشتقا من السكر . فيكون معناه أحيرت أبصارنا فرأينا الأمر على غير حقيقته أو من السكر وهو السد فيكون معناه منعت أبصارنا

وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ، وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ، إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ ، وَالْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ شَىْءٍ مَّوْزُونٍ ، وَجَعَلْنَا لَكُمْ فِيهَا مَعَٰيِشَ وَمَن لَّسْتُمْ لَهُ بِرَٰزِقِينَ ، وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا عِندَنَا خَزَآئِنُهُ وَمَا نُنَزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ ، وَأَرْسَلْنَا الرِّيَٰحَ لَوَٰقِحَ فَأَنزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَسْقَيْنَٰكُمُوهُ وَمَا أَنتُمْ لَهُ بِخَٰزِنِينَ ، وَإِنَّا لَنَحْنُ نُحْىِ وَنُمِيتُ وَنَحْنُ الْوَٰرِثُونَ ، وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنكُمْ وَلَقَدْ عَلِمْنَا الْمُسْتَـْٔخِرِينَ ، وَإِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَحْشُرُهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ، وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ، وَالْجَآنَّ خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ مِن نَّارِ السَّمُومِ ، وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ، فَإِذَا سَوَّيْتُهُ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِى فَقَعُوا لَهُ سَٰجِدِينَ ، فَسَجَدَ الْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ، إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰٓ أَن يَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ، قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا لَكَ

من النظر (بروجا) يعنى المنازل الاثنى عشر (إلا من استرق السمع) استثناء من حفظ السموات فهو فى موضع نصب (من كل شيء موزون) أى مقدر بقدر ، فالوزن على هذا استعارة وقيل المراد مايوزن حقيقة كالذهب والأطعمة ، والأول أعم وأحسن (ومن لستم له برازقين) يعنى البهائم والحيوانات ومن معطوف على معايش وقيل على الضمير فى لكم ، وهذا ضعيف فى النحو لأنه عطف على الضمير المخفوض من غير إعادة الخافض وهو قوى فى المعنى أى جعلنا فى الأرض معايش لكم وللحيوانات (وإن من شيء إلا عندنا خزائنه) قيل يعنى المطر ، واللفظ أعم من ذلك ، والخزائن المواضع الخازنة ، وظاهر هذا أن الأشياء موجودة قد خلقت ، وقيل ذلك تمثيل ، والمعنى وإن من شيء إلا نحن قادرون على إيجاده وتكوينه (بقدر معلوم) أى بمقدار محدود (وأرسلنا الرياح لواقح) يقال لقحت الناقة والشجرة إذا حملت فهى لافحة وألقحت الريح الشجر فهى ملقحة ولواقح جمع لاقحة ، لأنها تحمل الماء أو جمع ملحقة على حذف الميم الزائدة (ولقد علمنا المستقدمين) الآية : يعنى الأولين والآخرين من الناس ، وذكر ذلك على وجه الاستدلال على الحشر الذى ذكر بعد ذلك فى قوله وإن ربك هو يحشرهم لأنه إذا أحاط بهم علماً لم تصعب عليه إعادتهم وحشرهم ، وقيل يعنى من استقدم ولادة وموتاً ومن تأخر ، وقيل من تقدم إلى الإسلام ومن تأخر عنه (ولقد خلقنا الإنسان من صلصال) الإنسان هنا هو آدم عليه السلام ، والصلصال الطين اليابس الذى يصلصل أى يصوت وهو غير مطبوخ فاذا طبخ فهو فخار (من حمأ مسنون) الحمأ الطين الأسود ، والمسنون المتغير المنتن ، وقيل إنه من أسن الماء إذا تغير ، والتصريف يرد هذا القول ، وموضع من حمأ صفة لصلصال : أى صلصال كائن من حمأ (والجان خلقناه) يراد به جنس الشياطين ، وقيل إبليس الأول ، وهذا أرجح لقوله من قبل وتناسلت الجن من إبليس وهو للجن كآدم للناس (السموم) شدة الحر (خالق بشرا) يعنى آدم عليه السلام (ونفخت فيه من روحى) يعنى الروح التى فى الجسد ، وأضاف الله تعالى الروح إلى نفسه إضافة ملك إلى مالك أى من الروح

أَلَّا تَكُونَ مَعَ السَّٰجِدِينَ ۝ قَالَ لَمْ أَكُن لِّأَسْجُدَ لِبَشَرٍ خَلَقْتَهُ مِن صَلْصَٰلٍ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ۝ قَالَ فَاخْرُجْ مِنْهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٌ ۝ وَإِنَّ عَلَيْكَ اللَّعْنَةَ إِلَىٰ يَوْمِ الدِّينِ ۝ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِي إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنظَرِينَ ۝ إِلَىٰ يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ ۝ قَالَ رَبِّ بِمَا أَغْوَيْتَنِي لَأُزَيِّنَنَّ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَلَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ ۝ قَالَ هَٰذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ۝ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ إِلَّا مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ۝ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمَوْعِدُهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَٰبٍ لِّكُلِّ بَابٍ مِّنْهُمْ جُزْءٌ مَّقْسُومٌ ۝ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ادْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ءَامِنِينَ ۝ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ إِخْوَٰنًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ۝ لَا يَمَسُّهُمْ فِيهَا نَصَبٌ وَمَا هُم مِّنْهَا بِمُخْرَجِينَ ۝ نَبِّئْ عِبَادِي أَنِّي أَنَا الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ۝ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ ۝ وَنَبِّئْهُمْ عَن ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ۝ إِذْ دَخَلُوا عَلَيْهِ فَقَالُوا سَلَٰمًا قَالَ إِنَّا مِنكُمْ وَجِلُونَ ۝ قَالُوا لَا تَوْجَلْ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ۝ قَالَ أَبَشَّرْتُمُونِي عَلَىٰ أَن مَّسَّنِيَ الْكِبَرُ فَبِمَ تُبَشِّرُونَ ۝ قَالُوا بَشَّرْنَٰكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُن مِّنَ الْقَٰنِطِينَ ۝ قَالَ وَمَن

الذى هو لى وخلق من خاق ، وتقدم الكلام على سجود الملائكة فى البقرة (فاخرج منها) أى من الجنة أو من السماء (قال رب) يقتضى إقراره بالربوبية وأن كفره كان بوجه غير الجحود ، وهو اعتراضه على الله فى أمره بالسجود لآدم (إلى يوم الوقت المعلوم) اليوم الذى طلب إبليس أن ينظر إليه هو يوم القيامة ، وقيل الوقت المعلوم الذى أنظر إليه هو يوم النفخ فى الصور النفخة الأولى حين يموت من فى السموات ومن فى الأرض وكان سؤال إبليس الانتظار إلى يوم القيامة جهلا منه ومغالطة إذ سأل مالا سبيل إليه لأنه لو أعطى ما سأل لم يمت أبدا لأنه لا يموت أحد بعد البعث فلما سأل مالا سبيل إليه : أعرض الله عنه ، وأعطاه الانتظار إلى النفخة الأولى (فبما أغويتنى) الباء للسببية أى لأغوينهم بسبب إغوائك لى ، وقيل للقسم كأنه قال بقدرتك على إغوائى لأغوينهم ، والضمير لذرية آدم (قال هذا صراط على مستقيم) القائل لهذا هو الله تعالى ، والإشارة بهذا إلى نجاة المخلصين من إبليس وأنه لا يقدر عليهم أو إلى تقسيم الناس إلى غوى ومخلص (إلا عبادك) يحتمل أن يريد بالعباد جميع الناس ، فيكون قوله إلا من اتبعك استثناء متصل أو يريد بالعباد المخلصين فيكون الاستثناء منقطعا (وإن جهنم لموعدهم) الضمير للغاوين (لها سبعة أبواب) روى أنها سبعة أطباق فى كل طبقة باب ، فأعلاها للمذنبين من المسلمين والثانى لليهود ، والثالث للنصارى ، والرابع للصابئين والخامس للمجوس ، والسادس للمشركين ، والسابع للمنافقين (ادخلوها) تقديره يقال لهم ادخلوها والسلام يحتمل أن يكون التحية أو السلامة (إخوانا) يعنى أخوة المودة والإيمان (متقابلين) أى يقابل بعضهم بعضا على الأسرة (نصب) أى تعب (نبىء عبادى) الآية : أعلمهم والآية آية ترجية وتخويف (ونبئهم عن ضيف إبراهيم) ضيف هنا واقع على جماعة وهم الملائكة الذين جاؤا إلى إبراهيم بالبشرى (وجلون) أى خائفون ، والوجل الخوف (لا توجل) أى لا تخف (إنا نبشرك بغلام عليم) هو إسحاق (قال أبشرتمونى على أن مسنى الكبر) المعنى أبشرتمونى بالولد مع أننى قد كبر سنى ،

يَقْنَطُ من رَّحْمَةِ رَبِّهِۦٓ إِلَّا ٱلضَّآلُّونَ ۞ قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ۞ إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ إِنَّا لَمُنَجُّوهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ قَدَّرْنَآ إِنَّهَا لَمِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ۞ فَلَمَّا جَآءَ ءَالَ لُوطٍ ٱلْمُرْسَلُونَ ۞ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ۞ قَالُواْ بَلْ جِئْنَٰكَ بِمَا كَانُواْ فِيهِ يَمْتَرُونَ ۞ وَأَتَيْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ۞ فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ وَٱتَّبِعْ أَدْبَٰرَهُمْ وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُواْ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ ۞ وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَٰٓؤُلَآءِ مَقْطُوعٌ مُّصْبِحِينَ ۞ وَجَآءَ أَهْلُ ٱلْمَدِينَةِ يَسْتَبْشِرُونَ ۞ قَالَ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ ضَيْفِى فَلَا تَفْضَحُونِ ۞ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُخْزُونِ ۞ قَالُوٓاْ أَوَلَمْ نَنْهَكَ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ ۞ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِىٓ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ۞ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ۞ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّيْحَةُ مُشْرِقِينَ ۞ فَجَعَلْنَا عَٰلِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً

وكان حينئذ ابن مائة سنة ، وقيل أكثر (فبم تبشرون) قال ذلك على وجه التعجب من ولادته فى كبره أو على وجه الاستبعاد ، ولذلك قرئ تبشرون ، بتشديد النون وكسرها على إدغام نون الجمع فى نون الوقاية وبالكسر والتخفيف على حذف إحدى النونين وبالفتح وهى نون الجمع (قالوا بشرناك بالحق) أى باليقين الثابت فلا تستبعده ولا تشك فيه (ومن يقنط من رحمة ربه إلا الضالون) دليل على تحريم القنوط ، وقرئ يقنط بفتح النون وكسرها وهما لغتان (قال فما خطبكم) أى ماشأنكم، وبأى شيء جئتم (إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط (إلا آل لوط) يحتمل أن يكون استثناء من قوم لوط فيكون منقطعا لوصف القوم بالاجرام، ولم يكن آل لوط مجرمين ويحتمل أن يكون استثناء من الضمير فى المجرمين، فيكون متصلا كأنه قال إلى قوم قد أجرموا كلهم إلا آل لوط فلم يجرموا (إلا امرأته) استثناء من آل لوط ، فهو استثناء من استثناء وقال الزمخشرى إنما هو استثناء من الضمير المجرور فى قوله لمنجوهم ، وذلك هو الذى يقتضيه المعنى (قدرنا إنها لمن الغابرين) الغابر يقال بمعنى الباقى ، وبمعنى الذاهب وإنما أسند الملائكة فعل التقدير إلى أنفسهم ، وهو لله وحده لما لهم من القرب والاختصاص بالله ، لاسيما فى هذه القضية ، كما تقول خاصة الملك للملك دبرنا كذا ويحتمل أن يكون حكاية عن الله (قوم منكرون) أى لانعرفهم (قالوا بل جئناك بما كانوا فيه يمترون) أى جئناك بالعذاب لقومك ومعنى يمترون يشكون فيه (واتبع أدبارهم) أى كن خلفهم أى فى ساقتهم حتى لا يبقى منهم أحد وليكونوا قدامه ، فلا يشتغل قلبه بهم لو كانوا وراءه لخوفه عليهم (ولا يلتفت منكم أحد) تقدم فى هود (وامضوا حيث تؤمرون) قيل هى مصر وقيل حيث هنا للزمان إذ لم يذكر مكان (وقضينا إليه ذلك الأمر) هو من القضاء والقدر ، وإنما تعدى بإلى لأنه ضمن معنى أوحينا وقيل معناه أعلمناه بذلك الأمر (أن دابر هؤلاء مقطوع) هذا تفسير لذلك الأمر ، ودابر القوم أصلهم ، والإشارة إلى قوم لوط (مصبحين) فى الموضعين أى إذا أصبحوا ودخلوا فى الصباح (وجاء أهل المدينة يستبشرون) المدينة هى سدوم واستبشار أهلها بالأضياف طمعا أن ينالوا منهم الفاحشة (قالوا أولم ننهك عن العالمين) كانوا قد نهوه أن يضيف أحداً (قال هؤلاء بناتى) دعاهم إلى تزويج بناته ليقى بذلك أضيافه (لعمرك) قسم والعمر الحياة ، ففى ذلك كرامة للنبى صلى الله عليه وسلم ، لأن الله أقسم بحياته ، أو قيل هو من قول الملائكة للوط وارتفاعه بالابتداء، وخبره محذوف تقديره لعمرك قسمى واللام للتوطئة (إنهم لفى

مِّن سِجِّيلٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ۝ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ۝ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَإِن كَانَ أَصْحَٰبُ الْأَيْكَةِ لَظَٰلِمِينَ ۝ فَانتَقَمْنَا مِنْهُمْ وَإِنَّهُمَا لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ۝ وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ الْحِجْرِ الْمُرْسَلِينَ ۝ وَءَاتَيْنَٰهُمْ ءَايَٰتِنَا فَكَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ ۝ وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ ۝ فَأَخَذَتْهُمُ الصَّيْحَةُ مُصْبِحِينَ ۝ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ ۝ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلَّٰقُ الْعَلِيمُ ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِى وَالْقُرْءَانَ الْعَظِيمَ ۝ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَاخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ وَقُلْ إِنِّىٓ أَنَا

سكرتهم يعمهون) الضمير لقوم لوط . وسكرتهم ضلالهم وجهلهم ، ويعمهون أى يتحيرون (فأخذتهم الصيحة) أى صيحة جبريل وهى أخذه لهم (مشرقين) أى داخلين فى الشروق وهو وقت بزوغ الشمس ، وقد تقدم تفسير مابعد هذا من قصتهم فى هود (المتوسمين) أى للمتفرسين ، ومنه فراسة المؤمن ، وقيل للمعتبرين ، وحقيقة التوسم النظر إلى السيمة (وإنها لبسبيل مقيم) أى بطريق ثابت يراه الناس والضمير المدينة المهلكة (وإن كان أصحاب الأيكة لظالمين) أصحاب الأيكة قوم شعيب والأيكة الغيضة من الشجر لما كفروا أضرمها الله عليهم نارا (وإنهما لبإمام مبين) الضمير فى إنهما قيل إنه لمدينة قوم لوط وقوم شعيب ، فالإمام على هذا الطريق : أى إنهما بطريق واضح يراه الناس . وقيل الضمير للوط وشعيب أى إنهما على طريق من الشرع واضح والأول أظهر (أصحاب الحجر) هم ثمود قوم صالح ، والحجر واديهم وهو بين المدينة والشام (المرسلين) ذكره بالجمع وإنما كذبوا واحدا منهم وفى ذلك تأويلان أحدهما أن من كذب واحدا من الأنبياء لزمه تكذيب الجميع لأنهم جاءوا بأمر متفق من التوحيد ، والثانى أنه أراد الجنس كقولك فلانا يركب الخيل ، وإن لم يركب إلا فرسا واحدا (وآتيناهم آياتنا) يعنى الناقة ، وماكان فيها من العجائب (وكانوا ينحتون من الجبال بيوتا) النحت النقر بالمعاويل وشبهها فى الحجر والعود وشبه ذلك وكانوا ينقرون بيوتهم فى الجبال (آمنين) يعنى آمنين من تهدم بيوتهم لوثاقتها ، وقيل آمنين من عذاب الله (إلا بالحق) يعنى أنها لم تخلق عبثا (فاصفح الصفح الجميل) قيل إن الصفح الجميل هو الذى ليس معه عقاب ولا عتاب ، وفى الآية مهادنة للكفار منسوخة بالسيف (ولقد آتيناك سبعا من المثانى) يعنى أم القرآن لأنها سبع آيات ، وقيل يعنى السور السبع الطوال ، وهى البقرة وآل عمران ، والنساء ، والمائدة ، والأنعام ، والأعراف ، والأنفال مع براءة ، والأول أرجح لوروده فى الحديث ، والمثانى مشتق من التثنية وهى التكرير ، لأن الفاتحة تكرر قراءتها فى الصلاة ، ولأن غيرها من السور تكرر فيها القصص وغيرها ، وقيل هى مشتقة من الثناء . لأن فيها ثناء على الله ، ومن يحتمل أن تكون للتبعيض أو لبيان الجنس ، وعطف القرآن على السبع المثانى لأنه يعنى ماسواها من القرآن فهو عموم بعد الخصوص (لاتمدن عينيك) أى لا تنظر إلى مامتعناهم به فى الدنيا كأنه يقول قد آتيناك السبع المثانى والقرآن العظيم ، فلا تنظر إلى الدنيا ، فإن الذى أعطيناك أعظم منها (أزواجا منهم) يعنى أصنافا من الكفار

النَّذِيرُ الْمُبِينُ ۝ كَمَا أَنزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۝ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْءَانَ عِضِينَ ۝ فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۝ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِءِينَ ۝ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۝ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۝ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّٰجِدِينَ ۝ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۝

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ۝ أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَٰنَهُ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۝ يُنَزِّلُ الْمَلَٰٓئِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تتأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع ولن (المؤمنين) والجناح هنا استعارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين، واختلف فى المقتسمين فقيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه، فاقتسموا إلى قسمين، وقيل هم قريش اقتسموا أبواب مكة فى الموسم، فوقف كل واحد منهم على باب، يقول أحدهم هو شاعر، ويقول الآخر هو ساحر، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضة وقيل هو من العضه وهو السحر، والعاضه الساحر، والمعنى على هذا أنه سحر، والكلمة محذوفة اللام ولامها على القول الأول واو وعلى الثانى هاء (فوربك لنسئلنهم أجمعين) إن قيل: كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزئين) يعنى قوماً من أهل مكة أهلكهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبى صلى الله عليه وسلم، وكانوا خمسة: الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل، والأسود بن عبد المطلب، والأسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير، وقيل الذين قتلوا ببدر كأبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعه وأمية بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم، والأول أرجح، لأن الله كفاه إياهم بمكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبى صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت.

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة، وقيل النصر على الكفار، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقق وقوع الأمر ولقربه، وروى أنها لما نزلت وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ أَنْ أَنذِرُوٓاْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱتَّقُونِ * خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ تَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ * خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ * وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ * وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ * وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ * وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ * وَعَلَى ٱللَّهِ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ وَمِنْهَا جَآئِرٌ وَلَوْ شَآءَ لَهَدَىٰكُمْ أَجْمَعِينَ * هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ * يُنۢبِتُ لَكُم بِهِ ٱلزَّرْعَ وَٱلزَّيْتُونَ وَٱلنَّخِيلَ وَٱلْأَعْنَٰبَ وَمِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ * وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ * وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالوحى (خلق الإنسان من نطفة) أى من نطفة المنى ، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه والثانى يخاصم فى ربه ودينه ، وهذا فى الكفار والأول أعم (لكم فيها دفء) أى ما يتدفأ به ، يعنى ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الثياب ، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعنى حين تردونها بالعشى إلى المنازل ، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعى ، وإنما قدم تريحون على تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروعها حافلة (وتحمل أثقالكم) يعنى الأمتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم ، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس) أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استدل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ، لكونه علل خلقتها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع لتركبوها (ويخلق ما لا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلمها ، وكل ما ذكر فى هذه الآية شيئاً مخصوصا فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس ، ومعنى القصد القاصد الموصل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير فى منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر : الخارج عن الصواب : أى ومن الطريق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل أو يكون فى موضع خبر لشراب ، أو صفة لماء (ومنه شجر) يعنى ما ينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون) أى ترعون أنعامكم (وما ذرأ لكم فى الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفاً ألوانه) أى

يَذَّكَّرُونَ * وَهُوَ الَّذِى سَخَّرَ الْبَحْرَ لِتَأْكُلُوا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَاخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * وَأَلْقَىٰ فِى الْأَرْضِ رَوَاسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ * وَعَلَامَاتٍ وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ * أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ * وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ * إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُم مُّنكِرَةٌ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ماخرة يقال مخرت السفينة ، والمخر شق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو معطوف على لتأكلوا (وألقى فى الأرض رواسى أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذا ثبت ، وأن تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحد فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق (وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب على المصدر أى لعلكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل: قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصا هؤلاء خصوصا يهتدون ؛ فمن المراد بهم؟ فالجواب أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لم يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصصوا ، قال ذلك الزمخشرى (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق ، وفيها أيضا تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك بقوله إن الله لغفور رحيم: أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دون الله لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث ، فلما أقام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال: إلهكم إله واحد (أموات غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها ممن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون للأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ، وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكرة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لابد ولا شك ،

ٱلْمُسْتَكْبِرِينَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُم مَّاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوٓا۟ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ۝ لِيَحْمِلُوٓا۟ أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ ٱلَّذِينَ يُضِلُّونَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَآءَ مَا يَزِرُونَ ۝ قَدْ مَكَرَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ ٱلسَّقْفُ مِن فَوْقِهِمْ وَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۝ ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تُشَٰٓقُّونَ فِيهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ إِنَّ ٱلْخِزْىَ ٱلْيَوْمَ وَٱلسُّوٓءَ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ۝ ٱلَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ فَأَلْقَوُا۟ ٱلسَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِن سُوٓءٍۭ بَلَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝ فَٱدْخُلُوٓا۟ أَبْوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا فَلَبِئْسَ مَثْوَى ٱلْمُتَكَبِّرِينَ ۝ وَقِيلَ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ مَاذَآ أَنزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا۟ خَيْرًا

وقيل إن لا نفى لما تقدم ، وجرم معناه وجب ،أو حق، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى ماسطره الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ، وحديثى أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو أن تكون ما استفهامية فى موضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذى ، وفى أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم) اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ، ويحتمل أن تكون لام الأمر (بغير علم) حال من المفعول فى يضلونهم ، أو من الفاعل (فأتى الله بنيانهم من القواعد) الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمروذ ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه ، وقيل المراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائى) توبيخ للمشركين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال من الضمير المفعول فى تتوفاهم (فألقوا السلم) أى استسلموا للموت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصاما به كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم فى أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب فى نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى قد كنتم تعلمون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين ؟ فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففى ذلك اعتراف بأن الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله . لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا فى الرفع ، لأن تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِى هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ ۞ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَٰرُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَآءُونَ كَذَٰلِكَ يَجْزِى اللَّهُ الْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ تَتَوَفَّىٰهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَٰمٌ عَلَيْكُمُ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۞ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمُ الْمَلَٰٓئِكَةُ أَوْ يَأْتِىَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ۞ وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَآءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِن دُونِهِ مِن شَىْءٍ نَّحْنُ وَلَآ ءَابَآؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن دُونِهِ مِن شَىْءٍ كَذَٰلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَٰغُ الْمُبِينُ ۞ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّٰغُوتَ فَمِنْهُم مَّنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُم مَّنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَٰلَةُ فَسِيرُوا فِى الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ الْمُكَذِّبِينَ ۞ إِن تَحْرِصْ عَلَىٰ هُدَىٰهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِى مَن يُضِلُّ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ ۞ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مَن يَمُوتُ بَلَىٰ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۞ لِيُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِى يَخْتَلِفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوٓا أَنَّهُمْ كَانُوا كَٰذِبِينَ ۞ إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا فى هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذى قالوا ، وقيل هى استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيراً (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمر ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو مضمر تقديره لهم جنات عدن (هل ينظرون) أى ينتظرون ، والضمير للكفار وإلا أن تأتيهم الملائكة يعنى لقبض أرواحهم (أو يأتى أمر ربك) يعنى قيام الساعة أو العذاب فى الدنيا (فأصابهم سيئات ما عملوا) أى أصابهم جزاء سيئات ما عملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزؤن) أى أحاط بهم العذاب الذى كانوا به يستهزؤن ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شىء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أى أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده ، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك فى الآخرة على وجه التمنى فإن لو تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدى من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أى لا يهدى غير الله من يضله الله وقرئ يهدى بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدى الله من قضى بإضلاله (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه فى معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أى أنه يبعثه (ليبين لهم الذى يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أى يبعثهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضا على

أَرَدْنَاهُ أَن نَّقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ ۞ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۞ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۞ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۞ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۞ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَن يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقَلُّبِهِمْ فَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ۞ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۞ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ يَتَفَيَّأُ ظِلَالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِّلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۞

البعث ، فان الناس مختلفون فى أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا لشيء الآية : برهان أيضاً على البعث لانه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا فى الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت فى أبى جندل بن سهيل وخبره مذكور فى السير فى قصة الحديبية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوئنهم فى الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أى تبوئنهم تبوئة حسنة وقوى لتثويبهم بالثناء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجالا) رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحبار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً ويوحى أو بتعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعنى القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسردك نصه وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من الشريعة (أفأمن الذين مكروا السيئات) يعنى كفار قريش عند جمهور المفسرين . والسيئات تحتمل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكروا بتضمين معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى تقلبهم) يعنى فى أسفارهم (فما هم بمعجزين) أى بمفلتين حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان أحدها أن معناه على تنقص أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره . وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الخوف أى يهلك قوما قبلهم فيتخوفوا هم ذلك ، فيأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله ، وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفيأ ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل [illegible] الأجرام التى لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلَٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ۝ يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ۝ وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓا إِلَٰهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّٰىَ فَارْهَبُونِ ۝ وَلَهُ مَا فِى السَّمَٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْـَٔرُونَ ۝ ثُمَّ إِذَا كَشَفَ الضُّرَّ عَنكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنكُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ۝ لِيَكْفُرُوا بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَتَمَتَّعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظلها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفيؤ من الفيء وهو الظل الذى يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال رؤبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفء ، ولا يقال قبله إلا ظل ، فى لفظة يتفيؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص فى موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفيؤ موضع ينتقل أو يميل والضمير فى ظلاله يعود على ما أو على شىء (عن اليمين والشمائل) يعنى عن الجانبين أى يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الأيمان ، واستعار هنا الأيمان والشمائل للأجرام ، فان اليمين والشمائل إنما هما فى الحقيقة للإنسان (سجداً لله) حال من الظلال ، وقال الزمخشرى حال من الضمير فى ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شىء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثانى يكون من صفة الأجرام واختلف فى معنى هذا السجود ، فقيل عبر به عن الخضوع والانقياد ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أى صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما فى السموات وما فى الأرض من دابة) يحتمل أن يكون من دابة بيان لما فى السموات وما فى الأرض معا لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بيانا لما فى الأرض خاصة وإنما قال ما فى السموات وما فى الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من فى السموات لم يدخل فى ذلك غير العقلاء قاله الزمخشرى (والملائكة) إن كان قوله من دابة بيانا لما فى السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة فى ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصا لهم بالذكر وتشريفا وإن كان من دابة لما فى الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة فى ذلك فعطفهم على ما قبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة) وهو بيان نفى الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فوقية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التى يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذابا من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) وصف الإلهين باثنين تأكيدا وبيانا للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون فى الكلام تأكيد (فإياى فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياى مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واصبا) أى واجبا وثابتا ، وقيل دائما ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلا بما قبله : أى كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجأرون) أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعلمون ، فعلى هذا يبتدئ بها ، وقيل هى لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها فى الأصل لام كى ، وذلك بعيد فى المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيبًا مِّمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَاللَّهِ لَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَفْتَرُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ الْبَنَاتِ سُبْحَانَهُ وَلَهُم مَّا يَشْتَهُونَ ۝ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُم بِالْأُنثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ۝ يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِن سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ۝ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ۝ وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَابَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجَلُهُمْ لَا يَسْتَأْخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ ۝ وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكَذِبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُم مُّفْرَطُونَ ۝ تَاللَّهِ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ

آتيناهم ، أو كفرا الجحود والشرك لقوله بربهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع فى الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد (ويجعلون لما لايعلمون نصيبا مما رزقناهم) الضمير فى يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيبا من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لايعلمون الأصنام ، والضمير فى لايعلمون للكفار أى لايعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير فى لايعلمون الأصنام أى الأشياء غير عالمة وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه ولهم مايشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم مايشتهون يعنى بذلك الذكور من الأولاد ، وأما الإعراب فيجوز أن يكون مايشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولا بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم مايشتهون ، وأن يكون معطوفا على البنات على أن هذا يمنعه البصريون ، لأنه من باب ضربتنى وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسودا وهو كظيم) إخبار عن حال العرب فى كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد عبارة عن العبوس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر فى يوسف (يتوارى من القوم) أى يستخفى من أجل سوء مابشر به (أيمسكه على هون أم يدسه فى التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التى بشر بها على هوان وذل لها ، أو يدفنها فى التراب حية ، وهى الموءودة ، وهذا معنى يدسه فى التراب (مثل السوء) أى صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (ولله المثل الأعلى) أى الوصف الأعلى من الغنى عن كل شىء والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يؤاخذ) يعنى لو يعاقبهم فى الدنيا (بظلمهم) أى بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) الضمير الأرض (من دابة) يعم بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ، وقد ورد ذلك فى الأثر ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله مايكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من الكذب ، والحسنى هنا قيل هى الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط : أى متجاوزون الحد فى المعاصى ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أى معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

الْكِتَٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَٱللَّهُ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ۝ وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمها لغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير للأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنث فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى ما فى الكرش من الغدد ، والمعنى أن الله يخلق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتنفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبعيض قوله من بين فرث لابتداء الغاية (سائغا للشاربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكرا) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والتمر والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام ، ووحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذى من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فيما يعرش بنى آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبعيض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيأ أو بنى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب (ثم كلى من كل الثمرات) عطف كلى على اتخذى ، ومن للتبعيض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشتهيها (فاسلكى سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنه مالكه وخلقه (ذللا) أى مطيعة منقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى منقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شىء ، فكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبى صلى الله عليه

الْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضَّلَ بَعْضَكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ فِى الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا بِرَآدِّى رِزْقِهِمْ عَلَىٰ مَا مَلَكَتْ أَيْمَـٰنُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَآءٌ أَفَبِنِعْمَةِ اللَّهِ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ أَزْوَٰجِكُم بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرَزَقَكُم مِّنَ الطَّيِّبَـٰتِ أَفَبِالْبَـٰطِلِ يُؤْمِنُونَ وَبِنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِّنَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ * فَلَا تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَّمْلُوكًا لَّا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَمَن رَّزَقْنَـٰهُ مِنَّا رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل (إلى أرذل العمر) أى إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حده خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ، والصحيح أنه لا ينحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام الصيرورة أى يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن قلة العلم لغلبة النسيان ، وقيل المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا (والله فضل بعضكم على بعض فى الرزق) الآية فى معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوحدانية كأنه يقول أنتم لا تسوون بين أنفسكم وبين مماليككم فى الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدى شركاء لى ، والآخر أنها عتاب وذم لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء فى الحديث : أطعموهم مما تأكلون واكسوهم مما تلبسون ، والأول أرجح (أبنعمت الله يجحدون) الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله ، وعبادة غيره ، وعلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس المماليك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم أزواجا) يعنى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقتكم ، أو يريد أن حواء خلقت من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بنى آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة فى اللغة الخدمة (ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، ورد عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لا تملك لهم رزقا ، وانتصب رزقا لأنه مفعول بيملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فإعراب شيئاً مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه (ولا يستطيعون) الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية ، ونفى الاستطاعة بعد نفى الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله مثلا عبدا مملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعبد المملوك الذى لا يقدر على شىء ، والله تعالى له الملك ، وبيده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر على شىء لأن بعض العبيد يقدرون على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة موصوفة ، والمراد بها من هو حر قادر كأنه قال وحراً رزقناه ليطابق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَايَقْدِرُ عَلَىٰ شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَـٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَايَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۞ وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَـٰوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَآ أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۞ وَاللَّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَاتَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَـٰرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ۞ أَلَمْ يَرَوْا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَآءِ مَايُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّن بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ الْأَنْعَـٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَـٰثًا وَمَتَـٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ۞ وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّمَّا خَلَقَ ظِلَـٰلًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَـٰنًا وَجَعَلَ لَكُمْ سَرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسَرَابِيلَ تَقِيكُم

يستوون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكرا لله على بيان هذا المثال ووضوح الحق (بل أكثرهم لايعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل لله تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كلّ على مولاه) الكلّ الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل للأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وماأمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زيدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرها إتباعا للكسرة قبلها (فى جو السماء) أى فى الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه مايسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز والبقر (أثاثا) الأثاث متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتفنى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب لشدة حرها ، ويعنى بما خلق من الشجر وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما بقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سرابيل تقيكم الحر) السرابيل هى الثياب من القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل لأن ذكر أحدهما يغنى عن ذكر الآخر (وسرابيل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بأسكم كذلك يتم نعمته عليكم لعلكم تسلمون * فإن تولوا فإنما عليك البلاغ المبين * يعرفون نعمت الله ثم ينكرونها وأكثرهم الكافرون * ويوم نبعث من كل أمة شهيدا ثم لا يؤذن للذين كفروا ولا هم يستعتبون * وإذا رءا الذين ظلموا العذاب فلا يخفف عنهم ولا هم ينظرون * وإذا رءا الذين أشركوا شركاءهم قالوا ربنا هؤلاء شركاؤنا الذين كنا ندعوا من دونك فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون * وألقوا إلى الله يومئذ السلم وضل عنهم ما كانوا يفترون * الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله زدناهم عذابا فوق العذاب بما كانوا يفسدون * ويوم نبعث فى كل أمة شهيدا عليهم من أنفسهم وجئنا بك شهيدا على هؤلاء ونزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شىء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين * إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون * وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها وقد جعلتم الله عليكم كفيلا إن الله يعلم ما تفعلون * ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا تتخذون أيمانكم دخلا بينكم أن تكون أمة هى أربى

إشارة إلى ماذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير فى يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشراكهم به وعبادة غيره ، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم فى الاعتذار (ولاهم يستعتبون) أى لا يسترضون ، وهو من العتبى بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر : أى لا ينظر الله إليهم (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير فى القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم فى قولهم أنهم كانوا يعبدونهم ، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون ، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم ؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم ، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة ، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم فى تسميتهم شركاء لله ، لا فى العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا (زدناهم عذابا فوق العذاب) روى أن الزيادة فى العذاب هى حيات وعقارب كالبغال تلسعهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل : فعل الواجبات ، وبالإحسان : المندوبات ، وذلك فى حقوق الله تعالى وفى حقوق المخلوقين ، قال ابن مسعود : هذه أجمع آية فى كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى ، وقد دخل ذلك فى العدل والإحسان ، ولكنه جرده بالذكر اهتماما به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا ، واللفظ أعم من ذلك (والمنكر) هو أعم من الفحشاء ، لأنه يعم جميع المعاصى (والبغى) يعنى الظلم (ولا تنقضوا الأيمان) هذا فى الأيمان التى فى الوفاء بها خير ، وأما ما كان تركه أولى ، فليكفر عن يمينه وليفعل الذى هو خير منه ، كما جاء فى الحديث ، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان فى حق غيره ، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلا) أى رقيباً ومتكفلا بوفائكم بالعهد ، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِنَّمَا يَبْلُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلَيُبَيِّنَنَّ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَٰكِن يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ وَلَتُسْأَلُنَّ عَمَّا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمٌ بَعْدَ ثُبُوتِهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدتُّمْ عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِنَّمَا عِندَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِندَكُمْ يَنفَدُ وَمَا عِندَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَّ الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ * إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ

فى بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف فى الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت غزلها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قوياً ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة حمقاء تسمى ريطة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بامرأة غير معينة (أنكاثاً) جمع نكث وهو ما ينكث أى ينقض ، وانتصابه على الحال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخل الدغل ، وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هى أربى من أمة) أن فى موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون أمة ، ومعنى أربى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية فى العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى، فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأربى هنا الى كفار قريش إذ كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يبلوكم الله به) الضمير للأمر بالوفاء ، أو لكون أمة هى أربى من أمة ، فإن بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة فى الرجوع عن الخير إلى الشر ، وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء) يعنى فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فيمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمناً قليلا) الثمن القليل عرض الدنيا، وهذا نهى لمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ وقوة الكفار ورجاء الانتفاع فى الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى يفنى (فلنحيينه حياة طيبة) يعنى فى الدنيا ، قال ابن عباس هى الرزق الحلال ، وقيل هى القناعة ، وقيل هى حياة الآخرة (فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة ، لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شذ قوم فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعاذة قبل القراءة ، وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والباء سببية (وإذا

نزله روح القدس من ربك بالحق ليثبت الذين آمنوا وهدى وبشرى للمسلمين . ولقد نعلم أنهم يقولون إنما يعلمه بشر لسان الذى يلحدون إليه أعجمى وهذا لسان عربى مبين . إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله ولهم عذاب أليم . إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله وأولئك هم الكاذبون . من كفر بالله من بعد إيمانه إلا من أكره وقلبه مطمئن بالإيمان ولكن من شرح بالكفر صدرا فعليهم

بدلنا آية مكان آية) التبديل هنا النسخ ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراه ولوكان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح للعباد فى وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق فى أوامره ونواهيه وأخباره ، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حقاً ، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان بمكة غلام أعجمى اسمه يعيش ، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار ، فكان النبى صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام ، فقالت قريش هذان يعلمان محمداً (لسان الذى يلحدون إليه أعجمى) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام ، ويلحدون من ألحد إذا مال ، وقرئ بفتح الياء من لحد ، وهما بمعنى واحد ، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذى أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمى اللسان ؛ وهذا القرآن عربى فى غاية الفصاحة ، فلا يمكن أن يأتى به أعجمى (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا فى حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله : إن الذين حقت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، فاللفظ عام يراد به الخصوص ، كقوله : إن الذين كفروا سواء عليهم أأنذرتهم الآية ، وقال ابن عطية : المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولكنه قدم فى هذا الترتيب وأخرتهكماً بتقبيح أفعالهم (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر :يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (فأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله : أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع فى المعاصى ، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية : من شرطية فى موضع رفع بالابتداء ، وكذلك من فى قوله من شرح ، لأنه تخصيص من الأول ، وقوله فعليهم غضب : جواب عن الأولى والثانية ، لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية ، وقيل من كفر بدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ فى قوله أولئك هم الكاذبون ، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر ، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال فعذرهم الله ، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ماصنع به من العذاب وماتسامح به من القول ، فقال له رسول الله صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم : كيف تجد قلبك ، قال أجده مطمئنا بالإيمان ، قال فأجبهم بلسانك ، فإنه لا يضرك ، وهذا الحكم فى من أكره بالنطق على الكفر ، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلف هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازه الجمهور ، ومنعه قوم وكذلك قال مالك : لا يلزم المكره يمين ولا طلاق ولا عتق ولا شىء فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من

غَضَبٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱسْتَحَبُّوا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا عَلَى ٱلْآخِرَةِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْكَٰفِرِينَ ۞ أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَسَمْعِهِمْ وَأَبْصَٰرِهِمْ وَأُولَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ۞ لَا جَرَمَ أَنَّهُمْ فِى ٱلْآخِرَةِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۞ ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنۢ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَٰهَدُوا وَصَبَرُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِنۢ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ۞ يَوْمَ تَأْتِى كُلُّ نَفْسٍ تُجَٰدِلُ عَن نَّفْسِهَا وَتُوَفَّىٰ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ۞ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ ءَامِنَةً مُّطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِّن كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ ٱللَّهِ فَأَذَٰقَهَا ٱللَّهُ لِبَاسَ ٱلْجُوعِ وَٱلْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ ۞ وَلَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مِّنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ۞ فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَٰلًا طَيِّبًا وَٱشْكُرُوا نِعْمَتَ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ۞ إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولاتجوز الإجابة إليه كالإكراه على قتل أحد أوأخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحيوة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعلل عذابهم بعلتين : أحدهما إيثارهم الحياة الدنيا ، والأخرى أن الله لايهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعدمافتنوا) قرأه الجمهور فتنوابضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا فى عمار وشبهه من المعذبين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالحضرمى وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك توكيداً ، والضمير فى بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعلق بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لاعن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لاينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلا قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية ، قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى بنبوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجدب والخوف من غزو النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلا لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتمالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ، وَلَا تَقُولُوا لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَٰذَا حَلَٰلٌ وَهَٰذَا حَرَامٌ لِّتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ لَا يُفْلِحُونَ ، مَتَٰعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَّمْنَا مَا قَصَصْنَا عَلَيْكَ مِن قَبْلُ وَمَا ظَلَمْنَٰهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ، ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ وَأَصْلَحُوٓا إِنَّ رَبَّكَ مِن بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ، إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِّلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، شَاكِرًا لِّأَنْعُمِهِ اجْتَبَٰهُ وَهَدَٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ . وَءَاتَيْنَٰهُ فِى الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِى الْءَاخِرَةِ لَمِنَ الصَّٰلِحِينَ ، ثُمَّ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ أَنِ اتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ، إِنَّمَا جُعِلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ، ادْعُ إِلَىٰ سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحيرة وغيرها مما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم ، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا حرام بدل من الكذب وما في قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) يعني عيشهم في الدنيا أو انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني قوله في الأنعام حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية ، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود ، ليعلم أن تحريم ما عدا ذلك افتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إن ربك للذين عملوا السوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان : أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكماله وجمعه لصفات الخير كقول الشاعر «فليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم في واحد » والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله إني جاعلك للناس إماما ، قال ابن مسعود والأمة معلم الناس الخير ، وقد ذكر معنى القانت والحنيف (وآتيناه في الدنيا حسنة) يعني لسان الصدق ، وأن جميع الأمم متفقون عليه ، وقيل يعني المال والأولاد (لمن الصالحين) أي من أهل الجنة (ولم يك من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون اليه (إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بني إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضي بعضهم بذلك ، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت ، فألزمهم الله يوم السبت . فاختلافهم فيه هو ما ذكر والسبت على هذا هو اليوم ، وقيل اختلافهم فيه : هو أن منهم من حرم الصيد فيه ، ومنهم من أحله ، فعاقبهم الله بالمسخ قردة ، فالمعنى : إنما جعل وبال السبت على الذين اختلفوا فيه ، والسبت على هذا مصدر من سبت إذا عظم يوم السبت ، قاله الزمخشري ، وتقتضي الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام ، والحكمة هي الكلام الذي يظهر صوابه ، والموعظة هي الترغيب والترهيب ، والجدال هو الرد على المخالف ، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

الْحَسَنَةِ وَجَٰدِلْهُم بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿ وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُم بِهِ وَلَئِن صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِّلصَّٰبِرِينَ ﴿ وَاصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ ﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ ﴿

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملاطفة من الكفار وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتم بمعنى أصبتم عقبى : كقوله في الممتحنة فعاقبتم بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانته في القدر الذي ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أد الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تخن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا ندب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والضمير راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبي صلى الله عليه وسلم في خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فماذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبتنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المثلة التي فعل مثلها بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أي لا تتأسف لكفرهم (ولا تك في ضيق مما يمكرون) أي لا يضق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كميت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعونته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذي أشار له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .

ســـورة الإسراء

مكية إلا الآيات ٢٦ و ٣٢ و ٣٣ و ٥٧ ومن آية ٧٣ إلى غاية آية ٨٠
فدنية وآياتها ١١١ نزلت بعد القصص

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۞ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ۞ وَءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ

ســـورة الإسراء

(سبحان الذى أسرى بعبده) معنى سبحان تنزه، وهو مصدر غير منصرف، وأسرى وسرى لغتان، وهو فعل غير متعد، واختار ابن عطية أن يكون أسرى هنا متعديا أى أسرى الملائكة بعبده وهو بعيد، والعبد هنا هو نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، وإنما وصفه بالعبودية تشريفا له وتقريبا (ليلا) إن قيل: مافائدة قوله ليلا مع أن السرى هو السير بالليل؟ فالجواب: أنه أراد بقوله ليلا بلفظ التنكير تقليل مدة الإسراء، وأنه أسرى به فى بعض الليل مسيرة أربعين ليلة، وذلك أبلغ فى الأعجوبة (من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصا) يعنى بالمسجد الحرام مسجد مكة المحيط بالكعبة، وقد روى فى الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: بينما أنا نائم فى الحجر إذ جاءنى جبريل، وقيل كان النبى صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء فى بيته، فالمسجد الحرام على هذا مكة أى بلد المسجد الحرام؛ وأما المسجد الأقصى فهو بيت المقدس الذى بإيلياء، وسمى الأقصى لأنه لم يكن وراءه حينئذ مسجد، ويحتمل أن يريد بالأقصى الأبعد؛ فيكون المقصد إظهار العجب فى الإسراء إلى هذا الموضع البعيد فى ليلة، واختلف العلماء فى كيفية الإسراء، فقال الجمهور: كان بجسد النبى صلى الله عليه وسلم وروحه، وقال قوم كان بروحه خاصة وكانت رؤيا نوم حق، فحجة الجمهور أنه لو كان مناماً لم تنكره قريش ولم يكن فى ذلك ما يكذب به الكفار، ألا ترى قول أم هانىء له لاتخبر بذلك فيكذبك قومك، وحجة من قال إن الإسراء كان مناما قوله تعالى: وما جعلنا الرؤيا التى أريناك، وإنما يقال الرؤيا فى المنام، ويقال فيما يرى بالعين رؤية، وفى الحديث أنه صلى الله عليه وآله وسلم قال: بينما أنا بين النائم واليقظان وذكر الإسراء، وقال فى آخر الحديث فاستيقظت وأنا فى المسجد الحرام وجمع بعض الناس بين الأدلة فقال الإسراء كان مرتين: أحدهما بالجسد والآخر بالروح، وأن الإسراء بالجسد كان من مكة إلى بيت المقدس، وهو الذى أنكرته قريش، وأن الإسراء بالروح كان إلى السموات السبع ليلة فرضت الصلوات الخمس ولقى الأنبياء فى السموات (الذى باركنا حوله) صفة للمسجد الأقصى، والبركة حوله بوجهين: أحدهما ما كان فيه وفى نواحيه من الأنبياء، والآخر: كثرة مافيه من الزروع والأشجار التى خص الله بها الشام (لنريه من آياتنا) أى لنرى محمدا صلى الله عليه وسلم تلك الليلة من العجائب، فإنه رأى السموات والجنة والنار وسدرة المنتهى والملائكة والأنبياء وكلمه الله تعالى حسبما ورد فى أحاديث الإسراء، وهى فى مصنفات الحديث فأغنى ذلك عن ذكرها هنا (وجعلناه هدى) يحتمل أن يعود الضمير على الكتاب أو على موسى (ألا تتخذوا من دونى وكيلا) أى

أَلَّا تَتَّخِذُوا مِن دُونِي وَكِيلًا * ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا * وَقَضَيْنَا إِلَىٰ بَنِي إِسْرَائِيلَ فِي الْكِتَابِ لَتُفْسِدُنَّ فِي الْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا * فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ أُولَاهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَا أُولِي بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا خِلَالَ الدِّيَارِ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا * ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ الْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَاكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَاكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا * إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا * عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ وَإِنْ عُدتُّمْ

ربا تكلون إليه أمركم ، وأن يحتمل أن تكون مصدرية أو مفسرة (ذرية من حملنا مع نوح) نداء ، وفى ندائهم بذلك تلطف وتذكير بنعمة الله ، وقيل هى مفعول تتخذوا ، ويتعين معنى ذلك على قراءة من قرأ يتخذ بالياء ويعنى بمن حملنا مع نوح أولاده الثلاثة وهم سام وحام ويافث ، ونساؤهم ومنهم تناسل الناس بعد الطوفان (إنه كا عبداشكورا) أى كثير الشكر كان يحمد الله على كل حال ، وهذا تعليل لما تقدم أى كونوا شاكرين كما كان أبوكم نوح (وقضينا إلى بنى إسرائيل فى الكتاب) قيل إن قضينا هنا بمعنى علمنا وأخبرنا ، كما قيل فى وقضينا إليه ذلك الأمر ، والكتاب على هذا التوراة ، وقيل قضينا إليه من القضاء والقدر ، والكتاب على هذا اللوح المحفوظ الذى كتبت فيه مقادير الأشياء وإلى بمعنى على (لتفسدن فى الأرض مرتين) هذه الجملة بيان للمقضى ، وهى فى موضع جواب قضينا إذا كان من القضاء والقدر لأنه جرى مجرى القسم ، وإن كان بمعنى أعلمنا فهو جواب قسم محذوف تقديره والله لتفسدن ، والجملة فى موضع معمول قضينا ، والمرتان المشار إليهما إحداهما قتل زكريا والأخرى قتل يحيى عليهما السلام (ولتعلن علوا كبيرا) من العلو وهو الكبر والتخيل (فإذا جاء وعد أولاهما بعثنا عليكم عبادا لنا) معناه أنهم إذا أفسدوا فى المرة الأولى بعث الله عليهم عبادا له لينتقم منهم على أيديهم ، واختلف فى هؤلاء العبيد فقيل جالوت وجنوده وقيل بختنصر ملك بابل (فجاسوا خلال الديار) أى ترددوا بينهما بالفساد ، وروى أنهم قتلوا علماءهم وأحرقوا التوراة. وخربوا المساجد وسبوا منهم سبعين ألفا (ثم رددنا لكم الكرة عليهم) أى الدولة والغلبة على الذين بعثوا عليكم ، ويعنى رجوع الملك إلى بنى إسرائيل واستنقاذ أسراهم ، وقتل بختنصر ، وقيل قتل داود لجالوت (أكثر نفيرا) أى أكثر عددا ، وهو مصدر من قولك نفر الرجل إذا خرج مسرعا ، أو جمع نفر (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم) أحسنتم الأول بمعنى الحسنات ، والثانى بمعنى الإحسان كقولك أحسنت إلى فلان ، ففيه تجنيس ، واللام فيه بمعنى إلى ، وكذلك اللام فى قوله : وإن أسأتم فلها (فإذا جاء وعد الآخرة ليسوؤا وجوهكم) يعنى إذا أفسدوا فى المرة الأخيرة بعث الله عليهم أولئك العباد للانتقام منهم فالآخرة صفة للمرة، ومعنى يسوؤا يجعلونها تظهر فيها آثار الشر والسوء كقوله : سيئت وجوه الذين كفروا ، واللام لام كى وهى تتعلق ببعثنا المحذوف لدلالة الأول عليه ، وقيل هى لام الأمر (وليدخلوا المسجد) يعنى بيت المقدس (وليتبروا) من التبار ، وهو الإهلاك وشدة الفساد (ماعلوا) مامفعول ليتبروا : أى يهلكوا ماغلبوا عليه من البلاد ، وقيل إن ما ظرفية أى يفسدوا مدة علوهم (عسى ربكم أن يرحمكم) خطاب لبنى إسرائيل ومعناه ترجية لهم بالرحمة إن تابوا بعد الرحمة الثانية (وإن عدتم عدنا) خطاب لبنى إسرائيل : أى إن عدتم إلى الفساد عدنا إلى

عُدنا وجعلنا جهنم للكافرين حصيرا * إن هذا القرآن يهدى للتى هى أقوم ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجرا كبيرا ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة أعتدنا لهم عذابا أليما * ويدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير وكان الإنسان عجولا * وجعلنا الليل والنهار آيتين فمحونا آية الليل وجعلنا آية النهار مبصرة لتبتغوا فضلا من ربكم ولتعلموا عدد السنين والحساب وكل شيء فصلناه تفصيلا * وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه ونخرج له يوم القيامة كتابا يلقاه منشورا * اقرأ كتابك كفى بنفسك اليوم عليك حسيبا ، من اهتدى فإنما يهتدى لنفسه ومن ضل فإنما يضل عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى وما كنا معذبين حتى نبعث رسولا ، وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها فحق عليها القول فدمرناها

عقابكم ، وقد عادوا فبعث الله عليهم محمداً صلى الله تعالى عليه وسلم وأمته يقتلونهم ويذلونهم إلى يوم القيامة (حصيرا) أى سجنا وهو من الحصر ، وقيل أراد به مايفرش ويبسط كالحصير المعروف (يهدى للتى هى أقوم) أى الطريقة والحالة التى هى أقوم ، وقيل يعنى لا إله إلا الله ، واللفظ أعم من ذلك (. يدع الإنسان بالشر دعاءه بالخير) المعنى ذم ، وعتاب لما يفعله الناس عند الغضب من الدعاء على أنفسهم وأموالهم وأولادهم (وأنهم يدعون بالشر فى ذلك الوقت كما يدعون بالخير فى وقت التثبت ، وقيل إن الآية نزلت فى النضر بن الحارث حين قال اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية ، وقد تقدم أن الصحيح فى قائلها إنه أبو جهل (وكان الإنسان عجولا) الإنسان هنا وفى الذى قبله اسم جنس ، وقيل يعنى هنا آدم وهو بعيد (فمحونا آية الليل) فيه وجهان : أحدهما أن يراد أن الليل والنهار آيتان فى أنفسهما ، فتكون الإضافة فى آية الليل وآية النهار كقولك مسجد الجامع أى الآية التى هى الليل ، والآية التى هى النهار ومحو آية الليل على هذا كونه مظلما . والوجه الثانى أن يراد بآية الليل القمر وآية النهار الشمس ، ومحو آية الليل على هذا كون القمر لم يجعل له ضوء كضوء الشمس (وجعلنا آية النهار مبصرة) يحتمل أن يريد النهار بنفسه أو الشمس ومعنى مبصرة تبصر فيها الأشياء (لتبتغوا فضلا من ربكم) أى لتتوصلوا بضوء النهار إلى التصرف فى معايشكم (ولتعلموا) باختلاف الليل والنهار أو بمسير الشمس (والقمر عدد السنين والحساب) الأشهر والأيام (وكل شيء فصلناه تفصيلا) انتصب كل بفعل مضمر ، والتفصيل البيان (وكل إنسان ألزمناه طائره فى عنقه) انتصب كل بفعل مضمر ، والطائر هنا العمل ، والمعنى أن عمله لازم له ، وقيل إن طائره ما قدر عليه ، وله من خير وشر ، والمعنى على هذا أن كل ما يلقى الإنسان قد سبق به القضاء ، وإنما عبر عن ذلك بالطائر ، لأن العرب كانت عادتها التيمن والتشاؤم بالطير ، وقوله فى عنقه أى هو كالقلادة أو الغل لا ينفك عنه (كتاباً يلقاه منشوراً) يعنى صحيفة أعماله بالحسنات والسيئات (اقرأ كتابك) تقديره يقال له اقرأ (حسيباً) أى محاسباً أو من الحساب بمعنى العدد (ولا تزر وازرة وزر أخرى) معناه حيث وقع لا يؤاخذ أحد بذنب أحد . والوزر فى اللغة الثقل والحمل ، ويراد به هنا الذنوب ، ومعنى تزر تحمل وزر أخرى : أى وزر نفس أخرى (وما كنا معذبين حتى

تَدْمِيرًا ۝ وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنَ الْقُرُونِ مِن بَعْدِ نُوحٍ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ بِذُنُوبِ عِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝ مَن كَانَ يُرِيدُ الْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُ فِيهَا مَا نَشَاءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُ جَهَنَّمَ يَصْلَاهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَٰؤُلَاءِ وَهَٰؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَلَلْآخِرَةُ أَكْبَرُ دَرَجَاتٍ وَأَكْبَرُ تَفْضِيلًا ۝ لَّا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتَقْعُدَ مَذْمُومًا مَّخْذُولًا ۝ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۝ وَاخْفِضْ

نبعث رسولا) قيل إن هذا فى حكم الدنيا أى أن الله لا يهلك أمة إلا بعد الإعذار إليهم بإرسال رسول إليهم ، وقيل هو عام فى الدنيا والآخرة وأن الله لا يعذب قوماً فى الآخرة إلا وقد أرسل إليهم رسولا فكفروا به وعصوه ، ويدل على هذا قوله « كلما ألقى فيها فوج سألهم خزنتها ألم يأتكم نذير ، قالوا بلى » ومن هذا يؤخذ حكم أهل الفترات ، واستدل أهل السنة بهذه الآية على أن التكليف لا يلزم العباد إلا من الشرع لا من مجرد العقل (وإذا أردنا أن نهلك قرية أمرنا مترفيها ففسقوا فيها) فى تأويل أمرنا هنا ثلاثة أوجه : أحدها أن يكون فى الكلام حذف تقديره أمرنا مترفيها بالخير والطاعة فعصوا وفسقوا ، والثانى أن يكون أمرنا عبارة عن القضاء عليهم بالفسق أى قضينا عليهم بالفسق ففسقوا ، والثالث أن يكون أمرنا بمعنى كثرنا واختاره أبو على الفارسى ، وأما على قراءة آمرنا بمد الهمزة فهو بمعنى كثرنا ، وأما على قراءة أمّرنا بتشديد الميم ، فهو من الإمارة أى جعلناهم أمراء ففسقوا ، والمترف الغنى المنعم فى الدنيا (فحق عليها القول) أى القضاء الذى قضاه الله (وكم أهلكنا من القرون) القرن مائة سنة ، وقيل أربعون (من كان يريد العاجلة) الآية : فى الكفار الذين يريدون الدنيا ولا يؤمنون بالآخرة على أن لفظها أعم من ذلك ، والمعنى أنهم يعجل الله لهم حظا من الدنيا بقيدين أحدهما تقييد المقدار المعجل بمشيئة الله ، والآخر تقييد الشخص المعجل له بإرادة الله ، ولمن نريد بدل من له وهو بدل بعض من كل (مدحورا) أى مبعدا أو مهانا (وسعى لها سعيها) أى عمل لها عملها (كلا نمد) انتصب كلا بنمد وهو من المدد ومعناه نزيدهم من عطائنا (هؤلاء وهؤلاء) بدل من كلا ، والإشارة إلى الفريقين المتقدمين (من عطاء ربك) يعنى رزق الدنيا ، وقيل من الطاعات لمن أراد الآخرة ومن المعاصى لمن أراد الدنيا ، والأول أظهر (محظورا) أى ممنوعا (فضلنا بعضهم على بعض) يعنى فى رزق الدنيا (لا تجعل) خطاب لواحد ، والمراد به جميع الخلق ، لأن المخاطب غير معين (مذموما) أى يذمه الله وخيار عباده (مخذولا) أى غير منصور (وقضى ربك) أى حكم وألزم وأوجب أو أمر ، ويدل على ذلك ما فى مصحف ابن مسعود « ووصى ربك » (ألا تعبدوا) أن مفسرة أو مصدرية على تقدير بأن لا تعبدوا (إما يبلغن عندك) هى إن الشرطية دخلت عليها ما المؤكدة وجوابها فلا تقل لهما أف والمعنى الوصية ببر الوالدين إذا كبرا أو كبر أحدهما وإنما خص حالة الكبر لأنهما حينئذ أحوج إلى البر والقيام بحقوقهما لضعفهما ومعنى عندك : أى فى بيتك وتحت كنفك (أف) حيث وقعت اسم فعل معناها قول مكروه ، يقال عند الضجر ونحوه

لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ، رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا فِي نُفُوسِكُمْ إِن تَكُونُوا صَالِحِينَ فَإِنَّهُ كَانَ لِلْأَوَّابِينَ غَفُورًا ، وَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ، إِنَّ الْمُبَذِّرِينَ كَانُوا إِخْوَانَ الشَّيَاطِينِ وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِرَبِّهِ كَفُورًا ، وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ابْتِغَاءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ، وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا ، إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ، وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْئًا كَبِيرًا ، وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ، وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِ سُلْطَانًا فَلَا يُسْرِف فِّي الْقَتْلِ إِنَّهُ

وإنما المراد بها أقل كلمة مكروهة تصدر من الإنسان ، فنهى الله تعالى أن يقال ذلك للوالدين ، فأولى وأحرى ألا يقال لهما مافوق ذلك ، ويجوز فى أف الكسر والفتح والضم ، وهى حركات بناء ، وأما تنوينها فهو للتنكير (ولا تنهرهما) من الانتهار وهو الإغلاظ فى القول (واخفض لهما جناح الذل من الرحمة) استعارة فى معنى التواضع لهما والرفق بهما ، فهو كقوله اخفض جناحك للمؤمنين ، وأضافه إلى الذل مبالغة فى المعنى كأنه قال الجناح الذليل ، ومن فى قوله من الرحمة للتعليل أى من أجل إفراط الرحمة لهما والشفقة عليهما (للأوابين) قيل معناه الصالحين ، وقيل المسبحين ، وهو مشتق من الأوبة بمعنى الرجوع ، فحقيقته الراجعين إلى الله (وآت ذا القربى حقه) خطاب لجميع الناس لصلة قرابتهم والإحسان إليهم ، وقيل هو خطاب خاص بالنبى صلى الله عليه وسلم أن يؤتى قرابته حقهم من بيت المال ، والأول أرجح (وإما تعرضن) الآية : معناه إذا أعرضت عن ذوى القربى والمساكين وابن السبيل إذا لم تجد ماتعطيهم ، فقل لهم كلاما حسنا وكان النبى صلى الله عليه وسلم إذا سأله أحد فلم يكن عنده مايعطيه أعرض عنه ، حياء منه ، فأمر بحسن القول مع ذلك وهو أن يقول رزقكم الله وأعطاكم الله وشبه ذلك ، والميسور مشتق من اليسر (ابتغاء رحمة من ربك ترجوها) مفعول من أجله يحتمل أن يتعلق بقوله ، وإما تعرضن عنهم . والمعنى على هذا : أنه يعرض عنهم انتظاراً لرزق يأتيه ، فيعطيه إياهم ، فالرحمة على هذا هو مايرتجيه من الرزق أو يتعلق بقوله (فقل لهم قولا ميسورا) أى ابتغ رحمة ربك بقول ميسور والرحمة على هذا هى الأجر والثواب (ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك) استعارة فى معنى غاية البخل كأن البخيل حبست يده عن الإعطاء وشدت إلى عنقه (ولا تبسطها كل البسط) استعارة فى معنى غاية الجود فنهى الله عن الطرفين : وأمر بالتوسط بينهما : كقوله « إذا أنفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا » (ملوما) أى يلومك صديقك على كثرة عطائك وإضرارك بنفسك ، أو يلومك من يستحق العطاء لأنك لم تترك ماتعطيه ، أو يلومك سائر الناس على التبذير فى العطاء (محسورا) أى منقطعا بك لاشىء عندك وهو من قولهم حسر السفر البعير إذا أتعبه حتى لم تبق له قوة (إن ربك يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) أى يوسع على من يشاء ويضيق على من يشاء فلا تهتم بما تراه من ذلك ، فإن الله أعلم بمصالح عباده (ولا تقتلوا أولادكم) ذكر فى الأنعام (ولا تقتلوا النفس التى حرم الله إلا بالحق) الحق الموجب لقتل النفس هو ماورد فى الحديث من

كَانَ مَنصُورًا ۞ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولًا ۞ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ۞ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَٰئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا ۞ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الْأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا ۞ كُلُّ ذَٰلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِندَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا ۞ ذَٰلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَّدْحُورًا ۞ أَفَأَصْفَاكُمْ رَبُّكُم بِالْبَنِينَ

قوله صلى الله عليه وآله وسلم «لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : كفر بعد إيمان ، أو زنى بعد إحصان ، أو قتل نفس أخرى ، وتتصل بهذه الأشياء أشياء أخر لأنها فى معناها كالحرابة وترك الصلاة ومنع الزكاة (ومن قتل مظلوما فقد جعلنا لوليه سلطانا) المظلوم هنا من قتل بغير حق ، والولى هو ولى المقتول وسائر العصبة ، وليس النساء من الأولياء عند مالك ، والسلطان الذى جعل الله له : هو القصاص ، أو تخييره بين العفو والقصاص (فلا يسرف فى القتل) نهى عن أن يسرف ولى المقتول بأن يقتل غير قاتل وليه أو يقتل اثنين بواحد وغير ذلك من وجوه التعدى ، وقرئ فلا تسرف بالتاء خطابا للقاتل ، أو لولىّ المقتول (إنه كان منصورا) الضمير للمقتول أو لوليه ، ونصره هو القصاص (ولا تقربوا مال اليتيم) ذكر فى الأنعام قال بعضهم لا تقربوا ولا تقتلوا معطوفان على ألا تعبدوا ، والظاهر أنهما مجزومان بالنهى بدليل قوله بعدها : ولا تقف ولا تمش ، ويصح أن تكون معطوفات إذا جعلنا ألا تعبدوا مجزوما على النهى وأن مفسرة (وأوفوا بالعهد) عام فى العهود مع الله ومع الناس (إن العهد كان مسئولا) يحتمل وجهين : أحدهما أن يكون فى معنى الطلب : أى يطلب الوفاء به ، والثانى أن يكون المعنى يسأل عنه يوم القيامة . هل وفى به أم لا (وزنوا بالقسطاس) قيل القسطاس الميزان ، وقيل العدل وقرئ بكسر القاف وهى لغة (وأحسن تأويلا) أى أحسن عاقبة ومآلا ، وهو من آل إذا رجع (ولا تقف ماليس به علم) المعنى لا تقل مالا تعلم من ذم الناس وشبه ذلك ، واللفظ مشتق من قفوته إذا اتبعته (إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا) أولئك إشارة إلى السمع والبصر والفؤاد وإنما عاملها معاملة العقلاء فى الإشارة بأولئك ، لأنها حواس لها إدراك والضمير فى عنه يعود على كل ويتعلق عنه بمسئولا ، والمعنى أن الإنسان يسأل عن سمعه وبصره وفؤاده ، وقيل الضمير يعود على ماليس لك به علم والمعنى على هذا أن السمع والبصر والفؤاد هى التى تسأل عما ليس لها به علم وهذا بعيد (ولا تمش فى الأرض مرحا) المرح الخيلاء والكبر فى المشية . وقيل هو إفراط السرور بالدنيا وإعرابه مصدر فى موضع الحال (إنك لن تخرق الأرض) أى لن تجعل فيها خرقا بمشيك عليها ، والخرق هو القطع ، وقيل معناه لا تقدر أن تستوفى جميعها بالمشى ، والمراد بذلك تعليل النهى عن الكبر والخيلاء أى إذا كنت أيها الإنسان لا تقدر على خرق الأرض ، ولا على مطاولة الجبال ، فكيف تتكبر وتختال فى مشيك ، وإنما الواجب عليك التواضع (كل ذلك كان سيئه عند ربك مكروها) الإشارة إلى ما تقدم من المنهيات والمكروه هنا بمعنى الحرام ، لا على اصطلاح الفقهاء فى أن المكروه دون الحرام وإعراب مكروهاً نعت

وَاتَّخَذَ مِنَ الْمَلَـٰٓئِكَةِ إِنَـٰثًا إِنَّكُمْ لَتَقُولُونَ قَوْلًا عَظِيمًا ۝ وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا وَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا نُفُورًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ مَعَهُۥٓ ءَالِهَةٌ كَمَا يَقُولُونَ إِذًا لَّابْتَغَوْا إِلَىٰ ذِى الْعَرْشِ سَبِيلًا ۝ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يَقُولُونَ عُلُوًّا كَبِيرًا ۝ تُسَبِّحُ لَهُ السَّمَـٰوَٰتُ السَّبْعُ وَالْأَرْضُ وَمَن فِيهِنَّ وَإِن مِّن شَىْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِۦ وَلَـٰكِن لَّا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ۝ وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ۝ وَجَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِى الْقُرْءَانِ وَحْدَهُۥ وَلَّوْا عَلَىٰٓ أَدْبَـٰرِهِمْ نُفُورًا ۝ نَّحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَسْتَمِعُونَ بِهِۦٓ إِذْ يَسْتَمِعُونَ إِلَيْكَ وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ إِذْ يَقُولُ الظَّـٰلِمُونَ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَّسْحُورًا ۝ انظُرْ كَيْفَ ضَرَبُوا لَكَ الْأَمْثَالَ فَضَلُّوا فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا ۝ وَقَالُوٓا أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا ۝ أَوْ خَلْقًا

لسيئة أو بدل منها ، أو خبر ثان لكان (أفأصفاكم ربكم بالبنين) خطاب على وجه التوبيخ للعرب الذين قالوا إن الملائكة بنات الله ، والمعنى: كيف يجعل لكم الأعلى من النسل وهو الذكور ، ويتخذ لنفسه الأدنى وهو البنات ومعنى أصفاكم: خصكم (قولا عظيما) أى عظيم النكر والشناعة (قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذاً لابتغوا إلى ذى العرش سبيلا) هذا احتجاج على الوحدانية ، وفى معناه قولان: أحدهما أن المعنى لو كان مع الله آلهة لابتغوا سبيلا إلى التقرب إليه بعبادته وطاعته ، فيكون من جملة عباده ، والآخر لابتغوا سبيلا إلى إفساد ملكه ومعاندته فى قدرته ، ومعلوم أن ذلك لم يكن فلا إله إلا هو (تسبح له السموات السبع والأرض) الآية: اختلف فى كيفية هذا التسبيح فقيل هو تسبيح بلسان الحال أى بما تدل عليه صنعتها من قدرة وحكمة ، وقيل إنه تسبيح حقيقة وهذا أرجح لقوله لا تفقهون تسبيحهم (جعلنا بينك وبين الذين لا يؤمنون بالآخرة حجاباً مستوراً) فى معناه قولان: أحدهما أن الله أخبر نبيه صلى الله عليه وسلم أن يستره من الكفار إذا أرادوا به شراً ، ويحجبه منهم والآخر أنه يحجب الكفار عن فهم القرآن ، وهذا أرجح لما بعده ، والمستور هنا قيل معناه مستور عن أعين الخلق لأنه من لطف الله وكفايته فهو من المغيبات ، وقيل معناه ساتر (أكنة أن يفقهوه) جمع كنان وهو الغطاء ، وأن يفقهوه مفعول من أجله تقديره كراهة أن يفقهوه ، وهذه استعارات فى إضلالهم (وإذا ذكرت ربك فى القرآن وحده) معناه إذا ذكرت فى القرآن وحدانية الله تعالى فر المشركون من ذلك ، لما فيه من رفض آلهتهم وذمها ونفوراً مصدر فى موضع الحال (نحن أعلم بما يستمعون به) كانوا يستمعون القرآن على وجه الاستهزاء ، والضمير فى به عائد على ما: أى نعلم ما يستمعون به من الاستهزاء (وإذ هم نجوى) جماعة يتناجون أو ذو نجوى ، والنجوى كلام السر (رجلا مسحوراً) قيل معناه جن فسحر وقيل معناه ساحر ، وقيل هو من السحر بفتح السين وهى الرئة: أى بشر إذا سحر مثلكم وهذا بعيد (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) أى مثلوك بالساحر ، والشاعر ، والمجنون (فضلوا) عن الحق (فلا يستطيعون سبيلا) إلى الهدى: ونزلت الآية فى الوليد بن المغيرة ، وأصحابه من الكفار (وقالوا أئذا كنا عظاما ورفاتا) الآية معناها إنكار للبعث ، واستبعادهم

مِمَّا يَكْبُرُ فِى صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَن يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِى فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰٓ أَن يَكُونَ قَرِيبًا ٭ يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا ٭ وَقُل لِّعِبَادِى يَقُولُوا الَّتِى هِىَ أَحْسَنُ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ يَنزَغُ بَيْنَهُمْ إِنَّ الشَّيْطَٰنَ كَانَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوًّا مُّبِينًا ٭ رَّبُّكُمْ أَعْلَمُ بِكُمْ إِن يَشَأْ يَرْحَمْكُمْ أَوْ إِن يَشَأْ يُعَذِّبْكُمْ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ وَكِيلًا ٭ وَرَبُّكَ أَعْلَمُ بِمَن فِى السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَقَدْ فَضَّلْنَا بَعْضَ النَّبِيِّينَ عَلَىٰ بَعْضٍ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ٭ قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا ٭ أُولَٰٓئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُۥ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُۥٓ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ٭ وَإِن مِّن قَرْيَةٍ إِلَّا نَحْنُ مُهْلِكُوهَا قَبْلَ

أن يخلقهم الله خلقا جديدا بعد فنائهم ، والرفات الذى بلى حتى صار غبارا أو فتاتا ، وقد ذكر فى الرعد اختلاف القراء فى الاستفهامين (قل كونوا حجارة أو حديدا) المعنى لو كنتم حجارة أو حديدا لقدرنا على بعثكم وإحيائكم مع أن الحجارة والحديد أصلب الأشياء وأبعدها عن الرطوبة التى فى الحياة ، فأولى وأحرى أن يبعث أجسادكم ويحيى عظامكم البالية فذكر الحجارة والحديد تنبيها بهما على ما هو أسهل فى الحياة منهما ، ومعنى قوله كونوا أى كونوا فى الوهم والتقدير ، وليس المراد به التعجيز كما قال بعضهم فى ذلك (أو خلقا مما يكبر فى صدوركم) قيل يعنى السموات والأرض والجبال ، وقيل بل أحال على فكرتهم عموما فى كل ما هو كبير عندهم : أى لو كنتم حجارة أو حديدا أو شيئا أكبر عندكم من ذلك وأبعد عن الحياة لقدرنا على بعثكم (فسينغضون إليك رؤسهم) أى يحركونها تحريك المستبعد للشىء والمستهزئ (ويقولون متى هو) أى متى يكون البعث (يوم يدعوكم فتستجيبون بحمده) الدعاء هنا عبارة عن البعث بالنفخ فى الصور والاستجابة عبارة عن قيامهم من القبور طائعين منقادين وبحمده فى موضع الحال أى حامدين له ، وقيل معنى بحمده بأمره (وتظنون إن لبثتم إلا قليلا) يعنى لبثتم فى الدنيا أو فى القبور (وقل لعبادى يقولوا التى هى أحسن) العباد هنا المؤمنون أمرهم أن يقول بعضهم لبعض كلاما لينا عجيبا ، وقيل أن يقولوه للمشركين ، ثم نسخ بالسيف وإعراب يقولوا كقوله يقيموا الصلاة فى إبراهيم ، وقد ذكر ذلك (قل ادعوا الذين زعمتم من دونه) قيل يعنى الملائكة . وقيل عيسى وأمه وعزير ، وقيل نفر من الجن كان العرب يعبدونهم ، والمعنى أنهم لا يقدرون على كشف الضر عنكم ، فكيف تعبدونهم (أولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربهم الوسيلة) المعنى أن أولئك الآلهة الذين تدعون من دون الله يبتغون القربة إلى الله ، ويرجونه ، ويخافونه ، فكيف تعبدونهم معه ، وإعراب أولئك مبتدأ والذين تدعون صفة له ويبتغون خبره ، والفاعل فى يدعون ضمير للكفار ، وفى يبتغون للآلهة المعبودين وقيل إن الضمير فى يدعون ويبتغون للأنبياء المذكورين قبل فى قوله : ولقد فضلنا بعض النبيين على بعض ، والوسيلة هى ما يتوسل به ويتقرب (أيهم أقرب) بدل من الضمير فى يبتغون أى يبتغى الوسيلة من هو أقرب منهم ، فكيف بغيره : أو ضمن يبتغون معنى يحرصون فكأنه قيل يحرصون أيهم يكون أقرب إلى الله

يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ أَوْ مُعَذِّبُوهَا عَذَابًا شَدِيدًا كَانَ ذَٰلِكَ فِى الْكِتَـٰبِ مَسْطُورًا ۝ وَمَا مَنَعَنَآ أَن نُّرْسِلَ بِالْآيَـٰتِ إِلَّآ أَن كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا وَمَا نُرْسِلُ بِالْآيَـٰتِ إِلَّا تَخْوِيفًا ۝ وَإِذْ قُلْنَا لَكَ إِنَّ رَبَّكَ أَحَاطَ بِالنَّاسِ وَمَا جَعَلْنَا الرُّءْيَا الَّتِىٓ أَرَيْنَـٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِى الْقُرْءَانِ وَنُخَوِّفُهُمْ

بالاجتهاد فى طاعته ، ويحتمل أن يكون المعنى أنهم يتوسلون بأيهم أقرب إلى الله (محذورا) من الحذر وهو الخوف (وإن من قرية إلا نحن مهلكوها قبل يوم القيامة) يحتمل هذا الهلاك وجهين : أحدهما أن يكون بالموت والفناء الذى لابد منه ، والآخر أن يكون بأمر من الله يأخذ المدينة دفعة فيهلكها ، وهذا أظهر ، لأن الأول معلوم لا يفتقر إلى الإخبار به ، والهلاك والتعذيب المذكوران فى الآية هما فى الحقيقة لأهل القرى أى مهلكو أهلها أو معذبوهم ، وروى أن هلاك مكة بالحبشة ، والمدينة بالجوع ، والكوفة بالترك ، والأندلس بالخيل ، وسئل الأستاذ أبو جعفر بن الزبير عن غرناطة ، فقال أصابها العذاب يوم قتل الموحدين بها فى ثورة ابن هود ، وأما هلاك قرطبة وأشبيليه وطيطله وغيرها بأخذ الروم لها (فى الكتاب مسطورا) يعنى اللوح المحفوظ (وما منعنا أن نرسل بالآيات إلا أن كذب بها الأولون) الآيات يراد بها هنا التى يقترحها الكفار فإذا رأوها ولم يؤمنون أهلكهم الله وسبب الآية أن قريشا اقترحوا على رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يجعل لهم الصفا ذهبا ، فأخبر الله أنه لم يفعل ذلك لئلا يكذبوا فيهلكوا ، وعبر بالمنع عن ترك ذلك ، وأن نرسل فى موضع نصب وأن كذب فى موضع رفع ثم ذكر ناقة ثمود تنبيها على ذلك لأنهم اقترحوها وكانت سبب هلاكهم ، ومعنى مبصرة : بينة واضحة الدلالة (وما نرسل بالآيات إلا تخويفا) إن أراد بالآيات هنا المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من العذاب العاجل وهو الإهلاك وإن أراد المعجزات غير المقترحة فالمعنى أنه يرسل بها تخويفا من عذاب الآخرة ليراها الكافر فيؤمن ، وقيل المراد بالآيات هنا الرعد والزلازل والكسوف وغير ذلك من المخاوف (وإذ قلنا لك إن ربك أحاط بالناس) المعنى اذكر إذ أوحينا إليك أن ربك أحاط بقريش يعنى بشرناك بقتلهم يوم بدر وذلك قوله سيهزم الجمع ويولون الدبر ، وإنما قال أحاط بلفظ الماضى وهو لم يقع لتحقيقه وصحة وقوعه بعد ، وقيل المعنى أحاط بالناس فى منعك وحمايتك منهم كقوله : والله يعصمك من الناس (وما جعلنا الرؤيا التى أريناك إلا فتنة للناس) اختلف فى هذه الرؤيا فقيل إنها الإسراء ، فمن قال إنه كان فى اليقظة ، فالرؤيا بمعنى الرؤية بالعين ، ومن قال إنه كان فى المنام فالرؤيا منامية ، والفتنة على هذا تكذيب الكفار بذلك وارتداد بعض المسلمين حينئذ ، وقيل إنها رؤيا النبى صلى الله عليه وسلم فى منامه هزيمة الكفار وقتلهم ببدر ، والفتنة على هذا تكذيب قريش بذلك ، وقيل إنه رأى أنه يدخل مكة فعجل فى سنة الحديبية فرد عنها فافتتن بعض المسلمين بذلك ؛ وقيل رأى فى المنام أن بنى أمية يصعدون على منبره فاغتم بذلك (والشجرة الملعونة فى القرآن) يعنى شجرة الزقوم ، وهى معطوفة على الرؤيا أى جعل الرؤيا والشجرة فتنة للناس ، وذلك أن قريشا لما سمعوا أن فى جهنم شجرة زقوم سخروا من ذلك وقالوا كيف تكون شجرة فى النار والنار تحرق الشجر ، وقال أبو جهل ما أعرف الزقوم إلا التمر بالزبد ، فإن قيل : لم لعنت شجرة الزقوم فى القرآن ؟ فالجواب أن المراد لعنة آكلها ، وقيل اللعنة بمعنى الإبعاد لأنها فى أصل الجحيم (ونخوفهم) الضمير لكفار قريش (طينا) تمييز أو حال من من أو من مفعول خلقت (قال أرأيتك

فَمَا يَزِيدُهُمْ إِلَّا طُغْيَانًا كَبِيرًا • وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ قَالَ ءَأَسْجُدُ لِمَنْ خَلَقْتَ طِينًا • قَالَ أَرَءَيْتَكَ هَٰذَا الَّذِي كَرَّمْتَ عَلَيَّ لَئِنْ أَخَّرْتَنِ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُ إِلَّا قَلِيلًا • قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَاؤُكُمْ جَزَاءً مَّوْفُورًا • وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا • إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا • رَّبُّكُمُ الَّذِي يُزْجِي لَكُمُ الْفُلْكَ فِي الْبَحْرِ لِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ إِنَّهُ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا • وَإِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فِي الْبَحْرِ ضَلَّ مَن تَدْعُونَ إِلَّا إِيَّاهُ فَلَمَّا نَجَّاكُمْ إِلَى الْبَرِّ أَعْرَضْتُمْ وَكَانَ الْإِنسَانُ كَفُورًا • أَفَأَمِنتُمْ أَن يَخْسِفَ بِكُمْ جَانِبَ الْبَرِّ أَوْ يُرْسِلَ عَلَيْكُمْ حَاصِبًا ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ وَكِيلًا • أَمْ أَمِنتُمْ أَن

هذا الذى كرمت علىّ) الكاف من أرأيتك للخطاب لا موضع لها من الإعراب ، وهذا مفعول بأرأيت ، والمعنى أخبرنى عن هذا الذى كرمته علىّ أى فضلته وأنا خير منه فاختصر الكلام بحذف ذلك ، وقال ابن عطية أرأيتك هذا بمعنى أتأملت ونحوه لا بمعنى أخبرنى (لأحتنكن ذريته) معناه لأستولين عليهم ولأقودنهم وهو مأخود من تحنيك الدابة ، وهو أن يشدّ على حنكها بحبل فتنقاد (قال اذهب) قال ابن عطية اذهب وما بعده من الأوامر : صيغة أمر على وجه التهديد ، وقال الزمخشرى ليس المراد الذهاب الذى هو ضدّ المجىء ، وإنما معناه امض لشأنك الذى اخترته خذلانا له وتخلية ، ويحتمل عندى أن يكون معناه للطرد والإبعاد (فمن تبعك منهم فإن جهنم جزاؤكم) كان الأصل أن يقال جزاؤهم بضمير الغيبة ، ليرجع إلى من اتبعك ، ولكنه ذكره بلفظ المخاطب تغليبا للمخاطب على الغائب ، وليدخل إبليس معهم (جزاء موفورا) مصدر فى موضع الحال والموفور المكمل (واستفزز) أى اخدع واستخف (بصوتك) قيل يعنى الغناء والمزامير ، وقيل الدعاء إلى المعاصى (وأجلب عليهم) أى هول ، وهو من الجلبة وهى الصياح (بخيلك ورجلك) الخيل هنا يراد بها الفرسان الراكبون على الخيل ، والرجل جمع راجل وهو الذى يمشى على رجليه فقيل هو مجاز واستعارة بمعنى افعل جهدك ، وقيل إن له من الشيطان خيلا ورجلا ، وقيل المراد فرسان الناس ورجالتهم المتصرفون فى الشر (وشاركهم فى الأموال والأولاد) مشاركته فى الأموال بكسبها من الربا وإنفاقها فى المعاصى وغير ذلك ، ومشاركته فى الأولاد هى بالاستيلاد بالزنا وتسمية الولد عبد شمس وعبد الحارث وشبه ذلك (وعدهم) يعنى المواعدة الكاذبة من شفاعة الأصنام وشبه ذلك (إن عبادى) يعنى المؤمنين الذين يتوكلون على الله بدليل قوله بعد ذلك : وكفى بربك وكيلا ونحوه : إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون (يزجى لكم الفلك) أى يجريها ويسيرها والفلك هنا جمع وابتغاء الفضل فى التجارة وغيرها (الضرّ فى البحر) يعنى خوف الغرق (ضل من تدعون إلا إياه) ضل هنا بمعنى تلف وفقد : أى تلف عن أوهامكم وخواطركم كل من تدعونه إلا الله وحده فلجأتم إليه حينئذ دون غيره . فكيف تعبدون غيره وأنتم لا تجدون فى تلك الشدة إلا إياه (وكان الإنسان كفورا)

يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِ تَبِيعًا * وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِىٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا * يَوْمَ نَدْعُوا كُلَّ أُنَاسٍ بِإِمَٰمِهِمْ فَمَنْ أُوتِىَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَقْرَءُونَ كِتَٰبَهُمْ وَلَا يُظْلَمُونَ فَتِيلًا * وَمَن كَانَ فِى هَٰذِهِۦٓ أَعْمَىٰ فَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ أَعْمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلًا * وَإِن كَادُوا لَيَفْتِنُونَكَ عَنِ ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ لِتَفْتَرِىَ عَلَيْنَا غَيْرَهُۥ وَإِذًا لَّٱتَّخَذُوكَ خَلِيلًا * وَلَوْلَآ أَن ثَبَّتْنَٰكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْـًٔا قَلِيلًا * إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ثُمَّ لَا تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيرًا * وَإِن كَادُوا

أى كفورا بالنعم ، والإنسان هنا جنس (أفأمنتم) الهمزة للتوبيخ والفاء للعطف أى أنجوتم من البحر فأمنتم الخسف فى البر (حاصبا) يعنى حجارة أو ريحا شديدة ترمى بالحصباء (وكيلا) أى قائما بأموركم وناصرا لكم (قاصفا من الريح) يعنى الذى يقصف ما يأتى أى يكسره (تبيعا) أى مطالبا يطالبنا بما فعلنا بكم : أى لاتجدون من ينصركم منا كقوله ولا يخاف عقباها (وفضلناهم على كثير ممن خلقنا تفضيلا) يعنى فضلهم على الجن وعلى سائر الحيوان ، ولم يفضلهم على الملائكة ، ولذلك قال : على كثير وأنواع التفضيل كثيرة لاتحصى : وقد ذكر المفسرون منها كون الإنسان يأكل بيده ، وكونه منتصب القامة ، وهذه أمثلة (بإمامهم) قيل يعنى بنبيهم ، يقال ياأمة فلان ، وقيل يعنى كتابهم الذى أنزل عليهم ، وقيل كتابهم الذى فيه أعمالهم (ولا يظلمون فتيلا) الفتيل هو الخيط الذى فى شق نواة التمرة ، والمعنى أنهم لايظلمون من أعمالهم قليلا ولا كثيرا ، فعبر بأقل الأشياء تنبيها على الأكثر (ومن كان فى هذه أعمى فهو فى الآخرة أعمى) الإشارة بهذه إلى الدنيا ، والعمى يراد به عمى القلب : أى من كان فى الدنيا أعمى عن الهدى ، والصواب فهو فى يوم القيامة أعمى : أى حيران يائس من الخير ، ويحتمل أن يريد بالعمى فى الآخرة عمى البصر : كقوله ونحشره يوم القيامة أعمى ، وإنما جعل الأعمى فى الآخرة أضل سبيلا ، لأنه حينئذ لاينفعه الاهتداء ، ويجوز . فى أعمى الثانى : أن يكون صفة للأول ، وأن يكون من الأفعال التى للتفضيل ، وهذا أقوى لقوله وأضل سبيلا فعطف أضل الذى هو من أفعل من كذا على ماهو شبهه ، قال سيبويه . لايجوز أن يقال هو أعمى من كذا ولكن إنما يمتنع ذلك فى عمى البصر ، لافى عمى القلب (وإن كادوا ليفتنونك عن الذى أوحينا إليك) الآية : سببها أن قريشا قالوا للنبى صلى الله عليه وسلم اقبل بعض أمرنا ونقبل بعض أمرك ، وقيل إن ثقيفا طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وسلم أن يؤخرهم بعد إسلامهم سنة يعبدون فيها اللات والعزى ، والآية على هذا القول مدنية (لتفترى علينا غيره) الافتراء هنا يراد به المخالفة لما أوحى إليه من القرآن وغيره (وإذاً لاتخذوك خليلا) أى لو فعلت ماأرادوا منك لاتخذوك خليلا (ولولا أن ثبتناك لقد كدت تركن إليهم شيئا قليلا) لولا تدل على امتناع شىء لوجود غيره ، فدلت هنا على امتناع مقاربة النبى صلى الله عليه وسلم الركون إليهم لأجل تثبيت الله له وعصمته ، وكدت تقتضى نفى الركون ، لأن معنى كاد فلان يفعل كذا أى أنه لم يفعله فانتفى الركون إليهم ومقاربته ، فليس فى ذلك نقص من جانب النبى صلى الله عليه وسلم لأن التثبيت منعه

لَيَسْتَفِزُّونَكَ مِنَ الْأَرْضِ لِيُخْرِجُوكَ مِنْهَا وَإِذًا لَا يَلْبَثُونَ خِلَافَكَ إِلَّا قَلِيلًا ۝ سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا ۝ أَقِمِ الصَّلَوٰةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ الَّيْلِ وَقُرْءَانَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا ۝ وَمِنَ الَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَّكَ عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ۝ وَقُل رَّبِّ أَدْخِلْنِي مُدْخَلَ صِدْقٍ وَأَخْرِجْنِي مُخْرَجَ صِدْقٍ وَاجْعَل لِّي مِن لَّدُنكَ سُلْطَانًا نَّصِيرًا ۝ وَقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ إِنَّ الْبَاطِلَ كَانَ زَهُوقًا ۝ وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْءَانِ مَا هُوَ شِفَآءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا ۝ وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنسَانِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ كَانَ يَـُٔوسًا ۝ قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِ فَرَبُّكُمْ

من مقاربة الركون ، ولولم يثبته الله لكانت مقاربته للركون إليهم شيئا قليلا ، وأما منع التثبيت فلم يركن قليلا ولا كثيرا ، ولا قارب ذلك (إذاً لأذقناك ضعف الحياة وضعف الممات) أى ضعف عذابهما لو فعل ذلك (وإن كادوا ليستفزونك من الأرض) الضمير لقريش كانوا قدهموا أن يخرجوا النبى صلى الله عليه وسلم من مكة ، وذلك قبل الهجرة ، فالأرض هنا يراد بها مكة لأنها بلده (وإذاً لايلبثون خلفك إلاقليلا) أى لوأخرجوك لم يلبثوا بعد خروجك بمكة إلاقليلا فلماخرج النبى صلى الله عليه وسلم مهاجرا من مكة إلى المدينة لأجل إذاية قريش له ولأصحابه لم يبقوا بعد ذلك إلا قليلا ، وقتلوا يوم بدر (سنة من قد أرسلنا قبلك من رسلنا) انتصب سنة على المصدر ، ومعناه العادة أى هذه عادة الله مع رسله (أقم الصلاة لدلوك الشمس إلى غسق الليل وقرآن الفجر) هذه الآية إشارة إلى الصلوات المفروضة ، فدلوك الشمس زوالها ، والإشارة إلى الظهر والعصر ، وغسق الليل ظلمته وذلك إشارة إلى المغرب والعشاء ، وقرآن الفجر صلاة الصبح ، وانتصب قرآن الفجر بالعطف على موضع اللام فى قوله لدلوك الشمس ، فإن اللام فيه ظرفية بمعنى عل ، وقيل هو عطف على الصلاة ، وقيل مفعول بفعل مضمر تقديره اقرأ قرآن الفجر ، وإنما عبر عن صلاة الصبح بقرآن الفجر لأن القرآن يقرأ فيها أكثر من غيرها لأنها تصلى بسورتين طويلتين (إن قرآن الفجر كان مشهودا) أى تشهده ملائكة الليل والنهار فيجتمعون فيه إذ تصعد ملائكة الليل وتنزل ملائكة النهار (ومن الليل فتهجد به نافلة لك) لما أمر بالفرائض أمر بعدها بالنوافل ، ومن التبعيض ، والضمير فى به للقرآن والتهجد السهر وهو ترك الهجود ، ومعنى الهجود : النوم فالتفعل هنا للخروج عن الشيء كالتحرج والتأثم : فى الخروج عن الإثم والحرج (عسى أن يبعثك ربك مقاما محمودا) يعنى الشفاعة يوم القيامة ، وانتصب مقاما على الظرف (وقل رب أدخلنى مدخل صدق) الآية : المدخل : دخوله إلى المدينة والمخرج خروجه من مكة ، وقيل المدخل فى القبر ، والمخرج إلى البعث . واختار ابن عطية أن يكون على العموم فى جميع الأمور (سلطانا نصيرا) قيل معناه حجة تنصرنى بها وتظهر بها صدق ، وقيل قوة ورياسة تنصرنى بها على الأعداء وهذا أظهر (وقل جاء الحق وزهق الباطل) الحق الإيمان والباطل الكفر (وننزل من القرآن ماهو شفاء) من للتبعيض ، أو لبيان الجنس ، والمراد بالشفاء أنه يشفى القلوب من الريبة والجهل ، ويحتمل أن يريد نفعه من الأمراض بالرقيا به والتعويذ (وإذا أنعمنا على الإنسان) الآية : المراد بالإنسان هنا الجنس ، لأن ذلك من سجية الإنسان ، وقيل

أَعْلَمُ بِمَنْ هُوَ أَهْدَى سَبِيلاً • وَيَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً • وَلَئِن شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِيٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ ثُمَّ لاَتَجِدُ لَكَ بِهِ عَلَيْنَا وَكِيلاً • إِلاَّ رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّ فَضْلَهُ كَانَ عَلَيْكَ كَبِيرًا • قُل لَّئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَـٰذَا الْقُرْءَانِ لاَيَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا الْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ فَأَبَىٰٓ أَكْثَرُ النَّاسِ إِلاَّ كُفُورًا • وَقَالُوا لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الْأَرْضِ يَنبُوعًا • أَوْ تَكُونَ لَكَ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَعِنَبٍ فَتُفَجِّرَ الْأَنْهَـٰرَ خِلَـٰلَهَا تَفْجِيرًا • أَوْ تُسْقِطَ السَّمَآءَ كَمَا زَعَمْتَ عَلَيْنَا كِسَفًا أَوْ تَأْتِيَ بِاللَّهِ وَالْمَلَـٰٓئِكَةِ قَبِيلاً • أَوْ يَكُونَ لَكَ

إنما يراد الكافر لأنه هو الذى يعرض عن الله (ونآى بجانبه) أى بعد وذلك تأكيد وبيان للإعراض ، وقرئ ناء وهو بمعنى واحد (كل يعمل على شاكلته) أى مذهبه وطريقته التى تشاكله (ويسئلونك عن الروح) السائلون اليهود ، وقيل قريش بإشارة اليهود ، والروح هنا عند الجمهور هو الذى فى الجسم ، وقد يقال فيه النفس وقيل الروح هنا جبريل وقيل القرآن والأول هو الصواب لدلالة ما بعده على ذلك (قل الروح من أمر ربى) أى من الأمور التى استأثر الله بها ولم يطلع عليها خلقه ، وكانت اليهود قد قالت لقريش اسألوه عن الروح ، فإن لم يجبكم فيه بشىء فهو نبىّ وذلك أنه كان عندهم فى التوراة أن الروح مما انفرد الله بعلمه ، وقال ابن بريدة : لقد مضى النبى صلى الله عليه وسلم وما يعرف الروح ، ولقد كثر اختلاف الناس فى النفس والروح ، وليس فى أقوالهم فى ذلك مايعول عليه (وماأوتيتم من العلم إلاقليلا) خطاب عام لجميع الناس ، لأن علمهم قليل بالنظر إلى علم الله وقيل خطاب لليهود خاصة والأول أظهر لأن فيه إشارة إلى أنهم لا يصلون إلى العلم بالروح (ولئن شئنا لنذهبن بالذى أوحينا إليك) أى إن شئنا ذهبنا بالقرآن فمحوناه من الصدور والمصاحف وهذه الآية متصلة المعنى بقوله وما أوتيم من العلم إلا قليلا : أى فى قدرتنا أن نذهب بالذى أوحينا إليك فلا يبقى عندك شىء من العلم (وكيلا) أى من يتوكل بإعادته ورده بعد ذهابه (إلا رحمة من ربك) يحتمل أن يكون استثناء متصلا فمعنى أن رحمة ربك ترد القرآن بعد ذهابه لوذهب أو استثناء منقطعا بمعنى أن رحمة ربك تمسكه عن الذهاب (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله) عجز الخلق عن الإتيان بمثله لما تضمنه من العلوم الإلهية والبراهين الواضحة والمعانى العجيبة التى لم يمكن الناس يعلمونها ، ولا يصلون إليها ، ثم جاءت فيه على الكمال ، وقال أكثر الناس إنهم عجزوا عنه لفصاحته وحسن نظمه ووجوه إعجازه كثيرة قد ذكرنا فى غير هذا منها خمسة عشر وجها (ظهيرا) أى معينا (ولقد صرفنا للناس فى هذا القرآن من كل مثل) أى بينا لهم كل شىء من العلوم النافعة ، والبراهين القائمة ، والحجج الواضحة ، وهذا يدل على أن إعجاز القرآن بما فيه من المعانى والعلوم كما ذكرنا (فأبى أكثر الناس إلا كفورا) الكفور الجحود ، وانتصب بقوله أبى لأنه فى معنى النفى (وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعا) الذين قالوا هذا القول هم أشراف قريش طلبوا من النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أنواعا من خوارق العادات ، وهى التى ذكرها الله فى هذه الآية ، وقيل إن الذى قاله عبدالله بن أبى أمية بن المغيرة ، وكان ابن عمة النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، ثم أسلم بعد ذلك والينبوع العين ، قالوا له إن مكة قليلة الماء ففجر لنا فيها عينا من

بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ أَوْ تَرْقَىٰ فِى السَّمَآءِ وَلَن نُّؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّىٰ تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَـٰبًا نَّقْرَؤُهُۥ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّى هَلْ كُنتُ إِلَّا بَشَرًا رَّسُولًا ۝ وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا۟ إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰٓ إِلَّآ أَن قَالُوٓا۟ أَبَعَثَ اللَّهُ بَشَرًا رَّسُولًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ فِى الْأَرْضِ مَلَـٰٓئِكَةٌ يَمْشُونَ مُطْمَئِنِّينَ لَنَزَّلْنَا عَلَيْهِم مِّنَ السَّمَآءِ مَلَكًا رَّسُولًا ۝ قُلْ كَفَىٰ بِاللَّهِ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ إِنَّهُۥ كَانَ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرًۢا بَصِيرًا ۝ وَمَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَـٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَـٰهُمْ سَعِيرًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُم بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالُوٓا۟ أَءِذَا كُنَّا عِظَـٰمًا وَرُفَـٰتًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ۝ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ اللَّهَ الَّذِى خَلَقَ السَّمَـٰوَٰتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ فَأَبَى الظَّـٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ۝ قُل لَّوْ أَنتُمْ تَمْلِكُونَ خَزَآئِنَ رَحْمَةِ رَبِّىٓ إِذًا لَّأَمْسَكْتُمْ خَشْيَةَ الْإِنفَاقِ وَكَانَ الْإِنسَـٰنُ قَتُورًا ۝ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ تِسْعَ ءَايَـٰتٍۭ بَيِّنَـٰتٍ فَسْـَٔلْ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِذْ جَآءَهُمْ فَقَالَ لَهُۥ فِرْعَوْنُ إِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰمُوسَىٰ مَسْحُورًا ۝

الماء (أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفا) إشارة إلى قوله تعالى إن نشأ نخسف بهم الأرض أو نسقط عليهم كسفا من السماء وكسفا بفتح السين جمع كسفة وهى القطعة ، وقرئ بالإسكان : أى قطعا واحدا (قبيلا) قيل معناه مقابلة ومعاينة وقيل ضامنا شاهدا بصدقك ، والقبالة فى اللغة الضمان (بيت من زخرف) أى من ذهب (قل سبحان ربى) تعجب من اقتراحاتهم ، أو تنزيه لله عن قولهم تأتى بالله ، وعن أن يطلب منه هذه الأشياء التى طلبها الكفار ، لأن ذلك سوء أدب (هل كنت إلا بشرا رسولا) أى إنما أنا بشر ، فليس فى قدرتى شيء مما طلبتم . وأنا رسول فليس على إلا التبليغ (إلا أن قالوا أبعث الله بشرا رسولا) المعنى أن الذى منع الناس من الإيمان إنكارهم لبعث الرسول من البشر (قل لو كان فى الأرض ملائكة) الآية : معناها أنه لو كان أهل الأرض ملائكة لكان الرسول إليهم ملكا ، ولكنهم بشر ، فالرسول إليهم بشر من جنسهم ومعنى مطمئنين ساكنين فى الأرض (شهيدا بينى وبينكم) ذكر فى الأنعام (عميا وبكما وصما) قيل هى استعارة بمعنى أنهم يوم القيامة حيارى ، وقيل هى حقيقة وأنهم يكونون عميا وبكما وصما حين قيامهم من قبورهم (كلما خبت) معناه فى اللغة سكن لهبها ، والمراد هنا كلما أكلت لحومهم فسكن لهبها بدلوا أجسادا أخر ، ثم صارت ملتهبة أكثر مما كانت (وقالوا أئذا كنا عظاما) استبعاد للحشر وقد تقدم معنى الرفات والكلام فى الاستفهامين (أولم يروا أن الله) الآية احتجاج على الحشر ، فإن السموات والأرض أكبر من الإنسان فكما قدر الله على خلقها فأولى وأحرى أن يقدر على إعادة جسد الإنسان بعد فنائه ، والرؤية فى الآية ، رؤية قلب (أجلا لا ريب فيه) القيامة أو أجل الموت (قل لو أنتم تملكون) لو حرف امتناع ولا يليها الفعل إلا ظاهرا أو مضمرا فلا بد من فعل يقدر هنا بعدها تقديره تملكون ثم فسره بتملكون الظاهر ، وأنتم تأكيد للضمير الذى فى تملكون المضمر (خزائن رحمة ربى) أى الأموال والأرزاق ، إذا لأمسكتم خشية الإنفاق) أى لو ملكتم الخزائن لأمسكتم عن الإعطاء خشية الفقر . فالمراد بالإنفاق عاقبة الإنفاق وهو الفقر . ومفعول أمسكتم محذوف ، وقال الزمخشرى

قَالَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَآ أَنزَلَ هَـٰٓؤُلَآءِ إِلَّا رَبُّ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ بَصَآئِرَ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَـٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ۝ فَأَرَادَ أَن يَسْتَفِزَّهُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَـٰهُ وَمَن مَّعَهُۥ جَمِيعًا ۝ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْـَٔاخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا ۝ وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَـٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَـٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَـٰهُ تَنزِيلًا ۝ قُلْ ءَامِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوْ لَا تُؤْمِنُوٓا۟ إِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ مِن قَبْلِهِۦٓ إِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ سُجَّدًا ۝ وَيَقُولُونَ سُبْحَـٰنَ رَبِّنَآ إِن كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولًا ۝

لامفعول له لأن معناه بخلتم من قولهم للبخيل ممسك ، ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر ، بخلاف وصف الله تعالى بالجود والغنى (تسع آيات) بينات الخمس منها الطوفان والجراد والقمل والضفادع والدم ، والأربع انقلاب العصا حية ، وإخراج يده بيضاء ، وحل العقدة من لسانه ، وفلق البحر وقد عد فيها رفع الطور فوقه ، وانفجار الماء من الحجر على أن يسقط اثنان من الآخر ، وقد عد فيها أيضا السنون ، والنقص من الثمرات ، روى أن بعض اليهود سألوا النبي صلى الله عليه وسلم عنها فقال : ألا تشركوا بالله شيئا ، ولا تسرقوا ولا تزنوا ، ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ، ولا تمشى ببرىء إلى السلطان ليقتله ، ولا تسحروا ولا تأكلوا الربا ولا تقذفوا المحصنات ، ولا تفروا يوم الزحف وعليكم خاصة اليهود ألا تعدوا فى السبت (فاسئل بنى إسرائيل) أى اسأل المعاصرين لك من بنى إسرائيل عما ذكرنا من قصة موسى لتزداد يقينا ، والآية على هذا خطاب لمحمد صلى الله عليه وسلم ، وقال الزمخشرى إن المعنى قلنا لموسى اسأل بنى إسرائيل من فرعون أى اطلب منه أن يرسلهم معك ، فهو كقوله : أن أرسل معنا بنى إسرائيل ، فلا يرد قوله اسأل لموسى على إضمار القول ، وقال أيضا : يحتمل أن يكون المعنى : اسأل بنى إسرائيل أن يعضدوك ويكونوا معك ، وهذا أيضا على أن يكون الخطاب لموسى ، والأول أظهر (إذجاءهم) الضمير لبنى إسرائيل ، والمراد آباؤهم الأقدمون والعامل فى إذ على القول الأول آتينا موسى أو فعل مضمر ، والعامل فيه على قول الزمخشرى القول المحذوف (مسحورا) هنا وفى الفرقان : أى سحرت واختلط عقلك ، وقيل ساحر (لقد علمت) بفتح التاء خطاب لفرعون ، والمعنى أنه علم أن الله أنزل الآيات ، ولكنه كفربها عنادا كقوله وجحدوا بها واستيقنتها أنفسهم والإشارة بهؤلاء إلى الآيات مثبورا أى مهلوكا ، وقيل مغلوبا ، وقيل مصروفا عن الخير ، قابل موسى قول فرعون إنى لأظنك ياموسى مسحورا بقوله . وإنى لأظنك يافرعون مثبورا (فأراد أن يستفزهم من الأرض) أى أرض مصر (اسكنوا الأرض) يعنى أرض الشام (لفيفا) أى جميعا مختلطين (وبالحق أنزلناه وبالحق نزل) الضمير للقرآن وبالحق معناه فى الموضعين بالواجب من المصلحة والسداد وقيل معنى الأول كذلك : ومعنى الثانى ضد الباطل . أى بالحق فى إخباره وأوامره ونواهيه (وقرآنا فرقناه) انتصب بفعل مضمر يدل عليه فرقناه ، ومعناه بيناه وأوضحناه (على مكث) قيل معناه على تمهل وترتيل فى قراءته ، وقيل على طول مدة نزوله شيئا شيئا من حين بعث النبى صلى الله عليه وسلم إلى وفاته ، وذلك عشرون سنة ، وقيل ثلاث وعشرون (قل آمنوا به أولا تؤمنوا) أمر باحتقارهم وعدم الاكتراث بهم ، كأنه يقول سواء آمنتم أولم تؤمنوا لكونكم لستم بحجة ، وإنما الحجة أهل العلم من قبله . وهم المؤمنون من أهل الكتاب (إن الذين

وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ۩ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا • وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا •

سورة الكهف

مكية إلا آية ٣٨ ومن آية ٨٣ إلى غاية آية ١٠١ فمدنية وآياتها ١١٠ نزلت بعد الغاشية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ • الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجًا • قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا

أوتوا العلم من قبله) يعني المؤمنين من أهل الكتاب وقيل الذين كانوا على الحنيفية قبل البعثة : كزيد بن عمرو بن نوفل ، وورقة بن نوفل ، والأول أظهر ، وهذه الجملة تعليل لما تقدم ، والمعنى : إن لم تؤمنوا به أنتم ، فقد آمن به من هو أعلم منكم (ويخرون للأذقان) أي لناحية الأذقان كقولهم خر لليدين وللفم ، والأذقان جمع ذقن، وهو أسفل الوجه حيث اللحية ، وإنما كرر يخرون للأذقان، لأن الأول للسجود ، والآخر للبكاء (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) سببها أن الكفار سمعوا النبي صلى الله عليه وسلم يدعو يا الله يا رحمن ، فقالوا إن كان محمد ليأمرنا بدعاء إله واحد وهاهو يدعو إلهين ، فنزلت الآية مبينة أن قوله الله أو الرحمن اسما لمسمى واحد، وأنه مخير في الدعاء بأي الاسمين شاء ، والدعاء في الآية بمعنى التسمية كقولك دعوت ولدي زيدا لا بمعنى النداء (أياما تدعوا فله الأسماء الحسنى) أيا اسم شرط منصوب بتدعوا ، والتنوين فيه عوض من المضاف إليه ، وما زائدة للتأكيد والضمير في به لله تعالى ، وهو المسمى لا الاسم ، والمعنى أي هذين الاسمين تدعو فحسن ، لأن الله له الأسماء الحسنى فموضع قوله لله الأسماء الحسنى موضع الحال، وهو في المعنى تعليل للجواب ، لأنه إذا حسنت أسماؤه كلها حسن هذان الاسمان (ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها) المخافتة هي الإسرار ، وسبب الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم جهر بالقرآن في الصلاة فسمعه المشركون ، فسبوا القرآن ومن أنزله ، فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالتوسط بين الإسرار والجهر ليسمع أصحابه الذين يصلون معه ولا يسمع المشركون ، وقيل المعنى لا تجهر بصلاتك كلها ولا تخافت بها كلها ، واجعل منها سرا وجهرا حسبما أحكمته السنة ، وقيل الصلاة هنا الدعاء (ولم يكن له ولي من الذل) أي ليس له ناصر يمنعه من الذل لأنه تعالى عزيز لا يفتقر إلى ولي يحميه ، فنفى الولاية على هذا المعنى لأنه غني عنها ، ولم ينف الولاية على وجه المحبة والكرامة لمن شاء من عباده، وحكى الطبري أن قوله لم يتخذ ولدا رد على النصارى واليهود والذين نسبوا لله ولدا ، وقوله ولم يكن له شريك : رد على المشركين ، وقوله ولم يكن له ولي من الذل رد على الصابئين في قولهم لولا أولياء الله لذل الله ، تعالى الله عن قولهم علوا كبيرا (وكبره) معطوف على قل، ويحتمل هذا التكبير أن يكون بالقلب وهو التعظيم ، أو باللسان وهو قوله أن يقول الله أكبر مع قوله الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا الآية

سورة الكهف

(الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب) العبد هنا هو النبي صلى الله عليه وسلم ، ووصفه بالعبودية تشريفا له

شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ، مَّاكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ، وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا ، مَّا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِآبَائِهِمْ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ، فَلَعَلَّكَ بَاخِعٌ نَّفْسَكَ عَلَىٰ آثَارِهِمْ إِن لَّمْ يُؤْمِنُوا بِهَٰذَا الْحَدِيثِ أَسَفًا ، إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ، وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ، أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ وَالرَّقِيمِ كَانُوا مِنْ آيَاتِنَا عَجَبًا ، إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ

وإعلاما باختصاصه وقربه ، والكتاب القرآن (ولم يجعل له عوجا) العوج بكسر العين فى المعانى التى لا تحس وبالفتح فى الأشخاص كالعصا ونحوها ، ومعناه عدم الاستقامة ، وقيل فيه هنا معناه لا تناقض فيه ولا خلل ، وقيل لم يجعله مخلوقا ، واللفظ أعم من ذلك (قيما) أى مستقيما ، وقيل قيما على الخلق بأمر الله تعالى ، وقيل قيما على سائر الكتب بتصديقها ، وانتصابه على الحال من الكتاب ، والعامل فيه أنزل ، ومنع الزمخشرى ذلك للفصل بين الحال وذى الحال ، واختار أن العامل فيه فعل مضمر تقديره جعله قيما (لينذر بأسا شديدا) متعلق بأنزل أو بقيما ، والفاعل به ضمير الكتاب أو النبى صلى الله عليه وسلم ، والبأس العذاب ، وحذف المفعول الثانى وهو الناس كما حذف المفعول الآخر من قوله وينذر الذين لدلالة المعنى على المحذوف (من لدنه) أى من عنده ، والضمير عائد على الله تعالى (أجرا حسنا) يعنى الجنة (ماكثين فيه) أى دائمين ، وانتصابه على الحال من الضمير فى لهم (وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولدا) هم النصارى لقولهم فى عيسى واليهود لقولهم فى عزير وبعض العرب لقولهم فى الملائكة (وما لهم به من علم) الضمير عائد على قولهم ، أو على الولد (كبرت كلمة) انتصب على التمييز على الحال ويعنى بالكلمة قولهم اتخذ الله ولدا : وعلى هذا يعود الضمير فى كبرت (فلعلك باخع نفسك) أى قاتلها بالحزن والأسف ، والمعنى تسلية النبى صلى الله عليه وسلم عن عدم إيمانهم (على آثارهم) استعارة فصيحة : كأنهم من فرط إدبارهم قد بعدوا فهو يتبع آثارهم تأسفا عليهم ، وانتصب أسفا على أنه مفعول من أجله ، والعامل فيه باخع نفسك (إنا جعلنا ما على الأرض زينة لها) يعنى ما يصلح للتزين كالملابس والمطاعم والأشجار والأنهار وغير ذلك (لنبلوهم أيهم أحسن عملا) أى لنختبرهم أيهم أزهد فى زينة الدنيا (وإنا لجاعلون ما عليها صعيدا جرزا) المعنى إخبار بفناء الدنيا وزينتها ، والصعيد هو التراب ، والجرز : الأرض التى لا نبات فيها : أى سيفنى ما على الأرض من الزينة وتبقى كالأرض التى لا نبات فيها ، بعد أن كانت خضراء بهجة (أم حسبت أن أصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا) أم هنا استفهام ، والمعنى أحسبت أنهم عجب بل سائر آياتنا أعظم منها وأعجب ، والكهف الغار الواسع ، والرقيم : اسم كلبهم ، وقيل هو لوح رقمت فيه أسماؤهم على باب الكهف ، وقيل كتاب فيه شرعهم ودينهم ، وقيل هو القرية التى كانت بإزاء الكهف ، وقيل الجبل الذى فيه الكهف ، وقال ابن عباس لا أدرى ما الرقيم (إذ أوى الفتية إلى الكهف) نذكر من قصتهم على وجه الاختصار ما لا غنى عنه ، إذ قد أكثر الناس فيها مع قلة الصحة فى كثير مما نقلوا ، وذلك أنهم كانوا قوما مؤمنين ، وكان ملك بلادهم كافر يقتل كل مؤمن ، ففروا بدينهم ، ودخلوا الكهف ليعبدوا الله فيه ويستخفوا من الملك وقومه ، فأمر الملك باتباعهم ، فانتهى المتبعون لهم إلى الغار فوجدوهم وعرفوا الملك بذلك فوقف

أَمْرِنَا رَشَدًا ۞ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ۞ ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَىُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓا أَمَدًا ۞ نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى ۞ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَا۟ مِن دُونِهِۦٓ إِلَٰهًا لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا ۞ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَٰنٍۭ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ۞ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُۥٓا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ۞ وَتَرَى

عليه فى جنده وأمر بالدخول إليهم ، فهاب الرجال ذلك وقالوا له دعهم يموتوا جوعا وعطشا ، وكان الله قد ألقى عليهم قبل ذلك نوما ثقيلا ، فبقوا على ذلك مدة طويلة ثم أيقظهم الله ، وظنوا أنهم لبثوا يوما أو بعض يوم فبعثوا أحدهم يشترى لهم طعاما بدراهم كانت لهم فعجب لها البائع وقال هذه الدراهم من عهد فلان الملك فى قديم الزمان من أين جاءتك ، وشاع الكلام بذلك فى الناس ، وقال الرجل إنما خرجت أنا وأصحابى بالأمس فأوينا إلى الكهف ، فقال هؤلاء الفتية الذين ذهبوا فى الزمان القديم فمشوا إليهم فوجدوهم موتى ، وأما موضع كهفهم ، فقيل إنه بمقربة من فلسطين وقال : قوم إنه الكهف الذى بالأندلس بمقربة من لوشة من جهة غرناطة ، وفيه موتى ومعهم كلب ، وقد ذكر ابن عطية ذلك ، وقال إنه دخل عليهم ورآهم وعليهم مسجد ، وقريب منهم بناء يقال له الرقيم قد بقى بعض جدرانه ، وروى أن الملك الذى كانوا فى زمانه اسمه دقيوس ، وفى تلك الجهة آثار مدينة يقال لها مدينة دقيوس والله أعلم ، ومما يبعد ذلك ماروى أن معاوية مر عليهم وأراد الدخول إليهم ، ولم يدخل معاوية الأندلس قط ، وأيضا فإن الموتى التى فى غار لوشة يراهم الناس ، ولم يدرك أحد منهم الرعب ، الذى ذكر الله فى أصحاب الكهف (فضربنا على آذانهم فى الكهف) عبارة عن إلقاء النوم عليهم ، وقال الزمخشرى: المعنى ضربنا على آذانهم حجابا ثم حذف هذا المفعول (سنين عددا) أى كثيرة (ثم بعثناهم) أى أيقظناهم من نومهم (لنعلم أى الحزبين أحصى لما لبثوا أمدا) أى لنعلم علما يظهر فى الوجود لأن الله قد كان علم ذلك ، والمراد بالحزبين الذين اختلفوا فى مدة لبثهم ، فالحزب الواحد : أصحاب الكهف والحزب الآخر القوم الذين بعث الله أصحاب الكهف فى مدتهم وقيل إن الحزبين معا أصحاب الكهف إذ كان بعضهم قد قال لبثنا يوما أو بعض يوم ، وقال بعضهم ربكم أعلم بما لبثتم ، وأحصى فعل ماض وأمدا مفعول به ، وقيل أحصى اسم للتفضيل ، وأمدا تمييز ، وهذا ضعيف ، لأن أفعل من التى للتفضيل لا يكون من فعل رباعى إلا فى الشاذ (وربطنا على قلوبهم) أى قوينا عزمهم وألهمناهم الصبر (إذ قاموا) يحتمل أن يريد قيامهم من النوم أو قيامهم بين يدى الملك الكافر لما آمنوا ولم يبالوا به (لقد قلنا إذا شططا) أى لو دعونا من دونه إلها لقلنا قولا شططا ، والشطط الجور والتعدى (لولا يأتون عليهم بسلطان بين) تحضيض بمعنى التعجيز أنهم لا يأتون بحجة بينة على عبادة غير الله (وإذ اعتزلتموهم) خطاب من بعضهم لبعض حين عزموا على الفرار بدينهم (وما يعبدون) عطف على المفعول فى اعتزلتموهم : أى تركتموهم وتركتم مايعبدون (إلا الله) أى مايعبدون من دون الله ، وإلا هنا بمعنى غير ، وهذا استثناء متصل إن كان قومهم يعبدن الله ويعبدون معه غيره ، ومنقطع إن كانوا لا يعبدون الله وفى مصحف ابن مسعود «ومايعبدون

الشَّمْسَ اذا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَاذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ مِّنْهُ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ اللَّهِ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا * وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ وَكَلْبُهُم بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا * وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْعَثُوا أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم

من دون الله (فأووا إلى الكهف) هذا الفعل هو العامل فى إذاعتزلتموهم ، والمعنى أن بعضهم قال لبعض إذا فارقنا الكفار فلنجعل الكهف لنا مأوى وتتكل على الله فهو يرحمنا ويرفق بنا (مرفقا) بفتح الميم وكسرها مايرتفق به وينتفع (وترى الشمس إذا طلعت تزاور عن كهفهم ذات اليمين وإذا غربت تقرضهم ذات الشمال) قيل هنا كلام محذوف تقديره فأوى القوم إلى الكهف ومكثوا فيه ، وضرب الله على آذانهم ، ومعنى تزاور تميل وتزوغ ، ومعنى تقرضهم تقطعهم : أى تبعد عنهم ، وهو بمعنى القطع ، وذات اليمين والشمال أى جهته ، ومعنى الآية أن الشمس لاتصيبهم عند طلوعها ولا عند غروبها لئلا يحترقوا بحرها . فقيل إن ذلك كرامة لهم وخرق عادة ، وقيل كان باب الكهف شماليا يستقبل بنات نعش ، فلذلك لاتصيبهم الشمس ، والأول أظهر لقوله « ذلك من آيات الله » (وهم فى فجوة منه) أى فى موضع واسع ، وذلك مفتح لإصابة الشمس ، ومع ذلك حجبها الله عنهم (ذلك من آيات الله) الإشارة إلى حجب الشمس عنهم إن كان خرق عادة ، وإن كان لكون بابهم إلى الشمال فالإشارة إلى أمرهم بجملته (وتحسبهم أيقاظا وهم رقود) أيقاظا جمع يقظ وهو المنتبه كانت أعينهم مفتوحة وهم نائمون فيحسبهم من يراهم أيقاظا وفى قوله أيقاظا ورقود مطابقة ، وهى من أدوات البيان (ونقلبهم ذات اليمين وذات الشمال) أى نقلبهم من جانب إلى جانب ، ولولا ذلك لأكلتهم الأرض وكان هذا التقليب من فعل الله وملائكته ، وهم لاينتبهون من نومهم ، وروى أنهم كانوا يقلبون مرتين فى السنة . وقيل من سبع سنين إلى مثلها (وكلبهم باسط ذراعيه) قيل إنه كان كلبا لأحدهم نصيد به ، وقيل كان كلبا لراع فروا عليه فصحبهم وتبعه كلبه وأعمل اسم الفاعل وهو بمعنى المضى لأنه حكاية حال (بالوصيد) أى باب الكهف ، وقيل عتبته وقيل البناء (ولملئت منهم رعبا) ذلك لما ألبسهم الله من الهيبة ، وقيل لطول أظفارهم وشعورهم وعظم أجرامهم وقيل لوحشة مكانهم ، وعن معاوية أنه غزا الروم فمر بالكهف ، فأراد الدخول إليه فقال له ابن عباس لاتستطيع ذلك ، قد قال الله لمن هو خير منك : لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا ، فبعث ناسا إليهم ، فلما دخلوا الكهف بعث الله ريحا فأحرقتهم (وكذلك بعثناهم ليتساءلوا بينهم) أى كما أنمناهم كذلك بعثناهم ليسأل بعضهم بعضا ، واللام فى ليتساءلوا لام الصيرورة (قالوا ربكم أعلم بما لبثتم) هذا قول من استشعر منهم أن مدة لبثهم طويلة ، فأنكر على من قال يوما أو بعض يوم ، ولكنه لم يعلم مقدارها فأسند علمها إلى الله (فابعثوا أحدكم بورقكم) الورق الفضة ، وكانت دراهم تزودوها حين خروجهم إلى الكهف ، ويستدل بذلك على أن التزود للمسافر أفضل من تركه ، ويستدل ببعث أحدهم على جواز الوكالة . فإن قيل : كيف

بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا * إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوا إِذًا أَبَدًا * وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوا أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَا إِذْ يَتَنَازَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُوا ابْنُوا عَلَيْهِم بُنْيَانًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَىٰ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا * سَيَقُولُونَ ثَلَاثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِالْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّي أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاءً ظَاهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا * وَلَا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ

اتصل بعث أحدهم بتذكر مدة لبثهم ؟ فالجواب أنهم كانوا قالوا ربكم أعلم بما لبثتم ، ولا سبيل لكم إلى العلم بذلك فخذوا فيما هو أهم من هذا وأنفع لكم فابعثوا أحدكم (إلى المدينة) قيل إنها طرسوس (أزكى طعاما) قيل أكثر ، وقيل أحل ، وقيل إنه أراد شراء زبيب ، وقيل تمر (وليتلطف) فى اختفائه وتحيله (إن يظهروا عليكم يرجموكم) أى إن يظفروا بكم يقتلوكم بالحجارة ، وقيل المعنى يرجموكم بالقول ، والأول أظهر (وكذلك أعثرنا عليهم) أى كما أنمناهم وبعثناهم أطلعنا الناس عليهم (ليعلموا) الضمير للقوم الذين أطلعهم الله على أصحاب الكهف : أى أطلعناهم على حالهم من انتباههم من الرقدة الطويلة ليستدلوا بذلك على صحة البعث من القبور (إذ يتنازعون بينهم أمرهم) العامل فى إذ أعثرنا أو مضمر تقديره اذكر والمتنازعون هم القوم الذين كانوا قد تنازعوا فيما يفعلون فى أصحاب الكهف ، أو تنازعوا هل هم أموات أو أحياء ، وقيل تنازعوا هل تحشر الأجساد أو الأرواح بالأجساد ، فأراهم الله حال أصحاب الكهف ليعلموا أن الأجساد تحشر (فقالوا ابنوا عليهم بنيانا) أى على باب كهفهم إما ليطمس آثارهم أو ليحفظهم ويمنعهم ممن يريد أخذهم أو أخذ تربتهم تبركا ، وإما ليكون علما على كهفهم ليعرف به (قال الذين غلبوا على أمرهم) قيل يعنى الولاة ، وقيل يعنى المسلمين لأنهم كانوا أحق بهم من الكفار فبنوا على باب الكهف مسجداً لعبادة الله (سيقولون) الضمير لمن كان فى زمان النبى صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم من اليهود أو غيرهم ممن تكلم فى أصحاب الكهف (رجما بالغيب) أى ظنا وهو مستعار من الرجم بمعنى الرمى (سبعة وثامنهم كلبهم) قال قوم إن الواو واو الثمانية لدخولها هنا وفى قوله : سبع ليال وثمانية أيام ، وفى قوله فى أهل الجنة «وفتحت أبوابها» وفى قوله فى براءة «والناهون عن المنكر» ، وقال البصريون لا تثبت واو الثمانية وإنما الواو هنا كقوله : جاء زيد وفى يده سيف قال الزمخشرى وفائدتها التوكيد والدلالة على أن الذين قالوا سبعة وثامنهم كلبهم صدقوا وأخبروا بحق ، بخلاف الذين قالوا ثلاثة ورابعهم كلبهم ، والذين قالوا خمسة وسادسهم كلبهم ، وقال ابن عطية دخلت الواو فى آخر إخبار عن عددهم لتدل على أن هذا نهاية ماقيل ولو سقطت لصح الكلام ، وكذلك دخلت السين فى قوله سيقولون الأول ، ولم تدخل فى الثانى والثالث استغناء بدخولها فى الأول (مايعلمهم إلا قليل) أى لا يعلم عدتهم إلا قليل من الناس ، وهم من أهل الكتاب . قال ابن عباس : أنا من ذلك القليل ، وكانوا سبعة وثامنهم كلبهم ، لأنه قال فى الثلاثة والخمسة رجما بالغيب ، ولم يقل ذلك فى سبعة وثامنهم كلبهم (فلا تمار فيهم إلا مراء ظاهرا) لا تمار : من المراء وهو الجدال والمخالفة والاحتجاج ، والمعنى لا تمار أهل الكتاب فى عدة أصحاب الكهف إلا مراء ظاهرا أى غير متعمق فيه من غير مبالغة ولا تعنيف فى الرد عليهم (ولا تستفت فيهم منهم

إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا * إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا * وَلَبِثُوا فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا تِسْعًا * قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ

أحدا) أى لا تسأل أحدا من أهل الكتاب عن أصحاب الكهف ، لأن الله قد أوحى إليك فى شأنهم ما يغنيك عن السؤال (ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن يشاء الله) سببها أن قريشا سألوا اليهود عن أمر رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقالوا لهم اسألوه عن فتية ذهبوا فى الزمان الأول وهم أصحاب الكهف ، وعن رجل بلغ مشارق الأرض ومغاربها وهو ذو القرنين ، وعن الروح ، فإن أجابكم فى الاثنين وسكت عن الروح فهو نبى فسألوه فقال غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأمسك عنه الله الوحى خمسة عشر يوما فأوجف به كفار قريش وتكلموا فى ذلك ، فشق ذلك على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم جاء جبريل بسورة الكهف فقص عليه فيها قصة أصحاب الكهف وذى القرنين ، وأنزل الله عليه هذه الآية تأديبا لهم وتعليما ، فأمره بالاستثناء بمشيئة الله فى كل أمر يريد أن يفعله فيما يستقبل ، وقوله غدا يريد به الزمان المستقبل لا اليوم الذى بعد يومه خاصة ، وفى الكلام حذف يقتضيه المعنى وتقديره : ولا تقولن لشىء إنى فاعل ذلك غدا إلا أن تقول إن شاء الله أو تقول إلا أن يشاء الله ، والمعنى أن يعلق الأمر بمشيئة الله وحوله وقوته ويبرأ هو من الحول والقوة ، وقيل إن قوله إلا أن يشاء الله بقوله لا تقولن . والمعنى لا تقولن ذلك القول إلا أن يشاء الله أن تقوله بأن يأذن لك فيه ، فالمشيئة على هذا راجعة إلى القول لا إلى الفعل ، ومعناها إباحة القول بالإذن فيه ، حكى ذلك الزمخشرى ، وحكاه ابن عطية ، وقال إنه من الفساد بحيث كان الواجب ألا يحكى (واذكر ربك إذا نسيت) قال ابن عباس الإشارة بذلك إلى الاستثناء أى استثن بعد مدة إذا نسيت الاستثناء أولا ، وذلك على مذهبه ، فإن الاستثناء فى اليمين ينفع بعد سنة ، وأما مذهب مالك والشافعى فإنه لا ينفع إلا إن كان متصلا باليمين ، وقيل معنى الآية اذكر ربك إذا غضبت ، وقيل اذكر إذا نسيت شيئا ليذكرك ما نسيت ، والظاهر أن المعنى اذكر ربك إذا نسيت ذكره أى ارجع إلى الذكر إذا غفلت عنه واذكره فى كل حال ، ولذلك قالت عائشة رضى الله عنها : كان رسول الله صلى الله تعالى عليه وآله وسلم يذكر الله على كل أحيانه (وقل عسى أن يهدين ربى لأقرب من هذا رشدا) هذا كلام أمر النبى صلى الله عليه وسلم أن يقوله ، والإشارة بهذا إلى خبر أصحاب الكهف أى عسى الله أن يؤتينى من الآيات والحجج ما هو أعظم فى الدلالة على نبوتى من خبر أصحاب الكهف واللفظ يقتضى أن المعنى : عسى أن يوفقنى الله تعالى من العلوم والأعمال الصالحات لما هو أرشد من خبر أصحاب أهل الكهف وأقرب إلى الله ، وقيل إن الإشارة بهذا إلى المنسى أى إذا نسيت شيئا فقل عسى أن يهدينى الله إلى شىء آخر هو أرشد من المنسى (ولبثوا فى كهفهم ثلاث مائة سنين وازدادوا تسعا) فى هذا قولان أحدهما أنه حكاية عن أهل الكتاب يدل على ذلك ما فى قراءة ابن مسعود : وقالوا لبثوا فى كهفهم . وهو معطوف على سيقولون ثلاثة فقوله (قل الله أعلم بما لبثوا) رد عليهم فى هذا العدد المحكى عنهم ، والقول الثانى أنه من كلام الله تعالى ، وأنه بيان لما أجمل فى قوله فضربنا على آذانهم فى الكهف سنين عددا ، ومعنى قوله قل الله أعلم بما لبثوا على هذا أنه أعلم من الذين اختلفوا فيهم ، وقد أخبر بمدة لبثهم ، فإخباره هو الحق لأنه أعلم من الناس ، وكان قوله قل الله أعلم احتجاجا على صحة ذلك

وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَالَهُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا ۝ وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ رَبِّكَ لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِ مُلْتَحَدًا ۝ وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُم بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ۝ وَقُلِ الْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ فَمَن شَاءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِن يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا ۝ أُولَٰئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِئِينَ

الإخبار ، وانتصب سنين على البدل من ثلاثمائة أوعطف بيان ، أوعلى التمييز وذلك على قراءة التنوين في ثلاثمائة وقرئ بغير تنوين على الإضافة ووضع الجمع موضع المفرد (أبصر به وأسمع) أى ماأبصره وماأسمعه ، لأن الله يدرك الخفيات كما يدرك الجليات (مالهم) الضمير لجميع الخلق أو للمعاصرين للنبي صلى الله عليه و سلم (ولا يشرك في حكمه أحدا) هو خبر عن القراءة بالياء والرفع وقرئ بالتاء والجزم على النهى (لامبدل لكلماته) يحتمل أن يراد بالكلمات هنا القرآن ، فالمعنى لايبدل أحد القرآن ولا يغيره ، ويحتمل أن يريد بالكلمات القضاء والقدر (ملتحدا) أى ملجأ تميل إليه (واصبر نفسك) أى احبسها صابرا (مع الذين يدعون ربهم) هم فقراء المسلمين : كبلال وخباب وصهيب وكان الكفار قدقالوا له اطرد هؤلاء نجالسك نحن ، فنزلت الآية (بالغداة والعشي) قيل المراد الصلوات الخمس ، وقيل الدعاء على الإطلاق (ولا تعد عيناك عنهم) أى لاتتجاوز عنهم إلى أبناء الدنيا ، وقال الزمخشري يقال عداه إذا جاوزه ، فهذا الفعل يتعدى بنفسه دون حرف ، وإنما تعدى هنا بعن لأنه تضمن معنى نبت عينه عن الرجل إذا احتقره (تريد زينة الحياة الدنيا) جملة في موضع الحال فهي متصلة بما قبلها ، وهي في معنى تعليل الفعل المنهى عنه في قوله ولا تعد عيناك عنهم : أى لاتبعد عنهم من أجل إرادتك لزينة الدنيا (أغفلنا قلبه) أى جعلناه غافلا أووجدناه غافلا ، وقيل يعنى أنه عيينة بن حصين الفزاري ، والأظهر أنها مطلقة من غير تقييد (فرطا) من التفريط والتضييع ، أو من الإفراط والإسراف (وقل الحق من ربكم) أى هذا هو الحق (فمن شاء فليؤمن) لفظه أمر وتخيير : ومعناه أن الحق قد ظهر فليختر كل إنسان لنفسه : إما الحق الذى ينجيه ، أو الباطل الذى يهلكه ، ففي ضمن ذلك تهديد (سرادقها) السرادق في اللغة ماأحاط بالشيء كالسور والجدار ، وأما سرادق جهنم فقيل حائط من نار ، وقيل دخان (كالمهل) وهودردى الزيت إذ انتهى حره روى ذلك عن النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم وقيل ماأذيب من الرصاص وشبهه (مرتفقا) أى شيء يرتفق به ، فهو من الرفق ، وقيل يرتفق عليه فهو من الارتفاق بمعنى الاتكاء (أولئك لهم) خبر إن ، وإنا لانضيع : اعتراض ، ويجوز أن يكونا خبرين أو يكون إنا لانضيع الخبر، وأولئك استئناف ، ويقوم العموم في قوله من أحسن مقام الضمير الرابط ، أو يقدر من أحسن عملا منه ، وروى أن النبي صلى الله عليه وسلم قال إنها نزلت في أبي بكر وعمر وعثمان

فِيهَا عَلَى الْأَرَآئِكِ نِعْمَ الثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ۞ وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا رَّجُلَيْنِ جَعَلْنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيْنِ مِنْ أَعْنَابٍ وَحَفَفْنَاهُمَا بِنَخْلٍ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمَا زَرْعًا ۞ كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْئًا وَفَجَّرْنَا خِلَالَهُمَا نَهَرًا ۞ وَكَانَ لَهُ ثَمَرٌ فَقَالَ لِصَاحِبِهِ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَنَا أَكْثَرُ مِنكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا ۞ وَدَخَلَ جَنَّتَهُ وَهُوَ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ قَالَ مَا أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِ أَبَدًا ۞ وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِّنْهَا مُنقَلَبًا ۞ قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُحَاوِرُهُ أَكَفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ سَوَّاكَ رَجُلًا ۞ لَّٰكِنَّا هُوَ اللَّهُ رَبِّي وَلَا أُشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا ۞ وَلَوْلَا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ إِن

وعلي رضى الله عنهم (أساور) جمع أسوار وسوار ، وهو مايجعل فى اليد ، وقيل أساور جمع أسورة وأسورة جمع سوار (من سندس وإستبرق) السندس: رقيق الديباج، والإستبرق الغليظ منه (الأرائك) الأسرة والفرش (واضرب لهم) الضمير للكفار الذين قالوا أطرد فقراء المسلمين وللفقرا الذين أرادوا طردهم : أى مثل هؤلاء وهؤلاء كمثل هذين الرجلين ، وهما أخوان من بنى إسرائيل : أحدهما مؤمن ، والآخر كافر: ورثا مالا عن أبيهما ، فاشترى الكافر بماله جنتين ، وأنفق المؤمن ماله فى طاعة الله حتى افتقر فعير الكافر بفقره فأهلك الله مال الكافر ، وروى أن اسم المؤمن تمليخا ، واسم الكافر فطروس ، وقيل كانا شريكين اقتسما المال فاشترى أحدهما بماله جنتين وتصدق الآخر بماله (أكلها) بضم الهمزة اسم لما يؤكل ، ويجوز ضم الكاف وإسكانها (ولم تظلم) أى لم تنقص (وكان له ثمر) بضم الثاء والميم أصناف المال من الذهب والفضة والحيوان وغير ذلك، قاله ابن عباس وقتادة ، وقيل هو الذهب والفضة خاصة ، وهو من ثمر ماله إذا أكثره ويجوز إسكان الميم تخفيفا ، وأما بفتح الثاء والميم ، فهو المأكول من الشجر ، ويحتمل المعنى الآخر (وهو يحاوره) أى يراجعه فى الكلام (وأعز نفرا) يعنى الأنصار والخدم (ودخل جنته) أفرد الجنة هنا، لأنه إنما دخل الجنة الواحدة من الجنتين إذ لا يمكن دخول الجنتين دفعة واحدة (وهو ظالم لنفسه) إما بكفره وإما بمقابلته لأخيه ، فإنها تتضمن الفخر والكبر والاحتقار لأخيه (وقال ما أظن أن تبيد هذه أبدا) يحتمل أن تكون الإشارة إلى السموات والأرض وسائر المخلوقات ، فيكون قائلا ببقاء هذا الوجود كافراً بالآخرة أو تكون الإشارة إلى جنته فيكون قوله إفراطا فى الاغترار وقلة التحصيل (ولئن رددت إلى ربى) إن كان هذا على سبيل الفرض والتقدير كما يزعم أخى : لأجدن فى الآخرة خيراً من جنتى فى الدنيا، وقرئ خيراً منهما بضمير الاثنين للجنتين ، وبضمير الواحد للجنة (منقلباً) أى مرجعاً (أكفرت بالذى خلقك من تراب) أى خلق منه أباك آدم ، وإنما جعله كافراً لشكه فى البعث (سواك رجلا) كما تقول سواك إنسانا ، ويحتمل أن يقصد الرجولية على وجه تعديد النعمة فى أن لم يكن أنثى (لكنا هو الله ربى) قرأ الجمهور بإثبات الألف فى الوقف وحذفها فى الوصل ، والأصل على هذا لكن أنا ، ثم ألقيت حركة الهمزة على الساكن قبلها وحذفت ثم أدغمت النون فى النون ، وقرأ ابن عامر بإثبات الألف فى الوصل والوقف ، ويتوجه ذلك بأن تكون لحقتها نون الجماعة التى فى خرجنا وضربنا ، ثم أدغمت النون فى النون (ولولا

أَنَا أَقَلَّ مِنكَ مَالًا وَوَلَدًا • فَعَسَىٰ رَبِّي أَن يُؤْتِيَنِ خَيْرًا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا مِّنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحَ صَعِيدًا زَلَقًا • أَوْ يُصْبِحَ مَاؤُهَا غَوْرًا فَلَن تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا • وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِ فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَىٰ مَا أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَدًا • وَلَمْ تَكُن لَّهُ فِئَةٌ يَنصُرُونَهُ مِن دُونِ اللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا • هُنَالِكَ الْوَلَايَةُ لِلَّهِ الْحَقِّ هُوَ خَيْرٌ ثَوَابًا وَخَيْرٌ عُقْبًا • وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ الْأَرْضِ فَأَصْبَحَ هَشِيمًا تَذْرُوهُ الرِّيَاحُ وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ مُّقْتَدِرًا • الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا • وَيَوْمَ نُسَيِّرُ الْجِبَالَ وَتَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً وَحَشَرْنَاهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا • وَعُرِضُوا عَلَىٰ رَبِّكَ صَفًّا لَّقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ بَلْ زَعَمْتُمْ أَلَّن نَّجْعَلَ لَكُم مَّوْعِدًا • وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ

إذ دخلت جنتك الآية : وصية من المؤمن للكافر ، ولولا تحضيض (فعسى ربى أن يؤتين خيرا من جنتك) يحتمل أن يريد فى الدنيا أو الآخرة (حسبانا) أى أمراً مهلكا كالحر والبرد ونحو ذلك (صعيدا زلقا) الصعيد وجه الأرض والزلق الذى لا يثبت فيه قدم يعنى أنه تذهب أشجاره ونباته (وغورا) أى غائراً ذاهبا وهو مصدر وصف به (وأحيط بثمره) عبارة عن هلاكها (يقلب كفيه) عبارة عن تلهفه وتأسفه وندمه (وهى خاوية على عروشها) يريد أن السقف وقعت وهى العروش ثم تهدمت الحيطان عليها والحيطان على العروش وقيل إن كرومها المعروشة سقطت على عروشها ، ثم سقطت الكروم عليها (ويقول ياليتنى لم أشرك) قال ذلك على وجه التمنى لما هلك بستانه ، أو على وجه التوبة من الشرك (هنالك) ظرف يحتمل أن يكون العامل فيه منتصرا ، أو يكون فى موضع خبر (الولاية لله) بكسر الواو بمعنى الرياسة والملك ، وبفتحها من الموالاة والمودة (وخير عقبا) أى عاقبة (فاختلط) الباء سببية ، والمعنى : صار به النبات مختلطا : أى ملتفا بعضه ببعض من شدة تكاثفه (فأصبح هشيما) أى متفتتا ، وأصبح هنا بمعنى صار (تذروه الرياح) أى تفرقه ومعنى المثل تشبيه الدنيا فى سرعة فنائها بالزرع فى فنائه بعد خضرته (المال والبنون) الآية : هذا من الجمع بين شيئين فى خبر واحد ، وذلك من أدوات البيان ، وقرئ زينتا بالتثنية لأنه خبر عن اثنين ، وأما قراءة الجمهور فأفردت فيه الزينة لأنها مصدر (والباقيات الصالحات) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر هذا قول الجمهور ، وقد روى ذلك عن النبى صلى الله عليه وآله وسلم ، وقيل الصلوات الخمس ، وقيل الأعمال الصالحات على الإطلاق (نسير الجبال) أى نحملها ، ومنه قوله : وهى تمر مر السحاب ، وبعد ذلك تصير هباء (وترى الأرض بارزة) أى ظاهرة لزوال الجبال عنها (وحشرناهم) قال الزمخشرى إنما جاء حشرناهم بلفظ الماضى بعد قوله نسير للدلالة على أن حشرناهم قبل تسيير الجبال ليعاينوا تلك الأهوال (فلم نغادر) أى لم نترك (صفا) أى صفوفا فهو إفراد تنزل منزلة الجمع ، وقد جاء فى الحديث إن أهل الجنة مائة وعشرون صفا أنتم منها ثمانون صفا (لقد جئتمونا) يقال هذا للكفار على وجه التوبيخ (كما خلقناكم) أى حفاة عراة

مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَٰوَيْلَتَنَا مَالِ هَٰذَا الْكِتَٰبِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّآ أَحْصَىٰهَا وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا • وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوٓا إِلَّآ إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا • مَآ أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَٰوَٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَآءِىَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَجَعَلْنَا بَيْنَهُم مَّوْبِقًا • وَرَءَا الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوٓا أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا • وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِى هَٰذَا الْقُرْءَانِ لِلنَّاسِ مِن كُلِّ مَثَلٍ وَكَانَ الْإِنسَٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا • وَمَا مَنَعَ النَّاسَ أَن يُؤْمِنُوٓا إِذْ جَآءَهُمُ الْهُدَىٰ وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قُبُلًا • وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ وَيُجَٰدِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَٰطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ وَاتَّخَذُوٓا ءَايَٰتِى وَمَآ أُنذِرُوا هُزُوًا • وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِىَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ إِنَّا جَعَلْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ

غرلا (ووضع الكتاب) يعنى صحائف الأعمال ، فالكتاب اسم جنس (كان من الجن) كلام مستأنف جرى مجرى التعليل لإباية إبليس عن السجود ، وظاهر هذا الموضع يقتضى أن إبليس لم يكن من الملائكة ، وأن استثناءه منهم استثناء منقطع ، فإن الجن صنف غير الملائكة ، وقد يجيب عن ذلك من قال إنه كان من الملائكة بأن كان هنا بمعنى صار : أى خرج من صنف الملائكة إلى صنف الجن ، أو بأن الملائكة كان منهم قوم يقال لهم الجن وهم الذين خلقوا من نار (ففسق عن أمر ربه) : أى خرج عن ما أمر به ، والفسق فى اللغة الخروج (أفتتخذونه وذريته أولياء) : هذا توبيخ ووعظ ، وذرية إبليس هم الشياطين ، واتخاذهم أولياء بطاعتهم فى عصيان الله والكفر به (ما أشهدتهم) الضمير للشياطين على وجه التحقير بهم أو للكفار أو لجميع الخلق ، فيكون فيه ردّ على المنجمين وأهل الطبائع وسائر الطوائف المتخرصة (وما كنت متخذ المضلين عضدا) أى معينا ومعنى المضلين الذين يضلون العباد وذلك يقوى أن المراد الشياطين (ويوم يقول نادوا شركائى) يقول هذا للكفار على وجه التوبيخ لهم ، وأضاف تعالى الشركاء إلى نفسه على زعمهم ، وقد بين هذا بقوله الذين زعمتم (موبقا) أى مهلكا ، وهو اسم موضع أو مصدر من وبق الرجل إذا هلك وقد قيل إنه واد من أودية جهنم والضمير فى بينهم للمشركين وشركائهم (فظنوا أنهم مواقعوها) الظن هنا بمعنى اليقين (مصرفا) أى معدلا ينصرفون اليه (جدلا) أى مخاصمة ومدافعة بالقول ويقتضى سياق الكلام ذم الجدل وسببها فيما قيل مجادلة النضر ابن الحارث ، على أن الإنسان هنا يراد به الجنس (وما منع الناس أن يؤمنوا) الآية : معناها أن المانع للناس من الإيمان والاستغفار هو القضاء عليهم بأن تأتيهم سنة الأمم المتقدمة ، وهى الإهلاك فى الدنيا أو يأتيهم العذاب يعنى عذاب الآخرة ومعنى قبلا معاينة وقرئ بضمتين وهو جمع قبيل : أى أنواعا من العذاب (ليدحضوا) أى ليبطلوا (وما أنذروا هزوا) يعنى العذاب وما موصولة ، والضمير محذوف تقديره أنذروه أو مصدرية

أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِن تَدْعُهُمْ إِلَى ٱلْهُدَىٰ فَلَن يَهْتَدُوٓا إِذًا أَبَدًا ۞ وَرَبُّكَ ٱلْغَفُورُ ذُو ٱلرَّحْمَةِ
لَوْ يُؤَاخِذُهُم بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ ٱلْعَذَابَ بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا مِن دُونِهِ مَوْئِلًا ۞ وَتِلْكَ ٱلْقُرَىٰٓ أَهْلَكْنَاهُمْ
لَمَّا ظَلَمُوا وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِم مَّوْعِدًا ۞ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا ۞
فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا ۞ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا
مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۞ قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ

(إنا جعلنا على قلوبهم أكنة) هذه عقوبة على الإعراض المحكى عنهم أو تعليل لهم والأكنة جمع كنان وهو الغطاء والوقر الصمم وهما على وجه الاستعارة فى قلة فهمهم للقرآن وعدم استجابتهم للإيمان (فلن يهتدوا إذا أبدا) يريد به من قضى الله أنه لا يؤمن (لو يؤاخذهم) الضمير لكفار قريش أو لسائر الناس لقوله ولو يؤاخذ الله الناس والجملة خبر المبتدأ والغفور ذو الرحمة صفتان اعترضتا بين المبتدأ والخبر توطئة لما ذكر بعد من ترك المؤاخذة، ويحتمل أن يكون الغفور هو الخبر، ويؤاخذهم بيان لمغفرته ورحمته، والأول أظهر (بل لهم موعد) قيل هو الموت وقيل عذاب الآخرة وقيل يوم بدر (موئلا) أى ملجأ يقال وئل الرجل إذا لجأ (وتلك القرى) يعنى عادا وثمود وغيرهم من المتقدمين، والمراد هنا أهل القرى ولذلك قال أهلكناهم وفى ضمن هذا الإخبار تهديد لكفار قريش (وجعلنا لمهلكهم موعدا) أى وقتا معلوما، والمهلك هنا بضم الميم وفتح اللام اسم مصدر من أهلك، فالمصدر على هذا مضاف للمفعول لأن الفعل متعدى، وقرئ بفتح الميم من هلك، فالمصدر على هذا مضاف للفاعل (وإذ قال موسى لفتاه) هذا ابتداء قصة موسى مع الخضر، وهو موسى ابن عمران نبى الله وقال قوم هو موسى آخر وذلك باطل رده ابن عباس وغيره ويدل الحديث على بطلانه وفتاه هو يوشع بن نون وهو ابن أخت موسى وهو من ذرية يوسف عليه السلام والفتى هنا بمعنى الخديم وسبب القصة فيما روى عن النبى صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح أن موسى عليه السلام خطب يوما فى بنى إسرائيل فقيل له هل تعلم أحدا أعلم منك فقال لا فأوحى الله إليه أن بل عبدنا الخضر أعلم منك فقال يارب دلنى على السبيل إلى لقائه فأوحى الله إليه أن يحمل حوتا فى مكتل ويسير بطول سيف البحر حتى يبلغ مجمع البحرين فإذا فقد الحوت فإن الخضر هناك ففعل موسى ذلك حتى لقيه (لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين قال موسى هذا الكلام وهو سائر أى لا أبرح أسير حتى أبلغ مجمع البحرين فحذف خبر لا أبرح اختصارا لدلالة المعنى عليه ومعنى لا أبرح هنا لا أزال لأن حقيقة لا أبرح تقتضى الإقامة فى الموضع وكان موسى حين قالها على سفر لا يريد إقامة ومجمع البحرين عند طنجة حيث يجتمع البحر المحيط والبحر الخارج منه وهو بحر الأندلس وقيل هو مجمع بحر فارس وبحر الروم فى المشرق (أو أمضى حقبا) أى زمانا طويلا، والحقب بضم القاف وإسكانها ثمانون سنة وقيل زمان غير محدود وقيل هى جمع حقبة وهى السنة (فلما بلغا مجمع بينهما) الضمير فى بلغا لموسى وفتاه والضمير فى بينهما للبحرين (نسيا حوتهما) نسب النسيان إليهما وإنما كان النسيان من الفتى وحده كما تقول فعل بنو فلان كذا إذا فعله واحد منهم وقيل نسى الفتى أن يقدمه ونسى موسى أن يأمره فيه

أَذْكُرَهُ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي ٱلْبَحْرِ عَجَبًا * قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا * فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَآ ءَاتَيْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا * قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا * قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا * وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ خُبْرًا * قَالَ سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ أَمْرًا * قَالَ فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا * فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ

بشىء (فاتخذ سبيله فى البحر سربا) فاعل اتخذ الحوت ، والمعنى أنه سار فى البحر فقيل إن الحوت كان ميتا مملوحا ثم صار حيا بإذن الله ووقع فى الماء فسار فيه وقال ابن عباس إنما حيي الحوت لأنه مسه ماء عين يقال لها عين الحياة ما مست قط شيأ إلا حيي وفى الحديث أن الله أمسك جرية الماء عن الحوت فصار مثل السراب وهو المسلك فى جوف الأرض وذلك معجزة لموسى عليه السلام وقيل اتخذ الحوت سبيله فى البحر سربا حتى وصل إلى البحر فعام على العادة ويرد هذا ما ورد فى الحديث (فلما جاوزا) أى جاوزا الموضع الذى وصف له وهو الصخرة التى نام عندها فسار الحوت فى البحر بينما كان موسى نائما وكان ذهاب الحوت أمارة لقائه للخضر فلما استيقظ موسى أصابه الجوع فقال لفتاه آتنا غداءنا (نصبا) أى تعبا (قال أرأيت إذ أوينا إلى الصخرة) قال الزمخشرى أرأيت هنا بمعنى أخبرنى ثم قال ، فإن قلت ماوجه التئام هذا الكلام فإن كل واحد من أرأيت وإذ أوينا وإنى نسيت الحوت لا متعلق له ؟ فالجواب أنه لما طلب موسى الحوت ذكر يوشع ما رأى منه وما اعتراه من نسيانه فدهش فطفق يسأل موسى عن سبب ذلك فكأنه قال أرأيت ما دهانى إذ أوينا إلى الصخرة فإنى نسيت الحوت فحذف بعض الكلام (نسيت الحوت) أى نسيت أن أذكر لك ما رأيت من ذهابه فى البحر وتقديره نسيت ذكر الحوت (أن أذكره) بدل من الهاء فى أنسانيه وهو بدل اشتمال (واتخذ سبيله فى البحر عجبا) يحتمل أن يكون هذا من كلام يوشع أى اتخذ الحوت سبيله فى البحر عجبا للناس أو اتخذ موسى سبيل الحوت عجبا أى تعجب هو منه وإعراب عجبا مفعول ثان لاتخذ مثل سربا وقيل إن الكلام تم عند قوله فى البحر ثم ابتدأ التعجب فقال عجبا وذلك بعيد (قال ذلك ما كنا نبغ) أى فقد الحوت هو ما كنا نطلب لأنه أمارة على وجدان الرجل (فارتدا على آثارهما قصصا) أى رجعا فى طريقهما يقصان أثرهما الأول لئلا يخرجا عن الطريق (فوجدا عبدا من عبادنا) هو الخضر (آتيناه رحمة) يعنى النبوة على قول من قال إن الخضر نبىّ وقيل إنه ليس بنبىّ ولكنه ولىّ وتظهر نبوته من هذه القصة . أنه فعل أشياء لا يعملها إلا بوحى واختلف أيضا هل مات أو هو حىّ إلى الآن ويذكر كثيرا من الصلحاء أنهم يرونه ويكلمهم (وعلمناه من لدنا علما) فى الحديث أن موسى وجد الخضر مسجى بثوبه فقال له السلام عليك فرفع رأسه وقال وأنى بأرضك السلام قال له من أنت قال أنا موسى قال موسى بنى إسرائيل قال نعم قال أولم يكن لك فى بنى إسرائيل ما يشغلك عن السفر إلى هنا قال بلى ولكنى أحببت لقاءك وأن أتعلم منك قال إنى على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت ، وأنت على علم من علم الله علمكه لا أعلمه أنا (قال له موسى هل أتبعك) الآية : مخاطبة فيها ملاطفة وتواضع وكذلك ينبغى أن يكون الإنسان مع من يريد أن يتعلم منه (رشدا) قرئ بضم الراء وإسكان الشين وبفتحها والمعنى واحد ، وانتصب على أنه مفعول ثان بتعلمنى أو حال من الضمير فى أتبعك (فانطلقا) الضمير

إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ خَرَقَهَا قَالَ أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا لَقِيَا غُلَامًا فَقَتَلَهُ قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا * قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا * قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي عُذْرًا * فَانْطَلَقَا حَتَّىٰ إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ اسْتَطْعَمَا أَهْلَهَا فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَنْ يَنْقَضَّ فَأَقَامَهُ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا * قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ سَأُنَبِّئُكَ بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا * أَمَّا السَّفِينَةُ فَكَانَتْ لِمَسَاكِينَ يَعْمَلُونَ

لموسى والخضر وفى الحديث أنهما انطلقا ماشيين على سيف البحر حتى مرت بهما سفينة فعرفها الخضر فحمل فيها بغير نوال أى بغير أجرة (خرقها) روى أن الخضر أزال لوحين من ألواحها (شيئا إمرا) أى عظيما وقيل منكراً (فانطلقا) يعنى بعد نزولها من السفينة فمرا بغلمان يلعبون وفيهم غلام وضىء الصورة فاقتلع الخضر رأسه، وقيل ذبحه، وقيل أخذ صخرة فضرب بها رأسه والأول هو الصحيح لوروده فى الحديث الصحيح وروى أن اسم الغلام جيسورا بالجيم، وقيل بالحاء المهملة قال الزمخشرى إن قلت لم قال خرقها بغير فاء، وقال فقتله بالفاء؛ والجواب أن خرقها جواب الشرط وقتله من جملة الشرط معطوف عليه والخبر قال أقتلت نفسا، فإن قيل لم خولف بينهما؟ فالجواب: أن خرق السفينة لم يتعقب الركوب وقد تعقب القتل لقاء الغلام (نفسا زكية) قيل إنه كان لم يبلغ فمعنى زكية ليس له ذنب وقيل إنه كان بالغا ولكنه لم ير له الخضر ذنبا (بغير نفس) يقتضى أنه لو كان قد قتل نفسا لم يكن بقتله بأس على وجه القصاص، وهذا يدل على أن الغلام كان بالغا فإن غير البالغ لا يقتل وإن قتل نفسا (شيئا نكرا) أى منكرا وهو أبلغ من قوله إمرا ويجوز ضم الكاف وإسكانها (قال ألم أقل لك) بزيادة لك فيه من الزجر والإغلاظ ماليس فى قوله أولا ألم أقل إنك لن تستطيع معى صبرا (بعدها) الضمير للقصة وإن لم يتقدم لها ذكر ولكن سياق الكلام يدل عليها (قد بلغت من لدنى عذرا) أى قد أعذرت إلىّ فأنت معذور عندى وفى الحديث كانت الأولى من موسى نسيانا (أتيا أهل قرية) قيل هى أنطاكية، وقيل برقة وقال أبو هريرة وغيره هى بالأندلس ويذكر أنها الجزيرة الخضراء وذلك على قول أن مجمع البحرين عند طنجة وسبتة (استطعما أهلها) أى طلبا منهم طعاما (جدارا يريد أن ينقضّ) أن يسقط وإسناده الإرادة إلى الجدار مجاز ومثل ذلك كثير فى كلام العرب وحقيقته أنه قارب أن ينقضّ ووزن ينقضّ ينفعلّ وقيل يفعلّ بالتشديد كيحمرّ (فأقامه) قيل إنه هدمه ثم بناه وقيل مسحه بيده وأقامه فقام (لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى قال موسى للخضر لو شئت لاتخذت عليه أجرا أى طعاما تأكله (قال هذا فراق بينى وبينك) إنما قال له هذا لأجل شرطه فى قوله «إن سألتك عن شىء بعدها فلا تصاحبنى» على أن قوله «لو شئت لاتخذت عليه أجرا» ليس بسؤال ولكن فى ضمنه أمر بأخذ الأجرة عليه لأنهما كانا محتاجين إلى الطعام والبين هنا ليس بظرف وإنما معناه الوصلة والقرب، وقال الزمخشرى الأصل هذا فراق

فِى الْبَحْرِ فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا ۝ وَأَمَّا الْغُلَٰمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا ۝ فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا ۝ وَأَمَّا الْجِدَارُ فَكَانَ لِغُلَٰمَيْنِ يَتِيمَيْنِ فِى الْمَدِينَةِ وَكَانَ تَحْتَهُ كَنزٌ لَّهُمَا وَكَانَ أَبُوهُمَا صَٰلِحًا فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَآ أَشُدَّهُمَا وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ عَنْ أَمْرِى ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا ۝ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَن ذِى الْقَرْنَيْنِ قُلْ سَأَتْلُوا عَلَيْكُم مِّنْهُ ذِكْرًا ۝ إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِى الْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ۝ فَأَتْبَعَ

بيني وبينك بتنوين فراق ونصب بيني على الظرفية ثم أضيف المصدر إلى الظرف والإشارة بقوله هذا إلى السؤال الثالث، الذي أوجب الفراق، (أما السفينة فكانت لمساكين) قيل إنهم تجار ولكنه قال فيهم مساكين على وجه الإشفاق عليهم، لأنهم كانوا يغصبون سفينتهم أو لكونهم فى لجج البحر، وقيل كانوا إخوة عشرة منهم خمسة عاملون بالسفينة، وخمسة ذوو عاهات لا قدرة لهم وقرئ مساكين بتشديد السين، أي يمسكون السفينة (وكان وراءهم) قيل معناه قدامهم، وقرأ ابن عباس أمامهم، وقال ابن عطية إن وراءهم على بابه ولكن روعى به الزمان فالوراء هو المستقبل والأمام هو الماضى (كل سفينة غصبا) عموم معناه الخصوص فى الجياد والصحاح من السفن، ولذلك قرأ ابن مسعود يأخذ كل سفينة صالحة، وقيل: إن اسم هذا الملك هدد بن بدد وهذا يفتقر إلى نقل صحيح، وفى الكلام تقديم وتأخير، لأن قوله (فأردت أن أعيبها) مؤخر فى المعنى عن ذكر غصبها لأن خوف الغصب سبب فى أنه عابها وإنما قدم للعناية به (وأما الغلام) روى أنه كان كافراً، وروى أنه كان يفسد فى الأرض، (فخشينا أن يرهقهما) المتكلم بذلك الخضر وقيل إنه من كلام الله وتأويله على هذا فكرهنا، وقال ابن عطية إنه من نحو ماوقع فى القرآن من عسى ولعل، وإنما هو فى حق المخاطبين ومعنى يرهقهما طغيانا وكفرا، يكلفهما ذلك والمعنى أن يحملهما حبه على اتباعه أو يضر بهما لمخالطته مع مخالفته لهما (خيرا منه) أى غلاما آخر خيرا من الغلام المذكور المقتول (زكاة) أى طهارة وفضيلة فى دينه (وأقرب رحما) أى رحمة وشفقة، فقيل المعنى أن يرحمهما، وقيل: يرحمانه (لغلامين يتيمين) اليتيم من فقد أبويه قبل البلوغ، وروى أن اسم الغلامين أصرم وصريم، واسم أبيهما كاشح وهذا يحتاج إلى صحة نقل (كنز لهما) قيل مال عظيم، وقيل كان علما فى صحف مدفونة. والأول أظهر (وكان أبوهما صالحا) قيل إنه الأب السابع، وظاهر اللفظ أنه الأقرب (فأراد ربك) أسند الإرادة هنا إلى الله لأنها فى أمر مغيب مستأنف لا يعلم مايكون منه إلا الله، وأسند الخضر إلى نفسه فى قوله فأردت أن أعيبها لأنها لفظة عيب. فتأدب بأن لا يسندها إلى الله وذلك كقول إبراهيم عليه السلام «وإذا مرضت فهو يشفين» فأسند المرض إلى نفسه والشفاء إلى الله تأدبا، واختلف فى قوله فأردنا أن يبدلهما هل هو مسند إلى ضمير الخضر أو إلى الله، (وما فعلته عن أمرى) هذا دليل على نبوة الخضر، لأن المعنى أنه فعل بأمر الله أو بوحى (ويسئلونك عن ذى القرنين) السائلون اليهود، أو قريش بإشارة اليهود، وذو القرنين هو الإسكندر الملك، وهو يونانى وقيل رومى وكان رجلا صالحا، وقيل كان نبيا، وقيل كان ملكا بفتح اللام والصحيح أنه ملك بكسر اللام واختلف

سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِى عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِمَّآ أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّآ أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ۞ قَالَ أَمَّا مَن ظَلَمَ فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُۥ ثُمَّ يُرَدُّ إِلَىٰ رَبِّهِۦ فَيُعَذِّبُهُۥ عَذَابًا نُّكْرًا ۞ وَأَمَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُۥ جَزَآءً ٱلْحُسْنَىٰ وَسَنَقُولُ لَهُۥ مِنْ أَمْرِنَا يُسْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ ٱلشَّمْسِ وَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَىٰ قَوْمٍ لَّمْ نَجْعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتْرًا ۞ كَذَٰلِكَ وَقَدْ أَحَطْنَا بِمَا لَدَيْهِ خُبْرًا ۞ ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا ۞ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيْنَ ٱلسَّدَّيْنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوْمًا لَّا يَكَادُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا ۞ قَالُوا۟ يَٰذَا ٱلْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ مُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ فَهَلْ نَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا عَلَىٰٓ أَن تَجْعَلَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ سَدًّا ۞ قَالَ

لم سمي ذو القرنين فقيل كان له ضفيرتان من شعرهما قرناه ، فسمي بذلك وقيل لأنه بلغ المشرق والمغرب وكأنه حاز قرني الدنيا (إنا مكنا له فى الأرض) التمكين له أنه ملك الدنيا ودانت له الملوك كلهم (آتيناه من كل شيء سببا) أى علما وفهما ، يتوصل به إلى معرفة الأشياء والسبب ما يتوصل به إلى المقصود من علم أو قدرة أو غير ذلك (فأتبع سببا) أى طريقا يوصله (وجدها تغرب فى عين حمئة) قرئ بالهمز على وزن فعلة أى ذات حمأة وقرئ بالياء على وزن فاعلة وقد اختلف فى ذلك معاوية وابن عباس فقال ابن عباس حمئة وقال معاوية حامية فبعثا إلى كعب الاحبار ليخبرهما بالأمر فقال أما العربية فأنتما أعلم بها منى ، ولكن أجد فى التوراة أنها تغرب فى ماء وطين فوافق ذلك قراءة ابن عباس ومعنى حامية حارة ، ويحتمل أن يكون بمعنى حمية ولكن سهلت همزته ويتفق معنى القراءتين وقد قيل يمكن أن يكون فيها حمئة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للموضعين ، ويجتمع معنى القراءتين (قلنا ياذا القرنين) استدل بهذا من قال إن ذا القرنين نبي لأن هذا القول وحي ويحتمل أن يكون بإلهام فلا يكون فيه دليل على نبوته (إما أن تعذب وإما أن تتخذ فيهم حسنا) كانوا كفارا فخيره الله بين أن يعذبهم بالقتل أو يدعوهم إلى الإسلام ، فيحسن إليهم وقيل الحسن هنا هو الأسر وجعله حسنا بالنظر إلى القتل (قال أما من ظلم فسوف نعذبه) اختار أن يدعوهم إلى الإسلام فمن تمادى على الكفر قتله ومن أسلم أحسن إليه والظلم هنا الكفر والعذاب القتل وأراد بقوله عذابا نكرا عذاب الآخرة (فله جزاء الحسنى) المراد بالحسنى الجنة أو الأعمال الحسنة (وسنقول له من أمرنا يسرا) وعدهم بأن ييسر عليهم (وجدها تطلع على قوم لم نجعل لهم من دونها سترا) هؤلاء القوم هم الزنج وهم أهل الهند ومن وراءهم ومعنى لم نجعل الآية أنهم ليس لهم بنيان إذ لا تحمل أرضهم البناء وإنما يدخلون من حر الشمس فى أسراب تحت الأرض وقال ابن عطية الظاهر أنها عبارة عن قرب الشمس منهم وقيل الستر اللباس فكانوا على هذا لا يلبسون الثياب (كذلك) أى أمر ذى القرنين كذلك أى كما وصفناه تعظيما لأمره وقيل إن كذلك راجع لما قبله أى لم نجعل لهم سترا كما جعلنا لكم من المبانى والثياب ، وقيل المعنى وجد عندها قوما كذلك أى مثل القوم الذين وجدوا عند مغرب الشمس وفعل معهم مثل فعله (بين السدين) أى الجبلين وهما جبلان فى طرف الأرض وقرئ بالفتح والضم وهما بمعنى واحد ، وقيل ما كان من خلقة الله فهو مضموم وما كان من فعل الناس فهو مفتوح (وجد من دونهما قوما) قيل هم الترك (لا يكادون يفقهون قولا) عبارة عن بعد لسانهم عن ألسنة الناس فهم لا يفقهون القول

مَا مَكَّنِّي فِيهِ رَبِّي خَيْرٌ فَأَعِينُونِي بِقُوَّةٍ أَجْعَلْ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ رَدْمًا ۔ ءَاتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ حَتَّىٰ إِذَا سَاوَىٰ بَيْنَ
الصَّدَفَيْنِ قَالَ انفُخُوا حَتَّىٰ إِذَا جَعَلَهُ نَارًا قَالَ ءَاتُونِي أُفْرِغْ عَلَيْهِ قِطْرًا ۔ فَمَا اسْطَٰعُوا أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا اسْتَطَٰعُوا
لَهُ نَقْبًا ۔ قَالَ هَٰذَا رَحْمَةٌ مِّن رَّبِّي فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ رَبِّي جَعَلَهُ دَكَّاءَ وَكَانَ وَعْدُ رَبِّي حَقًّا ۔ وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ
يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا ۔ وَعَرَضْنَا جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِّلْكَٰفِرِينَ عَرْضًا ۔ الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ
فِي غِطَاءٍ عَن ذِكْرِي وَكَانُوا لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا ۔ أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِن دُونِي أَوْلِيَاءَ
إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ نُزُلًا ۔ قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَٰلًا ۔ الَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا
وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ۔ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَائِهِ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ

إلا بالإشارة أونحوها (يأجوج ومأجوج) قبيلتان من بنى آدم فى خلقهم تشويه منهم مفرط الطول ومفرط القصر (مفسدون فى الأرض) لفسادهم بالقتل والظلم وسائر وجوه الشر، وقيل كانوا يأكلون بنى آدم (فهل نجعل لك خرجا على أن تجعل بيننا وبينهم سدا) هذا استفهام فى ضمنه عرض ورغبة، والخرج الجباية ويقال فيه خراج وقد قرئ بهما، فعرضوا عليه أن يجعلوا له أو الا ليقيم بها السد (قال ما مكنى فيه ربى خير) أى ما بسط الله لى من الملك خير من خرجكم فلا حاجة لى به ولكن أعينونى بقوة الأبدان وعمل الأيدى (ردما) أى حاجزا حصينا والردم أعظم من السد (ساوى بين الصدفين) أى بين الجبلين (قال انفخوا) يريد نفخ الكير أى أوقدوا النار على الحديد (قطرا) أى نحاسا مذابا وقيل هو الرصاص، وروى أنه حفر الأساس حتى بلغ الماء ثم جعل البنيان من زبر الحديد حتى ملأ به ما بين الجبلين ثم أفرغ عليه النحاس المذاب (فما اسطاعوا أن يظهروه) أصل اسطاعوا استطاعوا حذفت التاء تخفيفا والضمير فى يظهروه للسد، ومعنى يظهروه يعلوه ويصعدوا على ظهره فالمعنى أن يأجوج ومأجوج لا يقدرون أن يصعدوا على السد لارتفاعه ولا ينقبوه لقوته (قال هذا رحمة من ربى) القائل ذو القرنين وأشار إلى الردم (فإذا جاء وعد ربى) يعنى القيامة جعله دكا أى مبسوطا مسوى بالأرض (وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) الضمير فى تركنا لله عز وجل، ويومئذ يحتمل أن يريد به يوم القيامة لأنه قد تقدم ذكره فالضمير فى قوله بعضهم على هذا لجميع الناس، أو يريد بقوله يومئذ يوم كمال السد والضمير فى قوله بعضهم على هذا ليأجوج ومأجوج، والأول أرجح لقوله بعد ذلك ونفخ فى الصور فيتصل الكلام ويموج عبارة عن اختلاطهم واضطرابهم (ونفخ فى الصور) الصور هو القرن الذى ينفخ فيه يوم القيامة حسبما جاء فى الحديث ينفخ فيه إسرافيل نفختين إحداهما للصعق والأخرى للقيام من القبور (وعرضنا جهنم) أى أظهرناها (كانت أعينهم فى غطاء) عبارة عن عمى بصائرهم وقلوبهم وكذلك لا يستطيعون سمعا (أفحسب الذين كفروا أن يتخذوا عبادى من دونى أولياء) يعنى أنهم لا يكونون لهم أولياء كما حكى عنهم أنهم يقولون أنت ولينا من دونهم، والعباد هنا من عبد مع الله ممن لا يريد ذلك كالملائكة وعيسى ابن مريم (أعتدنا) أى يسرنا (نزلا) ما يسر للضيف والقادم عند نزوله والمعنى أن جهنم لهم بدل النزل كما أن الجنة نزل فى قوله «كانت لهم جنات الفردوس نزلا» ويحتمل أن يكون النزل موضع النزول (قل هل ننبئكم بالأخسرين أعمالا) الآية فى كفار العرب كقوله كفروا بآيات ربهم

لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ۝ ذَٰلِكَ جَزَآؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا ءَايَٰتِي وَرُسُلِي هُزُوًا ۝ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّٰلِحَٰتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّٰتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ۝ قُل لَّوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا ۝ قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَآءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ۝

ولقائه وقيل فى الرهبان لأنهم يتعبدون ويظنون أن عبادتهم تنفعهم وهى لا تقبل منهم وفى قوله يحسبون أنهم يحسنون تجنيس وهو الذى يسمى تجنيس التصحيف (فلا نقيم لهم يوم القيامة وزنا) أى ليس لهم حسنة توزن لأن أعمالهم قد حبطت (جنات الفردوس) هى أعلا الجنة حسبما ورد فى الحديث ولفظ الفردوس أعجمى معرب (حولا) أى تحولا وانتقالا (قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربى) الآية إخبار عن اتساع علم الله تعالى والكلمات هى المعانى القائمة بالنفس وهى المعلومات فمعنى الآية لو كتب علم الله بمداد البحر لنفد البحر ولم ينفد علم الله وكذلك لو جىء ببحر آخر مثله وذلك لأن البحر متناه وعلم الله غير متناه (بمثله مددا) أى زيادة والمدد هو ما يمد به الشىء أى يكثر (فمن كان يرجو لقاء ربه) إن كان الرجاء هنا على بابه فالمعنى يرجو حسن لقاء ربه وأن يلقاه لقاء رضا وقبول ، وإن كان الرجاء بمعنى الخوف فالمعنى يخاف سوء لقاء ربه (ولا يشرك بعبادة ربه أحدا) يحتمل أن يريد الشرك بالله وهو عبادة غيره فيكون راجعا إلى قوله يوحى إلىّ أنما إلهكم إله واحد أو يريد الرياء لأنه الشرك الأصغر واللفظ يحتمل الوجهين ولا يبعد أن يحمل على العموم فى المعنيين والله أعلم

﴿ تمّ الجزء الثانى ، ويليه الجزء الثالث ﴾

﴿ وأوله سـورة مريم ﴾

فهرس

الجزء الثانى من كتاب التسهيل

صفحة		
٢	سورة	الأنعام
٢٨	«	الأعراف
٦٠	«	الأنفال
٧٠	«	التوبة
٨٩	«	يونس عليه السلام
١٠٠	«	هود عليه السلام
١١٤	«	يوسف عليه السلام
١٢٩	«	الرعد
٣٧١	«	إبراهيم عليه السلام
١٤٣	«	الحجر
١٤٩	«	النحل
١٦٦	«	الإسراء
١٨١	«	الكهف

(تمّ الفهرس)